المستشفيات الإسلامية

من العصر النبوي إلى العصر العثماني



تأليف
الدكتور عبدالله عبد الرزاق مسعود السعيد

دار الضياء للنشر والتوزيع

الدكتور عبدالله عبدالرزاق مسعود السعيد

DORIS

THE LIBRARY
KING FAHD UNIVERSITY OF PETROLEUM & MINERALS
DHAHRAN, 31261, SAUDI ARABIA

المستشفيات الإسلامية

من العصر النبوي إلى العصر العثماني

دار الضياء للنشر والتوزيع

الأردن - عمّان

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م

الناشر
دار الضياء للنشر والتوزيع
مركز العبدلي التجاري
الأردن - عمّان
ص . ب : ٩٢٥٧٩٨
☎ ٦٧٨٥٠٢

الإهداء

لكل عين ساهرة

لحفظ الصحة حاصلة

واستردادها زائلة

أُهدي كتابي هذا

عبدالله


قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم :
ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء
صحيح البخاري : ٥٦٧٨

المقــدّمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسـلام على النبي الأُمي الكـريم ، الذي أعتنى بصحة الفرد والمجتمع ، نفسانياً وجسدياً ، روحانياً ومـادياً . . ، بالمعالجـة النفسية لـلإضطرابـات النفسانيـة ، والمداواة الجسمـانية ،للحـالات المـرضية العضـوية البـدنية ، في حـالات حدوث مـرض أو خلل عضـوي في أعضاء الجسم ، وحمّل الطبيب المعالـج مسؤولية مـا يحدث للمـريض ، جرّاء معالجته له ، فروي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال : (من تطبَّب ولم يعلم منه طب فهو ضامن) . (أي مسؤول عن الضـرر شرعاً) أخرجه أبو داود .

ومـع أنّ الـطب الحـديث قـد بلغ شـأنـاً كبيـراً في مضمـار البحث والتشخيص والمعالجة ، ينسى أو يتناسى معالجة الإضطرابـات النفسية في كثـير من الحـالات المرضيـة ، فضيـلاً أن الـطب الحديث لـه الأثر الكبـير في شفـاء العديد من الأمراض العضوية الجسمانية ، وذلك لأن كثيراً من الاضطرابـات النفسية تسبب العديد من الأمراض العضـوية ، بسبب اضـطرابات إفـرازات الغدد الجسمانية التي تؤثر على كيماويات الجسم ، وهورموناته ، وبالتـالي تؤثر عـلى نفسية الإنسـان ، وتغذيـة أنسجته ، فتقلل من حيـويتها ، وتضعف من مقاومتها للأمراض .

وبذلك عالج الطب الإسلامي الإنسان ، ككل ، من جميع مكوناته جسمانياً وروحانياً ، مادياً ونفسانياً . فالإنسان يتكون من جسد وروح ، مادة ونفس .

ويحتوي القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية الشريفة على العديد من التعاليم الصحية السديدة ، وقواعد حفظ الصحة السليمة ، والوقاية والمعالجة من الأمراض النفسانية والعضوية .

وهنالك حوالي ثلاثمائة حديث طبي نبوي ، تتعلق بالمحافظة على صحة الإنسان ، كما يقول الأستاذ الدكتور عمر فروخ في كتابه[١] .

ومن تلك الأحاديث النبوية الشريفة ما رواه الإمام البخاري في صحيحه[٢] : (عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء) .

وجاء في كتاب[٣] (فتح القريب المجيب على تهذيب الترغيب والترهيب) : (عن أسامة بن شريك قال : قالت الاعراب : يا رسول الله أنتداوى ؟ قال : (نعم يا عباد الله تداووا ، فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء إلا داء واحداً) قالوا : وما هو؟ قال : (الهرم) . رواه أبو داود ، والترمذي وصححه ، والنسائي ، وابن ماجة وأحمد .

وروى الإمام الشافعي في مسنده : (حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت : (قال رسول الله ﷺ : كل شراب أسكر فهو حرام)[٤] .

---

(١) العرب في حضارتهم وثقافتهم ص ١٣٩ / الطبعة الثانية .

(٢) الجزء السابع ـ كتاب الطب ص ١٥٨ ـ صحيح البخاري مطابع الشعب ١٣٧٨ .

(٣) تأليف الشيخ علوي السيد عباس المدرس بالحرم المكي ص ٢٣٤

(٤) ص ٢٨١ ـ مسند الإمام الشافعي ـ الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م ـ دار الكتب العلمية . بيروت .

وكذلك اهتمت التعاليم الصحية الإسلامية بصحة الإنسان في أيام الحرب ، كما اهتمت بها في أوقات السلم ، فيقول الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله : ﴿ **من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس ، أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً** ﴾ (المائدة : ٣٢) .

ولقد أوصى الإسلام بحماية الأسير ، سواء كان جريحاً أو سليماً أو مريضاً ، فقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً** ﴾ (الإنسان : ٨) .

وبذلك سبق الإسلام اتفاقيات جنيف والصليب الأحمر بألف وثلاثمائة سنة تقريباً .

ومهما تكن عداوة الجريح أو الأسير شديدة فيجب على المسلم أن يرعى الجريح الأسير ، فيقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : ﴿ **لا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا . . .** ﴾ (المائدة : ٨) .

ولقد أقر المؤتمر العالمي الأول للطب الإسلامي المنعقد في الكويت ١٤٠١ هـ /١٩٨١ م قسم الطبيب الذي من ضمن ما جاء فيه : (بسم الله الرحمن الرحيم أقسم بالله العظيم أن أُراقب الله في مهنتي وأن أصون حياة الإنسان . . . باذلاً رعايتي الطبية للقريب والبعيد ، والصالح والخاطىء والصديق والعدو ، وأن أثابر على طلب العلم . . .) .

وقد اعتنى الرسول ﷺ بصحة جنوده فروي أنه أسس أول مستشفى حربي في الاسلام عندما دارت رحى غزوة الخندق سنة ٥ هـ / ٦٢٦ م وكانت تديره الجراحة رُفيدة الأنصارية ، وقيل أنها مِن من أَسْلَمْ .

لقد حثت الشريعة الإسلامية على المداواة من الأمراض وعلى الوقاية

منها بينما الغربيون كانوا يعارضون ذلك . وبهذا الصدد تقول العلاّمة الألمانية الدكتورة زيغريد هونكه في كتابها[1] : (... بطريرك الفرنجة غريغوريوس التوري (٥٤٠ ـ ٥٩٤) ... قائلاً : (ماذا بوسع الأطباء أن يحققوا بآلاتهم ؟ إن وظيفتهم تسبب الآلام أكثر من العمل على تخفيف وطأتها ، إنهم عندما يفتحون العين مثلاً ، ويعملون فيها ، بمباضعهم الدقيقة الحادة ، تجريحاً وتقطيعاً ، فهم يدفعون بأهوال الموت قُدماً قبل أن يعينوا العين على الإبصار ثانية ...) .

وتستطرد وتقول[2] : (أيدٍ توضع ؛ وشيطان يُطرد ، وصلاة تُقام ... تلك كانت الوسائل المفضلة في المعالجة التي حاول بها أطباء أوروبة عن طريق مسوح الكهنوت والرهبان ... إن كان بينكم مريض ، فأخبروا شيوخ عشيرتكم ليقيموا الصلاة عليه بعد أن يمسحوا جسده بالزيت الطاهر باسم السيد المسيح ....)

إن مبادىء الإسلام خير سبيل للوقاية وعلاج جميع الاضطرابات النفسية ، فالقرآن الكريم وتعاليمه : ﴿ **فيه شفاء للناس** ... ﴾ (النحل : ٦٩) . و﴿ **شفاء لما في الصدور** ﴾ (يونس : ٥٧) و﴿ ... **هدى وشفاء** ... ﴾ (السجدة : ٤٤) و﴿ **شفاء ورحمة للمؤمنين** ﴾ (الإسراء : ٨٢) . وذلك لأن تعاليم الإسلام تقود النفس نحو المثالية وتمدها بأفضل التعاليم والوسائل للحفاظ على القيم الإنسانية والاجتماعية ، وتعلمنا الصبر على الشدائد ، والسلوك الإنساني الأمثل ، والتربية النبيلة السامية .

ولقد قامت المستشفيات الإسلامية بتدريس العلوم الفقهية وقراءة القرآن جنباً إلى جنب مع العلوم الطبية والصيدلانية ، وكان من توابع

---

(١) شمس العرب تسطع على الغرب ترجمة فاروق بيضون وكمال الدسوقي ـ الطبعة الثانية ص ٢٢٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٢١٨ .

المستشفيات الإسلامية مكتب لتعليم قراءة القرآن . وكان المؤذنون يؤذنون في السحر ، وقبل الفجر بساعتين ، بصوت رخيم وأدعية دينية لتخفيف ضجر المرضى ، ولتطمئن قلوبهم بذكر الله ، وكان من توابع المستشفيات الإسلامية المساجد ، وقاعات لتدريس العلوم الفقهية . وأخرى للمؤرقين ليستمعوا للروايات والقصص وحتى الموسيقى دخلت في المعالجة في المستشفيات الاسلامية .

وفي مستشفى أرغون الكاملي في حلب كما يقول الأستاذ الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه[1] : (رتب فيه القراء يقرئون القرآن طرفي النهار ، وخبزاً يتصدق به . . . وجعل أمامه متكلماً على هذا البيمارستان فصنع له سحابة على إيوانه القبلي . . . إذ في هذه السحابة منفعة للضعفاء تقيهم الحر والبرد) .

لقد كانت المستشفيات الإسلامية مثالية تشبه إلى حد بعيد ما نراه في عصرنا هذا وتفوقها في أنظمتها العلاجية حيث كان يُقدم العلاج الممتاز بدون أجرٍ أو مقابل للمرضى وكذلك في أبنيتها الرحبة الواسعة التي كانت تشيّد في أماكن صحية تختار بعد دقة وتمحيص ، وفيها قاعات فسيحة ولكل مرض قاعته الخاصة به . وكذلك كانت المستشفيات تقسم إلى قسمين منفصلين تماماً ، واحد للرجال والآخر للنساء . وكانت مجهزة بكل أنواع الأدوية والأطباء على مختلف اختصاصاتهم ، وفي المستشفى كان يوجد ، صيدلية ، ومكتبة ، ومسجد ، وسبيل وحمامان ، واحد للرجال ، وآخر للنساء ، وقباب ، ومكتب لقراءة القرآن الكريم .

وفيما بعد انتشرت المستشفيات الإسلامية في جميع بقاع الدولة الإسلامية ، ومن أشهر تلك المستشفيات البيمارستان العضدي في بغداد ،

---

(١) تاريخ البيمارستانات في الاسلام ص ٢٥٥

الذي بناه عضد الدولة وهو أبو شجاع قنا خسرو بن ركن الدولة أبو علي الحسن بن بويه في صفر سنة ٣٧٢ هـ . والبيمارستان الصلاحي الذي بناه السلطان صلاح الدين في القدس الشريف سنة ٥٨٣ هـ . والبيمارستان الناصري أو الصلاحي الذي بناه صلاح الدين أيضاً في القاهرة سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م . والبيمارستان الكبير النوري الذي بناه السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي في دمشق سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤م . وبيمارستان مراكش الذي بناه أمير المؤمنين المنصور أبو يوسف المتوفي سنة ٥٩٥ هـ . والبيمارستان الكبير المنصوري ، الذي أنشأه السلطان المنصور قلاوون الصالحي الشهير ، بالألفي وذلك سنة ٦٨٢ هـ الموافقة لسنة ١٢٨٣ م في القاهرة ، وبيمارستان مكة المكرمة الذي انشأه المستنصر بالله جعفر سنة ٦٢٨ هـ بالجانب الشمالي من المسجد الحرام . وبيمارستان المدينة المنورة الذي جدده الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي سنة ٦٦٣ هـ . وبيمارستان غرناطة الذي أنشأه أمير المسلمين محمد بن يوسف بن إسماعيل .

وجاء في الموسوعة الفلسطينية[1] : (. . . ولا يعرف إلا القليل عمّا آلت إليه هذه البيمارستانات فيما بعد . . . وقد أصبح البيمارستان في العهد العثماني على ما يبدو مختصاً بالأمراض العقلية دون سواها . . .) .

وعن المستشفيات العربية تقول زيغريد هونكه في كتابها[1] شمس العرب تسطع على الغرب :

(إن الأوضاع التي يحدثنا عنها هذا الكتاب تشبه إلى حد بعيد ما نراه في قرننا العشرين العظيم . وبالفعل فإن هذا الكتاب يصف لنا أحد المستشفيات التي كانت تبنى قبل ألف سنة . في كل المدن العربية الكبيرة . . .

---

(١) المجلد الأول ص ٤٩٦ ـ الطبعة الأولى .

(١) ص ٢٢٨ .

فقد كان في مدينة قرطبة وحدها حمسون مستشفى في أواسط القرن العاشر . . . وكانت المستشفيات تتمتع بموقع تتوافر فيه كل شروط الصحة والجمال ، وتزوّد بماء جارٍ للحمامات . . .) .

وتستطرد وتقول في ص (٢٢٧) عن المستشفيات في بلاد العرب : (مستشفيات مثالية وأطباء لم يرَ لهم العالم مثيلاً . . . عندما تدخل من البوابة الكبيرة تعبر القاعة الخارجية . . . حيث يذهب كل مريض أول ما يذهب لكي يعاينه الأطباء المساعدون وطلاب الطب ومن لا يحتاج منهم إلى معالجة دائمة في المستشفى تعطى له وصفته فيحصل بموجبها على الدواء من صيدلية الدار . . .) . أما الذين بحاجة لدخول المستشفى يعرضون على رئيس الأطباء . ثم إذا كان المريض ذكراً يذهب إلى قسم الرجال ، أما النساء فيذهبن إلى قسم النساء .

ويوجد في المستشفى مكتبة وقاعة فسيحة لكي يحاضر فيها رئيس الأطباء في طلبة الطب وهنالك تجد في المستشفى أقساماً للجراحة وأخرى للأمراض الباطنية وللعيون ، وهكذا ، فلكل نوع من الأمراض قسم خاص به ويوجد قاعة للترفيه والنقاهة حيث توجد هنالك كتب للمطالعة أو بناحية أخرى تسمع الموسيقى . وفي الصباح يمر على المرضى رئيس الأطباء وكذلك مساعدوه ليتفقدوا أحوال المرضى وسير المرض فيهم .

والمستشفيات نظيفة جداً ، وكذلك الأسرة وفي أيام البرد تُدفأ والأكل وفير وممتاز ، وكان المريض يُعطى لباساً جديداً ونظيفاً وعندما يشفى من مرضه ويخرج من المستشفى كان يمنح هبات مالية حتى لا يجبر على العمل ، فتتغير صحته لذلك يحتاج للراحة بعض الوقت بعد خروجه من المستشفى .

وتقول المستشرقة زيغريد هونكه في كتابها (شمس العرب تسطع على الغرب) الذي نقله عن الألمانية فاروق بيضون وكمال الدسوقي الطبعة الثانية

ص ٢٢٩ : (. . . أما السلطان صلاح الدين في القاهرة فلقد أختار أحد قصوره الفخمة وحوّله إلى مستشفى ضخم كبير ، المستشفى الناصري ، وأنتقى في اختياره ذاك قصراً بعيداً عن الضوضاء . . . وتوافرت في مستشفيات الخلفاء والسلاطين كل أسباب الرفاهية التي كانت تتوافر في قصورهم من أسِرة وثيرة ناعمة إلى حمامات كانت تتمتع بها الطبقة الحاكمة في بيوتها . ومن المعلوم أن هذه المستشفيات على غناها ورفاهيتها كانت تفتح أبوابها للفقراء ولكل أبناء الشعب بدون تمييز) .

ومن أقوال السلطان قلاوون يقول الكتاب في ص ٢٢٩ بعد أن انتهى بناء المستشفى المنصوري : (إني قد وهبت هذا المستشفى إلى أندادي وأتباعي وخصصته للحكام والخدم ، للجنود والأمراء ، للكبار والصغار ، للأحرار والعبيد ، للرَجال والنساء على السواء) .

وعن المستشفيات الأوروبية جاء في كتاب (الطب العربي) للدكتور أمين أسعد خيرالله الجامعة الأميركية في بيروت) ص ٧٥ نقلاً عن : (Haggard: Devils, Drugs and Doctors P. 33) ما يأتي :

(. . . وهاك ما قاله مكس سوردو عن مستشفى أوتيل ديو في باريس الذي كان معاصراً لمستشفيات العرب والذي كان يعد حينئذٍ من أحسن المستشفيات في أوروبة قال : (في الفراش الواحد من الحجم المتوسط كان يرقد أربعة إلى ستة أشخاص الواحد بجنب الآخر وأرجل أحدهم فوق رأس الآخر وكان يرقد الأطفال بجانب الرجال المسنّين والنساء والرجال معاً . . . وفي الفراش الواحد امرأة في دور المخاض وبجانبها طفل بحالة التشنج ومصاب بالتيفوس في حالة الهذيان من ارتفاع الحرارة ومريض بالسل يسعل سعالاً متواصلاً . وبجانب كل هؤلاء شخص مصاب بمرض جلدي يحك جلده حكاً شديداً بأظافره الطويلة . . . أما الأكل فكان من أردأ الأصناف

وقليل الكمية ويُعطى بأوقات غير منتظمة . . . والبناية نفسها تعجّ بالحشرات الدنيئة وكان هواء قاعات المرضى فاسداً كريهاً لا يجرؤ الخدمة أن يدخلوها إلا إذا سدّوا أنوفهم بالقطن المبلول بالخل . . . وكانت جثث الموتى تُترك أحياناً ٢٤ ساعة أو أكثر قبل أن تُرفع من فراش المرضى وكانت تتصاعد منها الروائح الكريهة ويحوم فوقها الذباب) .

ولم تعرف المستشفيات الأوروبية إلا في أواخر القرن الثاني عشر بعد أن عُرفت أثناء الحروب الصليبية من العرب الذين شيدوها منذ سنة ٧٠٦ م عندما بنى الخليفة الوليد بن عبد الملك بيمارستانه المعروف . وبهذا الصدد تقول الدكتورة زيغريد هونكه في كتابها[١] : (كانت العناية بالصحة والمرض منوطة بالآباء البندكتيين في أديرتهم . . . إلا أن مستشفيات مخصصة للمرضى ما كانت لتقوم في أوروبة قط إلا في نهاية القرن الثاني عشر بعد الحملات الصليبية . . . .) .

كان أوتيل ديو (Hotel Dieu) أو مأوى الله أقدم مستشفى في باريس الذي أسسه القديس لاندري وقد احترق سنة ١٧٧٢ ولكنه بُني من جديد . وكان المرضى قبل ذلك يأوون إن لزم الأمر في الأديرة . والرهبان يقومون على رعايتهم .

ويُقال إن أول مستشفى كان به طبيب رسمي هو مستشفى ستراسبورغ سنة ١٥٠٠ م . ثم خطت خطواتها مدينة ليبزج Leipzig وذلك سنة ١٥١٧ م ثم مدينة باريس سنة ١٥٣٦ م حيث أنشأت أوتيل ديو .

كانت المستشفيات الأوروبية غير منظمة وقذرة وبهذا الصدد تقول الدكتورة زيغريد هونكه في كتابها شمس العرب تسطع على العرب ص

---

(١) شمس العرب تسطع على الغرب ص ٢٢٥ .

٣١٢ ـ ٣١٣ : (حين نقل الطبيب الكبير هارمان بورهافه Hermann Boerhaave من مدينة لايدن طلبة العلم الأوروبيين من الدراسة النظرية الصرفة إلى الدراسة التطبيقية في المستشفيات تلك المستشفيات التي كانت في درجة مخيفة من التأخر والقذارة) .

أما عن الطب عند العرب فقد قيل :

(العرب . . . بلغت مهنة الطب عندهم أثناء القرن الثامن إلى الحادي عشر من المكانة والأهمية ما نكاد لا نجد له مثيلاً في التاريخ) . هذا ما قاله العالم السير وليم أوسلر في كتابه (تطور الطب) نقلاً عن كتاب(١) الطب العربي تأليف الأستاذ الدكتور أمين أسعد خيرالله .

أما الدكتور بيارد دودج رئيس الجامعة الاميركية السابق في بيروت يقول : (إن تراث العرب العلمي لا يقل سمواً عن تراث اليونان والرومان . وهذا التراث كان أساس الثقافة الأوروبية خلال عدة عصور(٢)) .

ويقول الأستاذ قدري حافظ طوقان في كتابه العلوم عند العرب(٣) : (ومما يدل على تقدير الغربيين للطب العربي ورجاله ، أن جامعة برنستون الأميركية قدرت خدمات الحضارة الإسلامية وأفضالها على الإنسانية والثقافة فراحت تخصص أفخم ناحية في أجمل أبنيتها لمآثر علم من أعلام الحضارة الخالدين ـ الرازي) .

حقاً إن المسلمين شيدوا حضارة لا مثيل لها في التاريخ ، وذلك بشهادة

---

(١) ص ٩ ـ بيروت الطبعة سنة ١٩٤٦ .

(٢) نقلاً عن المصدر السابق ص ١٠ .

(٣) ص ١٨ .

علماء الغرب المنصفين فيجب علينا أن نحيي تراثنا ونرفع اللثام عن أمجادنا ليظهر لأحفادنا وأبنائنا ما كنا عليه من حضارة وعلم كي يشحذوا عزيمتهم ونصل إلى العلياء بالعلم والمعرفة كما كان سلفنا الصالح .

إن شعباً وأُمةً ، هي خير أُمةٍ أُخرجت للناس ، ولها تلك الحضارة لقادرة على الوصول إلى ما تصبو إليه التكنولوجيا والعلم التي كانت رائدته .

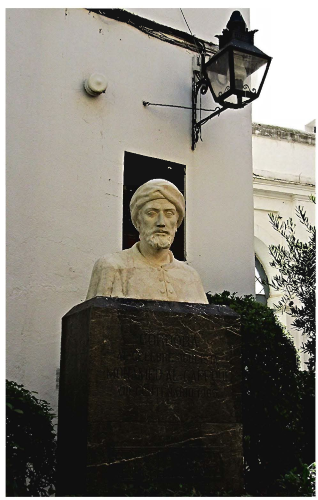
وشعب له تلك الاكتشافات والمدنية لجدير أن يقوم بكل ما يتطلبه العلم الحديث .

فهبواْ يا أبناء الإسلام ، ويا خير أُمةٍ أُخرجت للناس ، وكونوا كأجدادكم في العلم والمعرفة ، فهم الذين أناروا السبيل إلى الحضارة الحديثة ، ولولاهم لانطفأ سراج المدنية العالمية وظلت تتخبط في دياجير الظلمات قروناً عديدة وذلك بشهادة علماء العالم .



ألزهراوي في أحد مستشفيات ألأندلس





منزل ألزهراوي في قرطبه

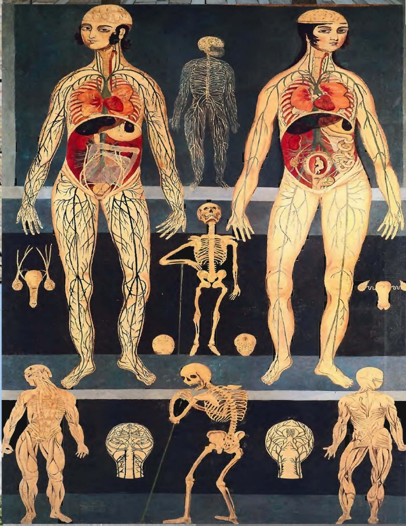
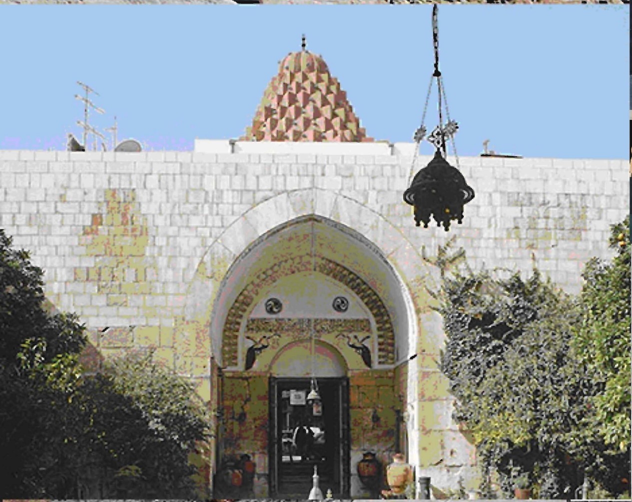
الفصل الأول

لمحة تاريخية عن الأحوال الطبية

١ ـ حالة الطب قبل الإسلام

٢ ـ حالة الطب عند المسلمين


بيمارستان ارغون الكاملي
بناه الأمير ارغون الكاملي ٧٥٥هـ - ١٣٥٤م
BIMARISTAN ARGUN
ERRECTED BY ARGUN AL KAMILI
755H. - 1354 A.B.





١ ـ حالة الطب قبل الإسلام

حاول الإنسان منذ أن خُلق أن يتخلص من أوجاعه بمداواة أسقامه ، وقد اقترن العلاج بشيء من السحر والخرافة والتنجيم والتعاويذ . وعرف المصريون القدماء منذ آلاف السنين صناعة الطب فهاكم ايمحوتب كان طبيباً وبنّاءاً ماهراً بنى هرم سقارة حوالي ٢٧٨٠ ق . م . وتقول عنه الموسوعة[١] العربية الميسرة : (إيمحوتب : وزير من المصريين القدماء شغل منصب الوزارة أيام الملك زوسر أول ملوك الأسرة الثالثة إمام البنائين والمشتغلين بالطب) .

كذلك عرف السومريون والبابليون بعض العلوم الطبية وكانوا يعيشون في بلاد ما بين النهرين .

أما الحضارة اليونانية فقد ظهرت بوادرها في ما بين القرن السادس والثالث قبل الميلاد ، وقد اقتبسوا حضارتهم هذه من الشرق وبهذا الصدد فقد جاء في كتاب (الأمراض[٢] النسوية في التاريخ القديم وأخبارها في العراق الحديث) تأليف الدكتور كمال السامرائي :

---

(١) ص ٢٩١

(٢) ص ١٢ ـ ١٧ .

(أثناء حكم السلالة الكلدانية ببابل ، في ما بين القرن السادس والثالث قبل الميلاد ظهرت بوادر الحضارة اليونانية وحصلت بين الشعبين العربي واليوناني المتجاورين على حدود آسيا الصغرى إتصالات من نوع خاص ودخل فيثاغورس بابل وتعلم فيها الرياضيات والموسيقى ورجع إلى (كروتون) بإيطاليا حيث أسس فيها مدرسته الشهيرة ، وصار يحاضر فيها عن حضارة بابل وأفكار علمائها . . . وفي القرن السادس ق . م . أو قبله بقليل ظهرت مدرسة في جزيرة (قنيدس) ثم أخرى في (قوص) القريبتين من الشاطىء الغربي لآسيا الصغرى واشتهرت جزيرة قوص لانتساب أبقراط أبي الطب إليها حيث وُلد ودرس الطب في مدرستها ومارسه في ساحاتها قبل أن ينتقل إلى أثينة واشتهرت قنيدس بدراستها للأمراض النسائية والتوليد . . . ويعتبر أبقراط (٤٦٠ ـ ٣٧٥ ق . م) أول من أهتم بطبابة المرأة ، وما يخص أنوثتها وحبلها . . .) .

ولقد ازدهرت الاسكندرية بجامعتها الشهيرة في القرن الرابع ق . م . والتي أنشأها بطليموس الأول أحد كبار قواد الاسكندر الأول الذي أصبح والياً على مصر بعد وفاة الاسكندر سنة ٣٢٣ ق . م . وقد أسس سلالة الآجيين أو البطالسة وأصبح ملكاً على مصر (٣٠٥ ـ ٢٨٣ ق . م .) وجعل الاسكندرية عاصمة له وأسس فيها مكتبة وجامعة كبيرة . وبهذا الصدد فقد جاء في الموسوعة[1] العربية الميسرة : (بطليموس الأول : . . . حكمت أسرته البطالمة مصر ٣٢٣ ـ ٣٠ ق . م . . . إتخذ لقب ملك ٣٠٥ ق . م . . . عنى بجعل الإسكندرية عاصمة الحضارة الإغريقية ، فكان يدعو إليها الكثيرين من شعراء الإغريق وأدبائهم وفلاسفتهم . . . وأنشأ جامعة الاسكندرية ومكتبتها الكبرى . . . .) .

---

(١) ص ٣٧٩ ـ الطبعة الت[illegible] .

لقد بنى الاسكندرية الاسكندر الكبير سنة ٣٣٢ ق . م . وأصبحت عاصمة البطالسة وكانت حضارتها يونانية وفتحها أكتافيوس سنة ٣٠ ق . م . وضمها إلى الأمبراطورية الرومانية ثم فتحها المسلمون سنة ٢٢ هـ / ٦٤٢ م .

وجاء في كتاب (الأمراض[1] النسوية في التاريخ القديم وأخبارها في العراق الحديث) : (في القرون الثلاثة التي سبقت الميلاد كانت الاسكندرية مركز العلم والعلماء في دنيا تلك الحقبة . . . ظهر في الاسكندرية العالم الفسيولوجي الشهير ايراستراتوس (٣١٠ ـ ٢٥٠ ق . م) مساعد هيروقلس عالم التشريح الكبير وواضع قواعد هذا العلم ، وينسب إلى ايراستراتوس استعمال أول آلة لتقطيع الجنين في الولادات العسرة . . . وفي القرن الثاني ب . م ظهر في الإسكندرية . . . جالينوس المتوفي سنة ٢٠١ م . . . وهو على العموم أعمق في معرفة موضوع التشريح بالذات من أبقراط . . . وظهر في الاسكندرية أيضاً في زمن يسبق قليلاً دخول العرب إلى مصر سنة ٢٢ هـ / ٦٤٢ م بعض الأطباء الذين لهم باع طويلة في الطب النسوي ، منهم القس أهرن بن أعين ، وأتيوس الآمدي ، وبولس الأجيني . . .

وأصل أهرن بن أعين من يعاقبة الاسكندرية انخرط في سلك الرهبنة ثم تعلم الطب وله كناس معروف باسمه ترجمه إلى العربية الطبيب البصري مارسرجويه في خلافة مروان بن عبد الملك . . . أما يولس الأجيني فهو من مواليد جزيرة أجينا القريبة من شواطىء أثينة أبحر إلى الاسكندرية وتعلم الطب فيها وهو جراح أكثر مما هو طبيب . . . سماه الأطباء العرب (بولس القوابلي) .

---

(١) ص ٢٤ ـ ٣٢ تأليف الدكتور كمال السامرائي رئيس قسم الأمراض النسائية والتوليد في كلية طب بغداد ١٩٥٠ .

... وإيتوس الامدي آو الديار بكري يونـاني الأصل من مـواليد ديـار بكر وإليها يُنسب . درس الطب في الاسكندرية والتحق بحاشيـة الأمبراطـور البيـزنـطي جستـانيـان الأول (٥٢٧ ـ ٥٦٥ م) يعتبـر مـن أطبـاء اليونان ....) ... عند دخول عمرو بن العاص مصر سنـة ٢٢ هـ / ٦٤٢ م ... انبـرى لإحيـاء تـراثهـا القـديم بعض علمـائهـا أمثـال كـلادوس ، وجانسيوس ، وأهرن القس ويحيى النحوي وربما شارك هؤلاء الـطبيب العربي عبد الملك بن أبجر الكناني ...)

وقبل الإسلام كان يوجـد في بلاد فـارس في إقليم خوزستـان في مدينـة جُنْدَيْسابور بيمارستان شهير ويدعى بيمارستـان جنديسـابور ، وكـان من أكبر البيمارستانات في ذلك العصر . وفيه مدرسـة طبية عـظيمة تخـرّج منها أطبـاء عرب أكفاء مثل الطبيب الذي عاصر الرسول ﷺ وكان يوصي بالتطبب عنـده واسمه الحارث بن كَلَدة الثقفي .

وتخرج أيضاً من مـدرسة طب جنـديسابـور النَضْر بن الحارث بن كَلَدة الـذي كان من أعـداء الـرسـول ﷺ وكـان بيمـارستـان جنـديسـابـور المعـين للمسلمين على تشييد بيمارستان لهم فيما بعد وقد ظل له مركز مهم مدة طويلة حتى بعد قيام دولة العباسيـين . وكذلـك اشتهر في مـدينة جنـديسابـور أطباء عـظماء من النساطـرة السريـان . واستطب عنـدهم الخلفاء المسلمـون مثل : الـطبيب جورجيس بن بختيشـوع الـذي كـان رئيس الأطبـاء في بيمـارستـان جنديسابور ، وأحضره الخليفة أبو جعفر المنصور عندما ألمّ به مَرض سنة ١٤٨ هـ فبرىء الخليفة ، وحظي الطبيب جـورجيس عنده بمنـزلة رفيعـة ولكن عاد جورجيس إلى جنديسابور وترك الخليفة لأنه أصيب بمرض سنة ١٥٢ هـ .

ومن أطبـاء بيمـارستـان جنـديسـابـور الـطبيب الشهـير بختيشـــوع بن جورجيس ، الذي داوى كل من الخليفة المنصور والمهدي ، وكـذلك هـارون

الرشيد وذلك في سنة ١٧١ هـ ، فعينه لكفاءته رئيساً على جميع الأطباء .

ومن أطباء بيمارستان جنديسابور جبريل بن بختيشوع الذي خدم الخليفة هارون الرشيد ثلاثة وعشرين عاماً ، وخدم من بعده كل من الخليفة الأمين والمأمون .

وبختيشوع بن جبريل كان أيضاً من أطباء بيمارستان جنديسابور المشهورين ، وخدم الخليفة الواثق بالله ، والمستعين بالله ، والمهتدي بالله والمتوكل على الله .

وماسويه كان أيضاً من أطباء بيمارستان جنديسابور وكان طبيب هارون الرشيد .

وجنديسابور هذه كما يقول عنها كتاب المنجد[1] في الأعلام : (مدينة إيرانية في خوزستان . أسسها سابور الأول واسكن فيها الشعوب اليونانية التي أسرها ، فتحها أبو موسى الأشعري (٦٣٨) في عهد عمر بن الخطاب . اشتهرت بمدرستها الطبية ولغتها الآرامية) .

وسابور الأول كما تقول عنه الموسوعة العربية[2] الميسرة (شابور الأول : سابور أو شهبور (توفي ٢٧٢) ملك فارسي (٢٤١ - ٢٧٢) إبن اردشيرا . . . من الأسرة الساسانية . . . في ٢٦٠ هزم شابور الأمبراطور فاريان عند أديسا . . . هزم أذينة أمير تدمر شابور وحاصر المدائن ، ومع ذلك فقد أمن شابور نفوذ الفرس من جهة الغرب وأعاد بناء فارس اقتصادياً . . .) .

ولقد بنى مدرسة جنديسابور الطبية وبيمارستانها الملك كسرى الأول

---

(١) ص ١٧٤ - الطبعة الثانية - دار المشرق - بيروت - لبنان .
(٢) ص ١٠٦١ - طبعة ثانية ١٩٧٢ .

الساساني . وبهذا الصدد فقد جاء في كتاب (تاريخ[1] البيمارستانات في الإسلام) ما يلي : (جنديسابور ، مدينة بخوزستان ويُقال لها الخوز ، وقد اشتهرت هذه المدينة بمدرستها الطبية وبيمارستانها) .

لقد كانت العلوم الطبية تُدرس باللغة الآرامية في مدرسة الطب في جنديسابور ، وكان النساطرة السريان المسيحيون ، يتقنون تلك اللغة وخصوصاً رجال عائلة بختيشوع التي نبغ منها أطباء عديدون مشهورون ، وكان لهم الأثر البليغ في نقل العلوم الطبية للبلاد الإسلامية وخصوصاً الحضارة الإغريقية التي نقلها آل بختيشوع إلى بغداد بتشجيع وإغراء من الخلفاء المسلمين أمثال هارون الرشيد والمأمون .

ونسطور مسيحي سوري الأصل ، كان عالماً وبطريركاً على القسطنطينية ، وهو وأتباعه نقلوا المخطوطات والعلوم الإغريقية إلى بلاد فارس . وجاء في كتاب[2] المنجد في الاعلام : (نِسطور : نحو ٣٨٠ - ٤٥١) . وُلد في قيصرية سورية . بطريرك القسطنطينية (٤٢٨) حرمه مجمع أفسس المسكوني (٤٣١) قال : بأقنومين في المسيح . أتباعه هم النساطرة) .

أما الموسوعة[3] العربية الميسرة فتقول : (. . . نسطوريوس بطريرك القسطنطينية حين أعترض على تسمية مريم العذراء بوالدة الإله ، . . . عارضه كيرلس الإسكندري وأنعقد بسبب هذه المشكلة ثلاثة مجامع دينية متلاحقة : مجمع أفسوس ٤٣١ ، ومجمع خلقدونية ٤٥٠ ، ومجمع القسطنطينية ٥٥٣ ، وقررت كلها أن للمسيح طبيعتين : إلهية وإنسانية

---

(١) ص ٦١ تأليف الدكتور أحمد عيسى بك - المطبعة الهاشمية بدمشق ١٣٥٧هـ / ١٩٣٩م .
(٢) ص ٥٢٣ - طبعة ثانية
(٣) ص ١٨٣٢ - طبعة ثانية

متحدتين في أقنوم واحد ، وقوام إلهي واحد . ناصرت كنيسة إنطاكية مذهب نسطوريوس ، ولكن لم يبق معه إلى النهاية إلا كنيسة فارس التي صارت الكنيسة النسطورية ولا يزال لها أتباع في العراق وإيران وملابار والهند . طقوسها سريانية شرقية ، وتدعى أحياناً بالكنيسة الآشورية . ورد ذكرها عند الشهرستاني في كتابه (الملل والنحل) وابن حزم في (الفصل في الملل والأهواء والنحل) والباقلاني في (التمهيد) .)

وعن نِسطور جاء في كتاب[1] روّاد الطب : (. . . وكان من رأيه ، أن مريم العذراء ، وإن كانت والدة المسيح يجب ألا تُعبد ذلك لأنها لم تكن والدة الله لأن الله ليس له والدة الأمر الذي أغضب رجال الكنيسة . . . وفي نهاية الأمر رُجم أتباع نسطور في الشوارع وحُرم بطريرك القسطنطينية من الكنيسة ونُفي إلى صحراء ليبية . . . ومن صحراء ليبية تمكن نِسطور من التوجه إلى أديسا Edessa في آسيا الصغرى ، وهناك أسس في الوقت الملائم مدرسة دعا إليها أساتذة من المسيحيين والسوريين واليهود للتدريس فيها ومكتبة . . . وأصبحت المدرسة ومكتبتها ذائعتي الصيت فِي كل أنحاء الشرق ، ولكن أعداء نسطور لم يتركوه وشأنه في نشر تعاليمه ، بل أغلقوا مدرسته وشتتوا أساتذتها ففرّ بعضهم إلى الهند وبعضهم إلى الصين ، والبعض الآخر إلى سيبيريا . أما نسطور نفسه فقد لجأ إلى بلاد الفرس وأقام في مدينة (جندي شابور) وحمل معه عدداً من المخطوطات الجلدية من بينها تلك التي تحتوي على مبادىء أبقراط . . .) .

ويستطرد ويقول المصدر[2] السابق : (. . . . وفي هذه المدينة (جندي شابور) وجد نسطور الهدوء والمأوى) .

---

(١) ص ٥٢ ـ ٥٣ تأليف كاترين شيبين ترجمة .

(٢) ص ٥٤ كتاب رواد الطب .

٢ ـ حالة الطب عند المسلمين

عندما سطع نور الإسلام ، الذي دستوره القرآن الكريم المعجزة الخالدة على مرّ الأزمان ، في كل عصر ومكان . والآية الكبرى التي أيّد بها الله رسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه ، اهتم بصحة الفرد والمجتمع ، فبيّن للإنسان ما يعنيه لرعاية وحفظ صحته ، مع أن القرآن الكريم كتاب عقيدة إلا أنه أنزل تبياناً لكل شيء مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ ... **ما فرطنا في الكتاب من شيء** ﴾ (الإنعام : ٣٨) ... ﴿ **ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء** ... ﴾ (النحل ٨٩) .

ولقد ضرب الله فيه من كل الأمثال : ﴿ **ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثلٍ** ... ﴾ (الكهف : ٥٤) .

وهاكم ما يقوله العالم الشهير رينان[١] عن الإسلام : (ما دخلت مسجداً قط ، إلا عراني خشوع يمازجه أسف على أني ، لم أكن مسلماً ...) .

أما الدكتور العالم موريس بوكاي يقول : (تناولت القرآن الكريم منتبهاً بشكل خاص إلى الوصف الذي يعطيه عن حشد كبير من الظاهرات

---

(١) نقلاً عن كتاب تاريخ البيمارسنانات في الاسلام تأليف الدكتور أحمد عيسى بك ص (ح) .

الطبيعية . لقد أذهلني دقة بعض التفاصيل الخاصة بهذه الظاهرات . . . والتي لم يكن ممكناً لأي إنسان في عصر محمد ﷺ أن يكوّن عنها أدنى فكرة)[1] .

لقد عالج القرآن الكريم موضوعات عديدة تختص برعاية صحة الإنسان كالنظافة ، والرياضة ، والأغذية وتحريم الفواحش والخبائث ، وأكل الطيبات ومن تلك الآيات الكريمة : ﴿ **وثيابك فطهّر** ﴾ (المدثر : ٤) و﴿ **إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين** ﴾ (البقرة : ٢٢٢) و﴿ . . . **وأقيموا الصلاة** ﴾ (المزمل : ٢٠) و﴿ **خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين** ﴾ (الأعراف : ٣١) و﴿ . . . **ويحلُّ لهم الطيبات ويُحرم عليهم الخبائث** ﴾ (الأعراف) ١٥٧) و﴿ **حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ، وما أُهِلَّ لغير الله به والمنخنقة ، والموقوذة ، والمتردية والنطيحة** . . . ﴾ (المائدة : ٣) .

ولقد حاربت الشريعة الإسلامية كل مصادر العدوى والمرض سواء كان ذلك بنقلها من الشخص المريض إلى الشخص السليم بواسطة ، حاملي الجراثيم ، أو العدوى من الحيوانات أو بطريقة التنفس ، أو بالطعام ، أو الشراب ، أو الملامسة ، أو بالحشرات ، أو بتلوث البيئة ، أو بتحريم الطيبات أو بتعاطي المحرمات ، فأباحت الطيبات وحرّمت الخبائث والمحرمات .

لقد حرّم الإسلام تعاطي المحرمات للأضرار التي تتركها في الأبدان والأنفس ، فحرّم الخمر والميسر والأنصاب والأزلام لأنها رجسٌ من عمل الشيطان وحلل الإسلام أكل الطيبات لأنها تنفع الأجسام وتحفظ الصحة .

---

(١) ص ١٤٥ من كتاب القرآن الكريم والتوراة والإنجيل تأليف الدكتور الفرنسي موريس بوكاي .

وكذلك أرسى الاسلام قواعد الطب الوقائي فدرهم وقاية خير من قنطار علاج ، فبيّن الوسائل والمصادر التي تؤدي إلى التهلكة ، وحذّر منها ، وطلب الإبتعاد عنها فروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (فر من المجذوم كما تفر من الأسد) رواه البخاري .

وعن ابن عمر قال رسول الله ﷺ : (طهّروا هذه الأجساد طهركم الله) . رواه الطبراني . وعن سعد بن أبي وقاص قال رسول الله ﷺ : (نظفوا أفنيتكم . . .) رواه الترمذي . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (لولا أن أشق على أُمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة) رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (لا يوردن ممرض على مصح : رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما .

وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (غطوا الإناء ، وأوكئوا السقاء . . .) رواه مسلم في صحيحه وأحمد والحافظ السيوطي في الجامع الصغير .

ولقد نهى صلوات الله وسلامه عليه عن الشرب من في السقاء ، والتنفس في الإناء ، وذلك لاحتمال وجود الجراثيم الممرضة في فم الشارب ونفسه والتي قد تنتقل منه إلى الإناء الذي شرب منه أو تنفس فيه .

وجاء في كتاب زاد المعاد في هدي خير العباد[1] : (. . . . وقد روى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبدالله ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (غطوا الإناء وأوكئوا السقاء) .

---

(١) تأليف الإمام ابن قيّم الجوزية ـ الجزء الثالث ص ١٤٠ ـ المطبعة المصرية .

وجـاء أيضـاً[٣] : (. . . وفي سنن أبي داود من حـديث أبي سعيـد الخدري قال : نهى رسول الله ﷺ عن الشرب من ثلمـة القدح ، وأن ينفـخ في الشراب . . .) .

وجاء في موطـأ الإمام[١] مـالك : (أخبـرنا مـالك ، أخبـرنا محمـد بن المنكدر ، أن عامر بن سعد بن أبي وقـاص أخبره أن أسـامة بن زيـد أخبره ، أن رسول الله ﷺ قال : إن الطاعون رجز أرسل عـلى من قبلكم . . . قال : فإذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوا عليه ، وإذا وقع في أرض فلا تخرجوا فراراً منه . . .) .

وجـاء في كتـاب[٢] التـرغيب والتـرهيب انتقـاء بن حجَـر العسقـلاني صححه وضبطه محمد المجذوب : (عن أبي هريرة رضي الله عنه : (من نام وفي يـده غَمرَ ولم يغسله ، فـأصابـه شيء فلا يلومنّ إلا نفسـه) رواه أبو داود والتـرمذي وحسنـه ، وصححه ابن حيـان ، ورواه ابن ماجـة عن أبي هريـرة وعن فاطمة عليها السلام) .

وجـاء في كتاب (مختـار الحسن[٣] والصحيح من الحـديث الشـريف : (عن عمـرو بن شعيب عن أبيـه عن جـده أن رسـول الله ﷺ قـال : (من تطبَّب ولم يُعلم منه طِبّ فهو ضامن) (فهو ضامن : أي مسؤول عن الضـرر شرعاً) أخرجه أبو داود . .

وقـال الرسـول ﷺ عن العدوى : (لا يحـلُّ المُمْـرَض عـلى المصِـحّ .

---

(١) المصدر السابق الجزء الثالث / ص ١٤١ .

(٢) ص ٣٣٦ حـديث رقم ٩٥٥ ـ موطـأ الإمام مـالـك ـ دار الكتب العلميـة بيـروت ـ الـطبعـة الثانية .

(٣) ص ٢٥٤ حديث رقم ٨٦٦ .
اختيار وتعليق عبد البديع صقر ص ٣٨٦ .

وليحلل المُصِحّ حيث شاء . فقالوا : يا رسول الله . وما ذاك ؟ فقال رسول الله عليه السلام : (إنه أذى) . . سنن ابن ماجة ٢ : ١١٧١ رقم الحديث ٣٥٤١ .

وقال صلاة الله وسلامه عليه : (ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطن بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه) أخرجه الحافظ السيوطي في الجامع الصغير .

وروى الإمام أحمد والترمذي وابن ماجة والحاكم عن المقدام بن معديكرب أن رسول الله ﷺ قال : (ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) .

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : (الأزم دواء ، والمعدة بيت الداء ، وعودوا كل بدن ما أعتاد . . .) .

وقال صلوات الله وسلامه عليه : (لا تدعوا العشاء ولو بكف من تمر إن تركه يهرم) . رواه ابن ماجة والترمذي عن جابر . وفي رواية (فإن تركه بهرمة) .

وروى الحافظ السيوطي في الجامع الصغير أن رسول الله ﷺ قال : (اذيبوا طعامكم بذكر الله ولا تناموا عليه فتقسوا قلوبكم) .

ولقد حث الإسلام على طلب العلم ونشره فقال سبحانه وتعالى في قرآنه المجيد : ﴿ . . . **وقل رب زدني علماً** ﴾ (طه : ١١٤) وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** ﴾ (المجادلة : ١١) .

وهنالك العديد من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة تحث على طلب العلم ، لذلك ازدهرت الحضارة الإسلامية وخصوصاً في العصر العباسي . ويقول الدكتور حسن ابراهيم حسن في كتابه[1] : (اهتم العباسيون بنشر العلوم الطبية وتقدمها فشجعوا الأطباء ، وأسسوا المدارس الطبية والمستشفيات ، ودعوا إلى عقد المؤتمرات الطبية التي كان يجتمع فيها الأطباء من كافة البلاد في موسم الحج ، حيث يعرض الأطباء نتائج أبحاثهم ويعرضون نباتات البلاد الإسلامية ويصفون خواصها الطبية . وأصبحت بغداد في الشرق وقرطبة في الغرب من أهم مراكز الثقافة الطبية الإسلامية ، وقد أمر أبو جعفر المنصور الذي يعتبر المؤسس الثاني للدولة العباسية ببناء مستشفى للعميان ومأوى للمجاذيب وملجأً للعجائز في بغداد . وشيّد هارون الرشيد مستشفى كبيراً لتعليم الطب وزوّده بالمؤلفات العلمية . . .) .

وازدهرت الترجمة في عصر الخليفة المأمون العباسي الذي طوّر بيت الحكمة في بغداد ، وفيها مكتبة ينقل فيها المترجمون المؤلفات اليونانية للعربية وكان المأمون يدفع إلى حنين المترجم ثقل الكتب التي يترجمها ذهباً .

ولقد أنهال المترجمون إلى العاصمة بغداد وذلك بتشجيع من الخلفاء العباسيين ، وكانوا يترجمون الكتب العلمية وخصوصاً الطبية من السريانية واليونانية والفارسية للعربية . وكان أغلب المترجمين في بادىء الأمر من المسيحيين ومنهم : تيوفيل بن توما الرهاوي Theophilos d’Eddessa المتوفي سنة ٧٨٥ م / ١٦٩ هـ ، وعاش في عصر الخليفة المهدي وهو ثالث خليفة عباسي ، وقد ترجم للعربية من السريانية كتاباً لجالينوس .

ومن المترجمين أيضاً جورجيس بن جبريل بن بختيشوع الذي توفي سنة ٧٧١ م / ١٥٥ هـ وكان في مدرسة جنديسابور وهو نسطوري عاصر الخليفة

---

(١) تاريخ الاسلام ج ٢ / ص ٣٥٤ ـ ٣٥٥

المنصور وآسرة بختيشوع مشهورة بالعلم والطب ومن آشهر رجالاتها جبريل ابن بختيشوع الذي توفي سنة ٨٠٠ م / ١٨٤ هـ وهو حفيد جورجيس . في أيام المنصور اشتهر من المترجمين أبو يحيى البطريق المتوفي سنة ٨٠٠ م / ١٨٤ هـ وأيضاً ابنه زكريا . وكذلك نبغ من الايرانيين مترجمون أمثال محمد بن ابراهيم الفزاري الذي توفي سنة ٨٠٠ م /١٨٤ هـ وكذلك يعقوب بن طارق المتوفي سنة ٧٩٦ م / ١٨٠ هـ .

وعبدالله بن المقفع كان من المترجمين للعربية من اللغة الفهلوية وهي اللغة الفارسية القديمة التي استعملت أيام حكم الساسانيين .

ومن المترجمين أيضاً النسطوري أبو زكريا يوحنا بن ماسويه وكان في جنديسابور وتوفي سنة ٨٥٧ م / ٢٤٣ هـ وهو من أصل غير عربي .

ومن المترجمين أيضاً حنين بن إسحق (٨٠٩ ـ ٨٧٣ م) (١٩٥ ـ ٢٦٠ هـ) . وهو نصراني مولود في الحيرة وترجم الكثير من الكتب اليونانية إلى السريانية والعربية ومن مؤلفاته (المدخل في الطب) . وكذلك من المترجمين إسحق بن حنين الذي توفي عام ٢٩٩ هـ / ٩١١ م في بغداد وترجم كتب الفلسفة والرياضيات عن اليونانية للعربية . وكذلك ابن أخت حنين ابن إسحق المسمى حبيش بن الأعم فترجم كتب جالينوس للعربية .

علاوة عن الأطباء الأكفاء الذين تخرجوا من المركز الطبي في جنديسابور ، فقد أنجبت الحيرة أطباء أكفاء من آل حنين .

والحيرة[1] هي : (قاعدة الملوك اللخميين بين النجف والكوفة ، كان أهلها من النساطرة المسيحيين . . . تحالف ملوكها مع البلاط الفارسي وعملوا على صيانة الحدود الأمبراطورية قضي عليهم بعد وفاة النعمان ٣ء (٦٠٢) فتحها خالد بن الوليد ٦٣٣ م . .) (١٢ هـ) .

(١) المنجد في الاعلام ص ١٩٩ ـ طبعة ثانية

ومن أشهر أطباء آل حنين هو حنين بن إسحاق الذي تعلم الطب على يد حنا بن ماسويه ، وقد أتقن اللغة السريانية واليونانية والعربية . وحنين بن إسحاق (٨٠٩ ـ ٨٧٣) وُلد في الحيرة وهو طبيب نصراني نسطوري من قبيلة عياد العربية ، وقد أصبح رئيساً لبيت الحكمة أيام الخليفة المأمون وكان شيخ المترجمين ورئيسهم فنقل الكثير من الكتب من اللغة اليونانية للعربية ومن كتبه (عشر مقالات في العين) . وكان الخليفة المأمون يعطيه من الذهب بوزن ما يترجمه من الكتب وبهذا الصدد جاء في كتاب[١] رواد الطب : (. . . وكان أشهر تراجمة عصره يدعى حنين وكانت ترجماته تحظى بقدر كبير من التقدير حتى كان يقدر ثمنها بوزنها بالذهب ، وكان يعمل تحت إشراف هذا العالم العظيم تسعون مترجماً . . .) .

وجاء في كتاب (الموجز[٢] في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب) : (أما الرهط الثاني فكانوا من أهل الحيرة وعلى رأسهم حنين بن إسحاق وهو من أكبر نوابغ ذلك العصر وكان معه ابنه اسحاق و ابن اخته حبيش . . .) .

وجاء في المصدر[٣] السابق (حنين بن إسحاق . . . أقام في البصرة ثم انتقل إلى بغداد واشتغل فيها بالطب إلى أن توفي فيها . . . وكان طبيباً بارعاً ومترجماً بارعاً . . . وله عدة مؤلفات . . . وأشهر كتبه كتاب (العشر مقالات في العين) وبه عيّن رئيس الأطباء ببغداد . . .) .

أما إسحاق بن حنين فقد كان طبيباً ومترجماً ماهراً نقل إلى العربية عن اليونانية بعض الكتب .

علاوة على ما ذكرنا من الأطباء الأوائل فقد ظهر من أهل حرّان أطباء

---

(١) ص ٥٦ ـ تأليف كاترين شيبين .

(٢) ص ٢٢ ـ ٢٣ تأليف مجموعة من الأطباء والكتّاب باشراف الدكتور محمد كامل حسين .

(٣) ص ٢٥٧ .

نوابغ مثل : ثابت بن قرّة وابنه سنان .

ولقد نبغ سنان في الطب أكثر من والده ودليلنا على ذلك أن الخليفة المقتدر قد عهد إلى سنان بإمتحان من يرغب في ممارسة صناعة الطب وهذه المهمة لا تناط إلا لمن بلغ درجة عظيمة في الطب وأصبح متبحراً ومتضلعاً بعلومه .

وكان سنان بن ثابت بن قُرّة[1] : (طبيب صابئي من أصل حرّاني ، نشأ ببغداد . رئيس الأطباء في عهد المقتدر العباسي (٩٠٨ ـ ٩٣٢) . . . توفي ٩٤٣ .) (٢٩٦ ـ ٣٢٠ هـ) توفي ٣٣٢ هـ .)

أما والده ثابت بن قرّة وُلد في حران (٢٢٢ ـ ٢٨٩ هـ) الموافقة (٨٣٦ ـ ٩٠١ م) . وهو : (رياضي وطبيب وفيلسوف ، عاش في ظل الخليفة المعتضد في بغداد . . .)[2] .

ومدينة حرّان[3] : (مدينة قديمة في ما بين النهرين . . . اشتهرت بالفلاسفة والعلماء أعظمهم ثابت بن قرة وأولاده والبتّاني . . .) .

ولقد كان الأطباء المسلمون ذوي خبرة وكفاءة وتقدير بالغ من الخلفاء والأمراء والناس . فتقول الدكتورة زيغريد في كتابها[4] : (وكما وفق العرب في الطب فقد وفقوا في فن الجراحة كل توفيق ، وأسدوا له خدمات جلى وبلغوا فيه شأواً بعيداً فالجراح الأندلسي الكبير أبو القاسم الزهراوي (توفي عام ١٠١٣) قد أدخل تجديدات كثيرة ليس على علم الجراحة عامة بل أيضاً في مداواة الجروح وفي تفتيت الحصاة داخل المثانة وفي التشريح وإجراء

---

(١) المنجد في الاعلام ـ الطبعة الثانية ـ ص ١٦٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٤١٢ .

(٣) المصدر السابق ص ١٨٨ .

(٤) شمس العرب تسطع على الغرب ص ٢٧٧ .

العمليات . . .) وتستطرد وتقول[1] : (لقد بلغ العرب في فرع طب العيون شأواً عظيماً تفوقوا فيه على اليونان . . . كذلك فإن العرب برعوا في معالجة تشويهاتِ المفاصل والعظام وادخلوا طريقة جديدة لمعالجة خلع الكتف ما تزل تدعى بالطريقة العربية . . .) .

وتستطرد وتقول[2] : (وللعرب فضل آخر في علم الطب وهو معالجتهم للأمراض العقلية والعصبية . . .) .

ومن أطباء العرب المشهورين ابن سينا وله كتاب يسمى (الأرجوزة في الطب) وكذلك كتابه (القانون) غني عن التعريف ويذكر فيه معلومات هامة عن التشريح والفسيولوجيا وعلاج الأمراض والطب النفسي والعديد من الأدوية ، وكان دقيقاً جداً بفحصه للمريض وإليكم ما قاله : (علينا ألا نثق بنتائج تحليل البول إلا إذا توافرت لدينا الشروط التالية : أن يكون البول أوّل بول للمريض أي بول الصباح على ألا يكون المريض قد أكل . . .) . وهذا ما يتبع به اليوم في القرن العشرين وقد مات ابن سينا في همذان عام ١٠٣٧ هـ .

وهناك الطبيب ابن رضوان رئيس نقابة أطباء القيروان الذي يقول : (لا تنس يا بني أن تفحص حالة المريض النفسية ، اسأله عن بعض الأمور وتيقن أنه كان يجيب عن وعي أولاً ، ومره بالقيام ببعض الأعمال لتمتحن طاقته الإجمالية . . . وأبحث عن ميوله كاشفاً عن أسباب إثارته) .

ومن أطباء العرب المشهورين أيضاً : الكندي وهو فيلسوف وطبيب وصيدلي وكذلك ثابت بن قرة وهو فلكي وطبيب ماهر ، ولقد وصف مرض الحصبة والجدري في كتابه (التذكرة) . وكذلك علي بن ريان الطبري عاش

(١) المصدر السابق ص ٢٧٩ .
(٢) المصدر السابق ص ٢٨١ .

في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) وألف كتاب فردوس الحكمة ووصف فيه تشريح الجسم .

وكذلك أبو القاسم الزهراوي : جراح ماهر ولد سنة ٩٣٦ م في مدينة الزهراء قرب قرطبة وله كتاب (التصريف) الذي يعتبر موسوعة في الطب وكتاب (تفتيت الحصوة) . ويصف عمليات عديدة كعمليات الفم والعظام والتوليد والجراحة في ثلاثين مجلداً ويعترف العديد بفضل الزهراوي في علم الجراحة وله يرجع الفضل في إختراع منظار المهبل وشجع على تشريح الأجسام الميتة وإخترع العديد من آلات الجراحة ومن هذه الآلات ما هو دقيق جداً لجراحة الشرايين والأعضاء الدقيقة ، وأجرى عمليات عديدة في المريء والبلعوم واكتشف لذلك آلة دقيقة سماها (البروبج) وهو أول من استعمل الأسفنجية العربية للتخدير في العمليات الجراحية وهي أن تغمس الأسفنجة في محلول مخدر تترك لتجف ثم تبلل عند استعمالها لتخدير المريض .

وكذلك استعمل الزهراوي لإسعاف المريض عند توقف تنفسه المنفاخ لنفخ الهواء في أنف المريض . والزهراوي هو أول من استعمل الوضع الذي يكون فيه الرجلين أعلى من وضع الرأس والذي نُسِبَ إلى ترانـد لنبورج وهو الذي استخدم خيوط أمعاء القطة في الخياطة للعمليات الجراحية . وكذلك أول من ربط الشرايين لتوقيف النزف والتي نسبت إلى الفرنسي (امبرواز باريه) وللزهراوي فضل كبير في عالم الجراحة ، ودرست مؤلفاته حقباً من الزمن في كلية الطب في باريس .

وقد كان الطبيب المسلم المشهور ثابت بن سنان رئيس الأطباء في مستشفى عضد الدولة يعالج الدمامل بوضع « لبيخة » الطبية فتفتح الدمامل بينما كان المريض في أوروبا إذا ظهر بساقه دمل يقطعون الساق ليشفى

المريض ، فإذا بالمريض يموت من النزيف .

ومن أطباء المسلمين المشهورين أبو مروان بن زهر ٤٨٧ ـ ٥٦٤ هـ (١٠٩٤ ـ ١١٦٨م) وهو أول من وصف الجمرة الخبيثة وألف كتاب (التغذية) وكتاب (التيسير في المداواة والتدبير) . وابن رشد مكتشف المناعة التي يتركها داء الجدري لدى اصابته الأولى بينما كانوا يعتقدون في أوروبا أن الجدري عدوى من غضب الله ، وإن الطاعون منسوب إلى التقاء المشتري وعطارد والمريخ بينما كان يعتبر الطبيب المسلم ابن الخطيب (٧١٣ ـ ٧٧٦ هـ) (١٣١٣ ـ ١٣٧٤ م) أن المرض ينتقل بالعدوى . وقبل هؤلاء كلهم نذكر الحديث الشريف ، قال ﷺ : (لا يوردن ممرض على مصح) وهناك أحاديث كثيرة عديدة تدل على أن المرض ينتقل بالعدوى .

ومن أطباء العرب المشهورين الطبيب الجراح علي بن عباس وكان يقول لتلاميذه : (عليك الآن أن تقص بهدوء وترو فتفصل الورم عما حواليه وأحرص ألا تجرح أي شريان أو أن تقطع أي عصب . . . الخ) . . .

أما الطبيب المشهور ابن النفيس فهو مكتشف الدورة الدموية الصغرى في الإنسان ، ولكنها نُسبت لغيره. وُلد ابن النفيس عام (٦٠٧ هـ وتوفي ٦٨٧ هـ) (١٢١٠ م وتوفي ١٢٨٨ م) وكان رئيساً للأطباء في المستشفى الناصري بمصر وكان يعتمد كثيراً على التجارب السريرية والتجربة والمنطق والحكمة وأوصى بدرس علم التشريح وله كتاب (شرح تشريح القانون) ومن كتبه المشهورة (الشامل في الصناعة الطبية) وابن النفيس هو الذي قال (نقلاً عن كتاب شمس العرب تسطع على الغرب ـ تأليف الدكتورة زيغريد هونكه :

١ ـ تغذية القلب تحصل بواسطة الدم الذي يجري في العروق الموزعة في القلب كله وليس كما ادعى الجميع في البطين الأيمن منه ، وبهذا يكون ابن النفيس أول من اكتشف الدورة الدموية في الشرايين الأكليلية .

٢ ـ يجري الدم في الرئتين ليتشبع بالهواء (وهذا ما أكده هارفي فيما بعد) .

٣ ـ هنالك إتصال بين أوردة الرئتين وشرايينها ليتمم الدورة الدموية ضمن الرئة (وهذا ما أدعى اكتشافه الطبيب الإيطالي كولوبو) .

٤ ـ ليس في شرايين الرئتين أي هواء أو رواسب كما أدعى جالينوس بل دم فقط .

٥ ـ إن جدران أوردة الرئتين أسمك بكثير من جدران شرايينها وهي مؤلفة من طبقتين ، وقد نسب ، زوراً ، بعض المؤرخين إلى سارفيتوس هذه الإكتشافات العظيمة وخاصة الأخيرة .

٦ ـ ليس في جدار القلب الفاصل بين شطريه أي صمام بل إن الدم يجري في دورة متكاملة : (ليس بين هذين البطينين من القلب أية فتحة إذ أن الحجاب الحاجز الذي يفصلهما محكم الاغلاق وليست به أية مسامٍ ظاهرة كما اعتقد بعضهم أو غير ظاهرة كما أعتقد جالينوس ، ويجري الدم في أوردة الرئتين لينتشر فيها ويمتزج بالهواء حتى يتطهر ، أصغر عناصره من الرواسب ، ثم يجري هذا الدم في شريان الرئتين ليصل إلى البطين الأيسر بعد امتزاجه بالهواء . . .) لا ريب أن هذا الوصف للدورة الدموية الصغيرة واضح . . .) .





صور لإبن سينا من كتب ألطب ألأوروبيه

الفصل الثاني

نشأة المستشفيات الإسلامية

البيمارستانات)







مستشفيات من ألعهد ألعثمانـي

نشأة المستشفيات الإسلامية
(البيمارستانات الإسلامية)

لقد أنشأ المسلمون أوّل مستشفى إسلامي حربي سنة خمس هجرية ، الموافقة لسنة ٦٢٧ م ، وذلك عندما ضرب الرسول صلوات الله وسلامه عليه خيمة في مسجده الشريف في المدينة المنورة ، عندما دارت رحى غزوة الخندق (الأحزاب) ، فأمر ﷺ أن تكون رُفَيْدَة الأسلمية الانصارية رئيسة ذلك المستشفى النبوي الحربي ، وبذلك أصبحت رفيدة أوّل ممرضة عسكرية في الإسلام ، وبهذا الصدد جاء في الموسوعة العربية الميسرة[١] : (رفيدة : امرأة عربية معاصرة للرسول ﷺ ذكرت كتب السيرة أنها كانت تقوم على تمريض جرحى المسلمين ، فأعتبرت بذلك أوّل ممرضة للميدان في الإسلام) .

وجاء في السيرة النبوية لابن هشام[٢] : (وكان رسول الله ﷺ قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لإمرأة من أسْلم . . . يُقال لها رُفيدة في مسجده ، كانت تداوي الجرحى . . .) .

ولقد شيّد المسلمون ، سواء كانوا خلفاء أو سلاطين أو امراء أو من ذوي الجاه واليسار والثروة المستشفيات العظيمة العديدة . حتى (صرت[٣]

---

(١) الطبعة الثانية / ص ٨٧٣ .

(٢) الجزء الثالث / ص ٢٥٠ .

(٣) ص (ج) من كتاب تاريخ البيمارستانات في الاسلام تأليف الدكتور أحمد عيسى بك .

تجد في بقعة صغيرة حول المسجد الأموي ثلاثة بيمارستانات يمر الماشي عليهن في دقيقتين) .

وأول من بنى المستشفيات في الإسلام بعد مستشفى النبي صلوات الله وسلامه عليه ، هو الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك ، وذلك سنة ٨٨ هـ ، أي حوالي ٧٠٦ م ، وجعل فيه الأطباء ، وأجرى عليهم الأرزاق ، وأهتم برعاية العميان والمجذومين ، حيث جعل للمجذومين ، مكاناً خاصاً بهم ، وأمرهم بعدم الخروج وأجرى عليهم وعلى العميان الأرزاق ، وأمرهم بألا يسألوا الناس ، وجعل لكل مقعدٍ خادماً ، ولكل ضرير قائداً .

وفي عهد العباسيين ، كثرت وازدهرت المستشفيات ، وانتقلت مراكز الثقافة والطب من جنديسابور في بلاد فارس ، إلى بغداد ، وأنشأ هارون الرشيد ، البيمارستان المعروف باسمه (بيمارستان الرشيد وذلك سنة ١٧١ هـ الموافقة لسنة ٧٨٦ م . وقيل أن في قرطبة وحدها كان يوجد أكثر من خمسين مستشفى .

وكان المسلمون أوّل من بدأ تعليم الطب في المستشفيات بطريقة علمية ، وأوّل من أهتم بإدارة المستشفيات وضبط حساباتها ، وأوّل من فحص الأطباء قبل الترخيص لهم بمزاولة الطب وكذلك الصيدلة .

لقد كان نظام المستشفيات الإسلامية مثالياً يشبه نظام مستشفيات عصرنا الحاضر . ومنها ما كان عاماً لجميع الأمراض ، ومنها ما هو خاص لبعض الأمراض كالجذام ، والعيون ، والأمراض العقلية ، وغير ذلك . وهنالك المستشفيات المتنقلة والتي نسميها في عصرنا الحاضر Ambulance مزودة بكل ما يتطلبه العلاج والمداواة من أطباء وأدوية وأدوات ، تقام إذا اقتضت الأحوال ذلك ، للذهاب والتنقل بين القرى النائية ، أو عند إنتشار الأوباء والأمراض ، أو لترافق الأمراء عند تنقلهم وترحالهم .

وهنالك مستوصفات خاصة بالسجون ، وأخرى بالمساجد لإسعاف من يصاب بنوبة أثناء الصلاة ، وأخرى خاصة لعلاج بعض الموظفين ، فلقد أنشأ الوزير ابن الفران مستوصفاً خاصاً لموظفيه الذين يعملون عنده ، ليعالجوا بدون مقابل وذلك سنة ٩٢٣ م في بغداد (٣١١ هـ) .

لقد كانت الأهداف والغايات التي تنشدها رسالة المستشفيات الإسلامية ، نبيلة سامية ، لا يقصد من ورائها إلا خدمة المجتمع والإنسانية بدون ثمن أو مقابل .

ومن تلك الأهداف ، المحافظة على الصحة ومداواة المرضى ، وذلك بحفظ الصحة حاصلة ، واستردادها زائلة ، أي حفظ الصحة على الأصحاء ، واستردادها لمن سلبت منه بمعالجة المريض من مرضه .

وكذلك من الغايات النبيلة تدريس العلوم الطبية ، والصيدلانية والفقهية . فكانت المستشفيات الإسلامية الكبيرة معاهد علمية عالية ، لتعليم العلوم الطبية حيث يتخرج منها بعد اجتياز الإمتحان بنجاح ، المتطببون والجراحون ، والكحالون ، كما يتخرجون في وقتنا الحاضر من كليات الطب العصرية النموذجية .

لقد عرف المسلمون المستشفيات قبل أن يشيدوها من بلاد الفرس في جنديسابور الشهيرة بمستشفاها . ولقد حاول الإنسان في أوروبا اللجوء إلى الأديرة لينام فيها الليالي الطوال يتلقى علاجه من الطبيب الكاهن الذي كان يحاول طرد الشياطين المسببة للأمراض من جسد المريض وبهذا الصدد تهول الدكتورة زيغريد هونكه : (. . . وهكذا رأى يوحنا فم الأسد أن بذرة كل مرض علّة كامنة في خطايا البشر فعندما يبعد سبب المرض عن المريض ويتخلص هذا الأخير من عبء ذنوبه بالاعتراف ، فإن توقف العلّة يؤدي

توقف المعلول فتختفي الآلام الجسدية)[1] .

وتستطرد وتقول : (. . . إن الشياطين والأرواح النجسة هي وحدها التي تسعى إلى إبعاد البشر عن الله . . . لقد اعتبر التعاطي بعقاقير غير عقاقير الكنيسة . . . أو ممارسة مهنة الطب . . . عملاً دون مركز الكنيسة ودون جلال الروح وقدسيتها)[2] .

أما كاترين شيبين فتقول : (. . . ومن الواضح أن كل إنسان مريض أو مصاب كان يستطيع في الأيام العريقة في القدم أن يزور معبد الإله اسقلبيادس لينام فيه ويحلم ويشفى من أمراضه)[3] .

وتستطرد وتقول كاترين : (. . . كان قلة من الناس هم الذين يُعنون بالمرضى في أوروبا في أوائل العصور الوسطى وكان الناس يعتقدون أن الله هو الذي يعتني بخلقه ولا يمكن بحال من الأحوال الإعتماد على الأدوية والعقاقير في شفائهم . . . وفي بعض البلدان عاد الناس إلى إتباع عادة إرقاد مرضاهم في الهياكل ، وبالطبع كان كل إنسان يعلم أن بعض القدّيسين يتشفعون لشفاء بعض أمراض الجسد فقد يصلي الناس للقديسة بليز St. Blaïse لشفاء آلام الحلق . . . والقديسة أبولونيا St. Appolonia لشفاء آلام الأسنان . . .)[4] .

وجاء في كتاب[5] الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب : (نشأة البيمارستانات : قيل إنها نشأت في جنديسابور بفارس قبل الإسلام

---

(١) شمس العرب تسطع على الغرب تأليف د . زيغريد هونكه ط ٢ / ٢٢٣ ـ ٢٢٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٢١٩ .

(٣) روّاد الطب تأليف كاترين . ب . شيبين . ترجمه للعربية م . عيسى ص ٣١ .

(٤) المصدر السابق ص ٦١ ـ ٦٢ .

(٥) ص ٢٢٧ تأليف مجموعة من الأساتذة الأطباء والصيادلة باشراف الأستاذ الدكتور محمد كامل حسن .

بثلاثة قرون حيث كانت طائفة الأطباء النسطوريين تدير بيمارستاناً أقاموه هناك بعد أن هربوا من اضطهاد الرومان الشرقيين لهم ، أما بعد الإسلام فقد قيل إن الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي أنشأ بيمارستاناً للمجذومين والعميان وأجرى عليهم أرزاقهم)[١] .

أما الدكتور مصطفى السباعي فيقول في كتابه (من روائع حضارتنا)[٢] : (عرف العرب مدرسة جنديسابور الطبية التي أنشأها كسرى في منتصف القرن السادس الميلادي ، وتخرّج فيها بعض أطبائهم كالحارث بن كلدة الذي عاش في عصر النبي ﷺ وكان يشير على أصحابه بالتداوي عنده) .

لقد كانت مدينة جنديسابور شهيرة بمستشفاها ومدرستها الطبية العظيمة ، وذلك لإتصالهم بهم بالتجارة والأسفار . وقد تخرج من معهدها الطبي أطباء عرب أكفاء قبل الإسلام ، ومنهم الحارث بن كلدة زوج خالة النبي صلوات الله وسلامه عليه وذلك في عهد كسرى أنو شروان .

وكان يطلق على المستشفيات الاسلامية كلمة بيمارستان الفارسية ، التي تتكون من كلمتين ، الأولى (بيمار) ومعناها (مريض) والثانية (ستان) ومعناها (دار أو مكان) .

فكلمة (بيمارستان) معناها (دار لعلاج المرضى) . وفيما بعد حرفت كلمة (بيمارستان) إلى كلمة (مارستان) وكانت تلك البيمارستانات تعالج جميع أنواع الأمراض من عقلية وباطنية ورمد ، وجراحة . . . الخ .

وفيما بعد أصبحت كلمة (مارستان) تطلق على مستشفى المجانين

---

(١) تاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبري حوادث ٩٦ / ص ١٢٧ .
(٢) الطبعة الثانية ـ المكتب الاسلامي ـ بيروت ـ ص ١٣٩ .

وحـده ، وذلك عنـدما أصبحت خـالية من المـرضى إلا المصابـين بالأمـراض العقلية .

لقد كان في المستشفيات الإسلامية كل ما يتطلبـه المستشفى الحديث في أيامنا الحاضرة إلى حدٍ ما نسبياً من أطباء ماهرين ، وأدويـة وآلات وخدم من الرجال للمرضى الذكور ، وخدم من النساء للمرضى الإنـاث . بل أن نـظام المستشفيـات الإسلاميـة الإداري والعلاجي المجـاني وأقسامهـا وأبنيتها تفـوق بكثير المستشفيات في عصرنا الحاضر .

لقد كان ينتخب موقع بناء المستشفى بدقـة وعقلانيـة متناهيـة . فيختار المكـان الصحي القـريب من المـاء الجـاري ، حيث يتـوفـر المـاء السلسبيـل الـرقـراق ، والنسيم الصحي العليـل ، والأرض الفسيحـة ذات العيـون ، والحدائق الغناء ، الغنية بالماء والأشجار والمشمومات والبرك .

السلطان صلاح الدين عندما أسس مستشفاه المعروف باسمـه (المستشفى الناصري) في القاهرة فقد اختار قصراً فخماً بعيداً عن الضوضـاء وقيل لـه : إن النمل والحشرات لا تدخله وجعله مستشفى .

وتوافرت في المستشفيات الإسلامية كل سبل الرفاهية التي كانت تتوافـر في قصـور السلاطـين والأمراء ففيهـا الأثاث الـوفير ، والحمـامات الممتـازة ، والغذاء المثالي الجيد مفتوحة لكل ابنـاء الشعب فقيرهم وغنيهم بـدون أجر أو مقابل . وكانت المستشفيات الإسلامية واسعة وفسيحة وقيل : إن بعضها كان يتسع لحوالي أربعـة آلاف مريض ، وبهـذا الصدد يقـول الدكتـور أحمد عيسى بك في كتابـه[١] : (. . . . بيمارستـان تونس العـظيم الذي كـان فيه أربعـة آلاف بـين مريض ونـاقة ، وهـو عـدد ضخم ليس عـلى وجـه الأرض اليـوم مستشفى تستوعب من المرضى ما استوعب . . .) .

---

(١) تاريخ البيمارستانات في الاسلام ـ مطبوعات جمعية التمدن الاسلامي بدمشق ص (ز) .

وكانت المستشفى الإسلامي منقسمة إلى قسمين منفصلين عن بعضهما البعض تماماً فهنالك قسم للذكور خاصة ، وآخر للإناث ، وكل قسم من تلكم منقسم إلى قاعات فسيحة على حسب أنواع الأمراض فهنالك قاعات مخصصة للجراحة وأخرى للكحالة (أمراض العيون) وغيرها لتجبير الكسور أو للأمراض الباطنية التي كانت تضم بدورها قاعات عديدة ، منها للذين يصابون بالحمى (المحمومين) وأخرى للمبرودين (المتخومين) أو للمسهولين (الذين بهم إسهال) . وكانت القاعات مجهزة بأثاث فاخر ، وبناء حسن ، فيه الماء البارد والساخن .

وبهذا الصدد تقول الدكتورة زيغريد هونكه في كتابها : (شمس العرب تسطع على الغرب)[1] : (وتوافرت في مستشفيات الخلفاء والسلاطين كل أسباب الرفاهية التي كانت تتوافر في قصورهم ، من أسرة وثيرة ناعمة ، إلى حمامات كانت تتمتع بها الطبقة الحاكمة في بيوتها ، ومن المعلوم أن هذه المستشفيات ، على غناها ورفاهيتها ، كانت تفتح أبوابها للفقراء ، ولكل أبناء الشعب بدون تمييز . . .) .

وتقول[2] : (. . . فكل شيء جميل للغاية ونظيف جداً ؛ الأسرة وثيرة وأغطيتها من الدِمَقس الأبيض والمُلاء بغاية النعومة ، والبياض كالحرير ، وفي كل غرفة من غرف المستشفى تجد الماء جارياً فيها على أشهى ما يكون . وفي الليالي القارصة تُدَفأ كل الغرف . وأما الطعام فحدّث عنه ولا حرج !! فهناك الدجاج أو لحم الماشية يقدم يومياً لكل من بوسعه أن يهضمه . . . إن الأوضاع . . . تشبه إلى حد بعيد ما نراه في قرننا العشرين العظيم . . . كان في مدينة قرطبة وحدها خمسون مستشفى في أواسط القرن العاشر . . .) .

---

(١) ص ٢٣٩ .

(٢) ص ٢٢٨ من المصدر السابق .

لقد كانت أحوال المستشفيات الإسلامية ممتازة للغاية ومنظمة بدقة وإتقان بينما كانت المستشفيات الأوروبية التي اقتبست من المسلمين بعد الحملات الصليبية ، كانت في غاية الفوضى ، وبهذا الصدد تقول الدكتورة زيغريد في كتابها[1] : (. . . أفضل المستشفيات التي أُنشئت بادىء ذي بدء في بلاد الفرنجة ، كانت مستشفيات أوتيل ديو Hotel Dieu أو مأوى الله في باريس . . . كان ثمة قشٌّ كثير موضوع على الأرض تزاحم عليه المرضى . . . وأقدام بعضهم إلى جانب رؤوس الآخرين . . . الأطفال قرب الشيوخ والرجال بجانب النساء بشكل يدعو إلى العجب . . . ولكنه كان حقيقياً . وكان قرب المتوعكين توعكاً بسيطاً أُناسٌ ذوو أمراض معدية . . . وأُناسٌ كثيرون ، منهم الحبلى التي تعاني آلام المخاض ، والطفل الذي يعالج سكرات الموت ، والمصاب بالتيفوس الذي يهذي من الحمى ، ومريض السل الذي مزّق صدره السعال يبصق دماً . والمصاب بالمرض الجلدي يمزّق جسمه بأظافره حكاً ، أجل ، لقد كان ينقص المرضى أمور هامة كثيرة : فالطعام سيء يُقدم لهم في قلة وندرة عجيبتين ، وفي أوقات متباعدة . . . وأما كمية الطعام فهي ضئيلة جداً لا تزاد إلا إذا أشفق على هؤلاء المرضى رجل وجيه من أعيان المدينة وأرسل لهم شيئاً من الغذاء . . . وقد يتفق لهؤلاء المرضى أن يحرموا الطعام أياماً كثيرة . . . كان المبنى الذي يضم المرضى يزدحم بأخطر الحشرات ، أضف إلى ذلك فساد الهواء في الداخل لدرجة لا تطاق ، ولا تحتمل حتى أن المولجين بالأمر ، كانوا إذا دخلوا القاعات ، ستروا أنوفهم ، وأفواههم بإسفنجة مبللة خلاً . وكانت جثث الموتى من المرضى تُترك مدة أربع وعشرين ساعة وفي الغالب أكثر ، قبل أن تُنقل ، فيضطر المرضى الآخرون خلال ذلك الوقت ، أن يشاطروا الجثث هذا المكان ، الجثث التي يدب فيها الفساد بسرعة في جو جهنمي كهذا ، فتفوح الروائح النتنة في

---

(١) شمس العرب تسطع على الغرب ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦ .

الأجواء ، وينقض البعوض ويهجم ممعناً نهشاً وأكلاً من اللحم العفن) . . .

هكذا كانت أحوال المستشفيات الأوروبية والميتين فيها . بينما كانت قوانين المستشفيات الإسلامية كما جاء في كتاب (تاريخ البيمارستانات في الإسلام[1]) : (. . . ويصرف الناظر ما تدعو الحاجة إليه في تكفين من يموت بهذا البيمارستان من المرضى والمختلين الرجال والنساء فيصرف ما يحتاج إليه برسم غسله وثمن كفنه وحنوطه وأجرة غاسله وحافر قبره وموارارة قبره على السنة النبوّية والحالة المرضية . ومن كان مريضاً في بيته وهو فقير كان للناظر أن يصرف إليه ما يحتاج إليه من حاصل هذا المارستان من الأشربة والأدوية والمعاجين وغيرها مع عدم التضييق في الصرف على من هو مقيم به ، فإن مات بين أهله صرف إليه الناظر في موته بتجهيزه وتغسيله وتكفينه وحمله إلى مدفنه ومواراته في قبره ما يليق بين أهله . . . ومن حصل له الشفاء والعافية ، ممن هو مقيم بهذا المارستان المبارك صرف الناظر إليه من ريع هذا الوقف المذكور كسوة . . .) .

ويقول الأستاذ قدري طوقان في كتابه[2] : (وقد أيّد ماكس بوردو ما جاء عن مستشفيات أوروبا في القرون الوسطى فأشار إلى مستشفى أوتيل ديو المعاصر لمستشفيات العرب ، وقال : إنه كان مثالاً للفوضى والقذارة . . .) .

لقد كان في كل مستشفى إسلامي صيدلية تسمى (شرابخانة) وكلمة خاناه فارسية معناها (بيت) وشرابخانة معناها (بيت الشراب) وكان يترأس كل صيدلية صيدلي متخصص بالأدوية يسمى (شيخ صيدلي البيمارستان) ولكل صيدلية (شرابخانة) مهتار يسمى (مهتار الشرابخانة) ومهتار كلمة

---

(١) ص ١٤٥ ـ ١٤٦ .

(٢) العلوم عند العرب س ٢٧ .

فارسية معناها رئيس وتحت إمرته غلمان يسمى الواحد منهم (شراب دار) . وكان الدواء يعطى لمن يستحقه دون مقابل أو ثمن .

وكان يشرف على إدارة المستشفى رجل له مكانته السامية بالدولة ، وأحياناً يكون نائب السلطنة أو أكبر الأمراء قدراً ومكانة ويسمى الناظر ،الذي كان ينظر ويشرف على أمور المستشفى وريع الوقف الخاص بها ، ويصرف أجرة للقومة والفراشين والأطباء . . . الخ مراعياً تقوى الله سبحانه وتعالى سراً وجهراً ولا يقدم صاحب جاه على ضعيف ولا قوياً على من هو أضعف منه ولا متأهلاً على غريب .

والأموال الطائلة التي كانت تنفق على المستشفيات الإسلامية تؤخذ من الأوقاف الكثيرة التي تحبس عليها .

وكان هنالك نظام الحِسْبَةِ وهي تشبه التفتيش والرقابة على الأطباء والصيادلة في وقتنا الحاضر .

والمُحْتَسِب له أعوان يراقب المصالح العامة لتجري أمورها بعدل طبقاً للشريعة الإسلامية .

وللمحتسب الحق بمراقبة ما يجري من معاملات وما يتعلق بالغش والتدليس ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويجب أن يكون المحتسب كما يقول ابن عبدون[1] : (يجب أن يكون المحتسب رجلاً عفيفاً ورعاً عالماً غنياً ، نبيلاً ، عارفاً بالأمور ، محنكاً ، فطناً ، لا يميل ولا يرتشي . . .)
ويعمل في المستشفيات الإسلامية أطباء أكفاء ، ماهرون ، ولكل قسم

(١) ص ٢١٧ كتاب الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ، تأليف مجموعة من الأطباء والكتّاب باشراف الأستاذ الدكتور محمد كامل حسين .

من أقسام المستشفى مجموعة من الأطباء ، يتناوبون العمل ليل نهار ، ويمرون بالأقسام ليتفقدوا أحوال المرضى ، وإن أضطر الطبيب أن يستشير غيره من الأطباء فعل ذلك بدون تردد . وإن احتاج الأمر إلى انعقاد مجلس طبي على نظام الكونسولتو في وقتنا الحاضر انعقد المجلس حالاً لتبادل الآراء والنقاش الطبي لصالح الجميع .

وكان طبيب الخليفة يتقاضى خمسين ديناراً وطبيب المارستان خمسة عشر ديناراً ، علاوة عن الإحسان الكبير والجامكية الوفيرة التي كان يأخذها البعض من الخلفاء وذوي الجاه والثروة (والدينار عبارة عن خمسة عشر فرنكاً ذهبياً فرنسياً) .

وقد كان الطبيب حنين بن إسحاق يتقاضى من الخليفة المأمون وزن الكتب التي يترجمها للعربية ذهباً . أما جبرائيل الكحال فكان يأخذ ألف درهم كل شهر .

أما جبريل بن بختيشوع بن جورجيس الذي خدم الخليفة الرشيد والأمين والمأمون والبرامكة فقد جمع أموالاً طائلة تقدر بحوالي ثمانية وثمانين مليون وسبعمائة ألف درهم .

لقد أكرم الملوك والسلاطين والأمراء والوزراء الأطباء إكراماً كبيراً ، وكان لهم منزلة عظيمة ومع ذلك فقد كان بعض الأطباء مثل كمال الدين الحمصي يعالجون المرضى احتساباً دون أن يتقاضوا أجراً على ذلك .

وبهذا الصدد تقول كاترين شيبين في كتابها[١] : (. . . وكانت العطايا توزع على الأطباء المسلمين مكافأة لهم على خدماتهم واستطاع أحدهم ويدعى (جبريل) أن يجمع من احتراف المهنة ثروة تقدر بأكثر من خمسة عشر مليون

---

(١) كتاب رواد الطب : ص ٥٥ .

دولاراً وبلغ مرتبه الشهـري من الخليفة خمسـة عشر ألف دولاراً بخلاف مبلغ خمسة آلاف دولار كانت تُعطى له هـدية في عيـد رأس السنة ، وزاد غنـاه ، عنـدما تمكن من شفـاء الخليفة من مـرض أصابـه ، إذ وهبه مـائة ألف دولار أخـرى . وبقدر إهتمـام الخلفـاء بـأطبـائهم كـانـوا يبـدون إهتمـامـاً عـظيـماً بالمخطوطات الطبية ويشجعون ترجمتها . . . وكـانت اللغة العـربية التي انـزل بها القرآن لغة رجال العلم في جميع البلاد التي فتحها المسلمون . ...) .

وتستطرد وتقول كاترين[١] : (. . . وأُنشئت مدرسة للترجمة في مدينة جنـديسابـور التجأ إليهـا عدد من الأوروبيـين ، وتنافس الخلفـاء والأغنياء في الحصول على المخطوطات القديمة النادرة لترجمتها إلى العربيـة . وبمرور الـزمن انتقل المترجمـون إلى بغداد مقـر الخلافـة وبعد معـرفة سرّ صنـاعة الـورق من الصينيين أُنشيء مصنع لإنتاج الورق في بغداد وحلت الكتب محل المخطوطات الجلديـة في المكتبات . . . وكـان أشهر تـراجمة عصـره يـدعى حُنَيْنٍ وكـانت ترجماته تحظى بقدر كبير من التقدير ، حتى كان يقدر ثمنها بوزنها بالـذهب ، وكان يعمل تحت إشراف هذا العالم العظيم تسعون مترجماً . . .)

والطبيب المسلم كان حكيماً أي العاقل الذي يمـارس الطب ويتبحـر في علوم أخرى وخصوصاً الفلسفة والعلوم الدينية ، وقد كان الطبيب الشهير ابن رشد قاضياً وطبيباً نطاسياً .

وأسس المسلمون المستشفيات المثالية والتي كان لها نظامها ومـواصفاتهـا الممتازة . وقد ألّف الطبيب الشهير الرازي كتابـاً في وصف وصفة ومتـطلبات المستشفيات وسماه (كتاب في صفات المستشفيات) . وهنالك كتب للأدويـة خاصة للمستشفيات ومنها كتاب (الدستور البيمارستـاني) تأليف السـديد بن أبي البيـان المعري وكتـاب (الإقرابـاذين الصغير) لابن التلميـذ عميد أطبـاء

---

(١) المصدر السابق ص ٥٦ .

بغداد . وهذا الكتاب يتألف من ١٣ فصلاً وهو مختصر لكتاب الأقراباذين الكبير الذي يحوي عشرين فصلاً .

وكان لكل قسم من أقسام المستشفى مجموعة من الأطباء وعلى كل مجموعة طبيب رئيس عليهم ، فهنالك رئيس للمجبرين وآخر للجراحين أبو الكحالين (أطباء العيون) وعلى كل هؤلاء الأطباء رئيس يسمى ساعورا . وهذه كلمة سريانية معناها (متفقد المرضى) .

وقد قيل أنه بلغ عدد الأطباء في المستشفى العضدي في بغداد حوالي ٢٨ طبيباً . وبلغ ما أُنفق على البيمارستان الذي بناه أحمد بن طولون حوالي ستين ألف دينار ، وكان يركب بنفسه في كل يوم جمعة ليتفقد أحوال الأطباء والمرضى وخزائن المارستان .

وكان في المارستان العديد من الموظفين من أطباء وفراشين وخدم وصيادلة ، ولكل مستشفى مفتشون على النظافة ومراقبون عليها .

وهنالك عيادات خارجية يتردد عليها المرضى ، فإن لم يكن مرض السقيم يحتاج الرقود في المستشفى بعد أن يعاينه الطبيب يُعطى له ورقة فيها وصف الدواء ليحصل عليه مجاناً من صيدلية المستشفى .

أما إذا احتاج مرض العليل مداواة ورقوداً في المستشفى ، تخلع عنه ثيابه ، ويذهب للحمام فيستحم ويلبس ثياباً نظيفة من المستشفى ، ويفرش له سرير ويُغذى بأفضل الأغذية ، ويراح بالأدوية ، ويشرب من أقداح وأكواز نظيفة خاصة به لا يمسُّها غيره ، ويقدم له الغذاء الذي يناسب مرضه حتى يتعافى منه ويبرأ ، ودليل ذلك أكله رغيفاً وفروجاً وكل ذلك بدون أجر أو أي مقابل . وعند انصرافه من المستشفى كان يُعطى كسوة ومالاً كي يستريح وهو في دَوْر النقاهة ولا ينهك نفسه بالعمل أو التفتيش عنه . وكان يوضع أكل كلِ مريض في زبدية خاصة به ويجب تغطيتها خوفاً من التلوث .

وكان المصابون بالأمراض العقلية يلاقون العلاج والعناية الطبية في المستشفيات الإسلامية بينما كانوا في أوروبا يعاملون معاملة قاسية وبهذا الصدد تقول الدكتورة زيغريد هونكه في كتابها[1] : (... كان الرازي وصحبه من الأطباء العرب المثال الحي والقدوة المثلى لأطباء الغرب فيما بعد لدى معالجتهم مرضى الأعصاب والذين لا رجاء في شفائهم بإنسانية رائعة ... ولنا أن نذكر نظرة الغرب إلى هؤلاء المرضى المساكين ، خلال القرون الوسطى فنرى هولاً وبشاعة بالغين ....) .

أما المرضى المصابون بالجذام فلقد أنشأ المسلمون لهم المستشفيات التخصصية لعلاج ذلك . وأوّل من أنشأ مستشفى خاصاً للمصابين بمرض الجذام هو الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك سنة ٨٨ هـ الموافقة لسنة ٧٠٦ م :

أما في فرنسا فقد أمر فيليب الجميل بحرق جميع المصابين بمرض الجذام . وبهذا الصدد تقول الدكتورة زيغريد هونكه في كتابها[٢] : (... في الوقت الذي كان الأوروبيون يتصرفون هذا التصرف كان العرب يخصصون المستشفيات أو أجنحة المستشفيات لمرضى الجذام ...) .

لم تقتصر المنشآت الصحية الإسلامية على البيمارستانات (المستشفيات) فحسب ، بل كان هنالك منشآت صحية أخرى عديدة كالمستوصفات الخاصة مثل مستوصف الوزير ابن الفرات الذي أنشأه لموظفيه سنة ٩٣٢ م ، ومستوصفات السجون ، والمساجد لإسعاف من يصاب بنوبة من المصلين .

وكان هنالك دور العجزة والمقعدين الذين أقعدهم المرض . وقد كان

---

(١) شمس العرب تسطع على الغرب ص ٢٥٤ ـ ٢٥٦ .

(٢) شمس العرب تسطع على الغرب ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤ .

الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أوّل من أهتم بالعجزة وفرض من بيت مال المسلمين معاشاً لهم ، ولو كانوا من غير المسلمين ففرض راتباً لشيخ نصراني .

والوليد بن عبد الملك جمع المقعدين في دور خاصة بهم .

وهنالك الرباطات التي أُنشئت في بادىء الأمر في العواصم والثغور على شكل منشآت ليرابط فيها الجنود للدفاع عن حمى الوطن وبعد استتباب أمور الدولة الإسلامية أصبحت الرباطات دوراً للعبادة والمحتاجين والعجزة وكان منها ما هو خاص للرجال وأخرى للنساء العاجزات ، مثل : رباط الحجازية الذي أسسته السيدة فوز جارية أحمد الجرجاني سنة ٤١٥ هـ /١٠٢٤ م في الفسطاط بالديار المصرية وكانت مشيخته (رئاسته) بيد الواعظة الجليلة الشهيرة أم الخير الحجازية والتي كانت تتصدر حلقات الوعظ والإرشاد والتدريس في جامع عمرو بن العاص في الفسطاط .

كذلك شيّد الخليفة المعتصم بالله العباسي رباطاً للنساء سنة ٦٥٢ هـ في بغداد ، وتولت مشيخته الشريفة بنت المهتدي . وفي سنة ٦٥٠ هـ /١٢٥٢ م أسست السيدة فاطمة الأيوبية بنت الملك العادل محمد بن أبي بكر رباطاً في دمشق .

علاوة على ذلك ، كان يوجد دور المياتم وهي منشآت للأيتام . وقد أسس يحيى البرمكي داراً للأيتام في بغداد في القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) .

وهنالك دور الحضانة التي كانت مخصصة للأطفال الفقراء المعدومين والمعوزين وأول دار أُسست للحضانة كانت في العراق في القرن الخامس الهجري وأسسها السلاجقة . وفي مدينة أربل أنشأ المحسن الكبير مظفر الدين كوكبوري داراً للحضانة من أحسن الدور وقد خصص لها مراضع

مقيمات فيها وطبيباً ورصد لها مائة ألف دينار .

ولقد شيّد المستشفيات الخلفاء والسلاطين والأمراء والأغنياء والأطباء أنفسهم ، فهاكم هارون الرشيد يشيّد بيمارستاناً في بغداد سنة ٧٨٦ م (١٧٠ هـ) . والوزير علي بن عيسى بنى أيضاً مستشفى آخر في بغداد سنة ٩١٤ م /٣٠٢ هـ . أما الخليفة المقتدر فقد بنى في بغداد بيمارستان المقتدري سنة ٩١٨ م (٣٠٦ هـ) . هذا ما ذكره الدكتور أمين أسعد خيرالله في كتابه (الطب العربي) ص ٨٦ . وكذلك ذكر العديد من المستشفيات في مدن أخرى غير بغداد . وإليكم ما يقوله عن ذلك (ص ٨٥ ـ ٨٨) من كتاب الطب العربي :

وهاك جدولاً بأسماء بعض المستشفيات في البلاد الناطقة بالضاد :

١ ـ في بغداد :

١ ـ البيمارستان العضدي بناه عضدالدولة عام (٩٨١) (ابن أبي أصيبعة جزء ١ وجه ٣١٠) .

٢ ـ بيمارستان الرشيد بناه هارون الرشيد عام ٧٨٦ (القفطي وجه ٣٨٣) .

٣ ـ بيمارستان علي بن عيسى بناه الوزير علي بن عيسى عام ٩١٤ (ابن أبي أصيبعة جزء ١ وجه ٢٣٤) .

٤ ـ بيمارستان المقتدري بناه الخليفة المقتدر عام ٩١٨ (القفطي وجه ١٩٤) .

٥ ـ بيمارستان ابن الفرات وبناه ابن الفرات وزير المقتدر (ابن أبي أصيبعة جزء ١ وجه ٢٢٤) .

٦ ـ بيمارستان بدر غلمان بُني على طلب سنان بن ثابت (ابن أبي أصيبعة جزء ١ وجه ٢٢١ .

٧ - بيمارستان السيدة بناه سنان بن ثابت (القفطي وجه ١٩٥) .

٢ - **في حرّان** : ذكر ابن جبير في رحلته أنه شاهد بيمارستان ومدرسة للطب في حرّان (رحلة ابن جبير وجه ٢٥٣) .

٣ - **في الموصل** : ذكر ابن جبير في رحلته بيمارستاناً أقامه مجاهد الدين في الموصل (رحلة ابن جبير وجه ٢٥٣) .

٤ - **في الرقة** : يشير ابن أبي أصيبعة إلى وجود مستشفى في الرقة وإلى علاقته ببدر الدين ابن قاضي بعلبك (ابن أبي أصيبعة جزء ٢ وجه ٢٥٩) .

٥ - **في الميافارقين** : مرضت ابنة ناصر الدولة ابن مروان حاكم ميافارقين مرضاً شديداً فنذر أن يعطي ثقلها ذهباً إن شفيت لأنه كان يحبها كثيراً . فالطبيب زاهد العلماء الذي شفيت على يده أشار على والدها بأن يبني بالمال مستشفى فبناه وأثثه وأوقف له ما يلزمه من الأموال (ابن أبي أصيبعة جزء ٢ وجه ٢٥٨) .

٦ - **في مصر** :

١ - البيمارستان المنصوري وقد بناه المنصور قلاوون (المقريزي جزء ٢ وجه ٤٠٦) .

٢ - البيمارستان الناصري بناه صلاح الدين ويُعرف بالمستشفى القديم (رحلة ابن جبير) .

٢ - بيمارستان المغافر (المقريزي جزء ٢ وجه ٤٠٦) .

- بيمارستان القشاشين (صبح الأعشى جزء ٣ وجه ٣٦٧) .

- بيمارستان أحمد بن طولون ويُعرف بالمستشفى العالي (صبح الأعشى جزء ٢ وجه ٣٣٧) .

٦ ـ بيمارستان كافور الأخشيدي ويُعرف بالمستشفى الواطي (المقريزي جزء ٢ وجه ٣٣٧) .

٧ ـ البيمارستان المؤيدي (المقريزي جزء ٢ وجه ٤٠٨) .

٧ ـ في الشام :

١ ـ البيمارستان النوري أو البيمارستان الكبير (ابن أبي أصيبعة جزء ٢ وجه ١٥٥) .

٢ ـ بيمارستان المجذومين (المقريزي جزء ٢ وجه ٤٠٥) .

٣ ـ البيمارستان القديم ((رحلة ابن جبير وجه ٢٦٣) .

٨ ـ في حلب :

١ ـ البيمارستان النوري (ابن أبي أصيبعة جزء ٢ وجه ١٥٥) .

٢ ـ البيمارستان الجديد بناه الكاملي (اعلام النبلاء جزء ٢ وجه ٤٧٧) .

٩ ـ في القدس : بيمارستان صلاح الدين (ابن أبي أصيبعة جزء ٢ وجه ٢١٦)

١٠ ـ في انطاكية : أُشير إلى وجود مستشفى اثناء الكلام عن ابن بطلان (ابن أبي أصيبعة جزء ١ وجه ٢٤٣) .

١١ ـ في حماه : أشار ابن جبير إلى وجود مستشفى في حماه (رحلة ابن جبير وجه ٢٥٧) .

١٢ ـ في مكة : مستشفى بناه بيبرس (ابن خلكان جزء ١ وجه ٩٨) .

١٣ ـ في المدينة : مستشفى بناه بيبرس (ابن خلكان جزء ١ وجه ٩٨) .

١٤ ـ في شمالي افريقيا : بيمارستان بناه المنصور بن يوسف .

١٥ ـ في الأندلس : ليس لدينا معلومات واضحة عن المستشفيات في الأندلس . ولكن قيل إن في قرطبة وحدها كان يوجد أكثر من خمسين مستشفى ، وبدون شك كان يوجد عدة مستشفيات في المدن الأخرى الكبيرة كغرناطة وأشبيلية وطليطلة وغيرها . . .

كان العرب أوّل من بدأ بالتدريس في المستشفيات بطريقة علمية وأول من أقام العيادات الخارجية وأول من اهتم بادارة المستشفيات وضبط حساباتها وأول من أوجب فحص الأطباء قبل الترخيص لهم بمعاطاة الطب . كما كانوا أول من ألحق بالمستشفيات الصيدليات القانونية . وأكثر من ذلك فإنهم أوجبوا على الأخصائيين أن يقدموا إمتحاناً خاصاً ويحصلوا على ترخيص خاص بالفرع الذي تخصصوا به ، الأمر الذي لم ندرك شأوه حتى يومنا هذا رغم تكرار الطلب والإلحاح) .

وقد ذكرت الدكتورة زيغريد هونكه العديد من البيمارستانات ودور الشفاء ومدارس العلاج في كتابها[١] ومنها :

بيمارستان أحمد بن طولون ، بيمارستان آخر بحلب ، بيمارستان أدرنة ، بيمارستان أرغوت الكاملي ، بيمارستان الأسفل ، بيمارستان الاسكندرية ، بيمارستان أصبهان ، بيمارستان الأعلى ، بيمارستان أصاصية ، بيمارستان انطاكية ، بيمارستان باب البديل ، بيمارستان باب محوّل ، بيمارستان أبي الحسن بجكم ، بيمارستان بدر غلام المعتضد ، بيمارستان البرامكة ، بيمارستان تبريز ، بيمارستان تونس ، بيمارستان ثابت ، بيمارستان الجبل ، بيمارستان الجديد بحلب ، بيمارستان الجذام بأدرنة ، بيمارستان جنديسابور ، بيمارستان حرّان ، بيمارستان حصن

(١) شمس العرب تسطع على الغرب ص ٣٤٠ ـ ٣٤٢ ـ طبعة سادسة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ نقله عن الألمانية فاروق بيضون وكمال الدسوقي .

الأكـراد ، بيمـارستـان حمـاه ، بيمـارستـان خـاصكي سلطان ، بيمـارستـان خوارزم ، بيمارستان الدقـاني ، بيمارستـان ديوركي ، بيمـارستان الـرشيد ، بيمارستان الرملة ، بيمارستان الري ، بيمـارستان زرنـج ، بيمارستـان زقاق القنـديل ، بيمـارستان السقـطيين ، بيمـارستان سـلا ، بيمارستـان السلطان أحمد، بيمارستان السلطان سليمان، بيمارستان السيدة، بيمارستان سيدي فرج، بيمارستان شيراز، بيمارستان الصالحية أو القيمري ، بيمارستان الصغير بدمشق ، بيمارستان صفد، بيمارستان العتيق، بيمارستـان العضدي، بيمارستان علاء الدين قيقبـاد ، بيمارستـان أبي الحسن علي بن عيسى ، بيمـارستان عـلي فـرنـانـة ، بيمـارستان غـرناطـة ، بيمارستـان غزة ، بيمـارستان الغـارقي بميـافـارقـين ، بيمـارستان القـدس ، بيمارستـان القشاشـين ، بيمـارستـان قيسـاريـة أو دار الشفا ، بيمارستـان القيمري ، بيمـارستان كـافور الأخشيـدي ، بيمارستـان الكبير المنصوري ، بيمارستان الكبير النوري ، بيمارنستان الكرك ، بيمارستان محمد بن علي بن خلف ، بيمـارستان محمـد الفاتـح ، بيمارستـان المحمول ، بيمارستان المـدينة ، بيمـارستان مـرو ، بيمارستـان المستنصري ، بيمـارستان المغـافر ، بيمـارستان مكـة ، بيمارستـان المنصـور أبي يـوسف ، بيمـارستـان الموصل ، بيمارستان المؤيدي ، بيمارستان نابلس ، بيمـارستان النـاصري أو الصـلاحي ، بيمارستـان نصيبـين ، بيمـارستـان النـوري أو العتيق بحلب ، بيمارستان واسط ، بيمـارستان والـدة السلطان ، بيمارستـان الوليـد بن عبد الملك .

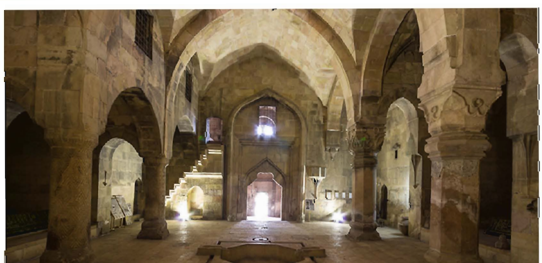
بيمارستانات أخرى ببـلاد الروم : بيمـارستان الأنـدلس ، بيمارستـان ايران ، بيمارستان بغداد .

بيمارستانات الجزيرة العربية : بيمارستان الشام ، بيمارستان العراق ، بيمـارستـان متنقلة ، بيمـارستـان مصر ، بيمـارستـان المغـرب ، دار الشفـاء بقيسارية ، دار الشفـا المنصوري ، دار الـطب ببروسـة ، دار الطب المـرضي

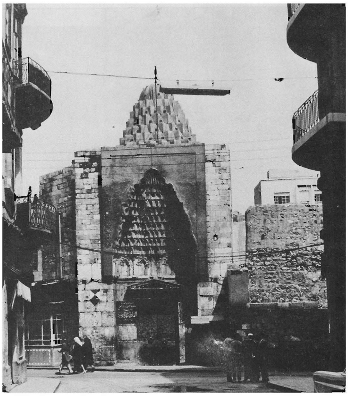
بنيسابور ، مارستان قلاوون ، مارستان قوتلوغ توركان ، المدرسة الدخوارية ، المدرسة الشفائية غياثية ، المدرسة الشفائية بسيواس .

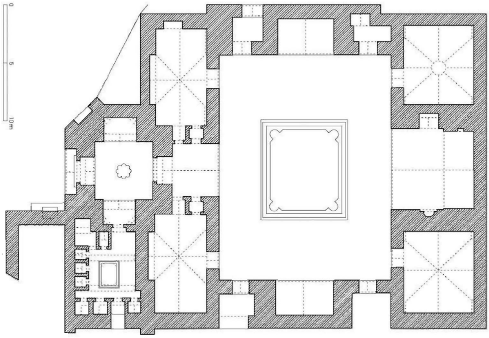




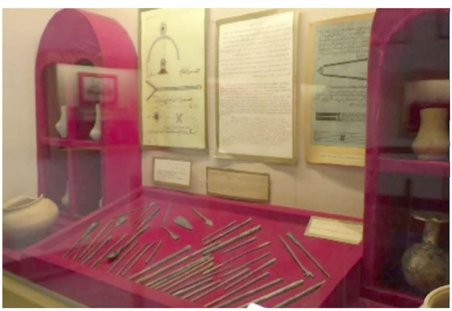

جامع ديفريي العظيم في ولاية سيواس في تركيا وهو يضم بيمارستان
Divriği Ulu Camii

















ألبيمارستان ألنوري

الفصل الثالث

أنواع البيمارستانات الإسلامية

١ ـ البيمارستانات العامة

٢ ـ البيمارستانات الخاصة

٣ ـ البيمارستانات الثابتة

٤ ـ بيمارستانات المساجد

٥ ـ بيمارستانات السجون

٦ ـ البيمارستانات التخصصية

أ ـ مستشفيات الأمراض العقلية

ب ـ المجاذم أو دور المجذومين .

٧ ـ البيمارستانات المحمولة أو المتنقلة .

أ ـ المستشفيات الميدانية والعسكرية .

ب ـ المستشفيات المتنقلة بين القرى .

ج ـ محطات الإسعاف للأماكن العامة المزدحمة .

د ـ المستشفيات التي تصاحب الحكام في تنقلاتهم

٨ ـ البيمارستانات التعليمية .



ما هو مكتوب على باب بيمارستان .حصن الأكراد منقولة عن فان برشم

بسم الله الرحمن الرحيم، أنشأ هذا البيمارستان المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى بكتمر بن عبد الله الأشرفي، نائب السلطنة المعظمة بحصن الأكراد، أثابه الله تعالى وأوقفه على مرضى المسلمين المقيمين والواردين .وذلك في شهور سنة ٧١٩هـ/١٣١٩م

أنواع البيمارستانات الإسلامية

تعددت أنواع المستشفيات الإسلامية طبقاً لعوامل كثيرة خاصة متعلقة بصفات البيمارستانات (المستشفيات) .

ومن تلك العوامل : الأغراض التي بنيت تلك البيمارستانات من أجلها ، لتحقيق أهداف ما أُنشئت إليه .

أو إمكانية نقل بعض تلك البيمارستانات من مكان لآخر حسب ما تقتضيه الظروف والضروريات التي تفرض ذلك .

أو ثبوت البيمارستانات في الأماكن التي شيّدت فيها .

وبناء على تلك العوامل ، فقد أصبحت أنواع البيمارستانات الإسلامية تنقسم إلى عدة أقسام منها :

١ ـ البيمارستانات العامة

٢ ـ البيمارستانات الخاصة .

٣ ـ البيمارستانات الثابتة .

٤ ـ بيمارستانات المساجد .

٥ ـ بيمارستانات السجون .

٦ ـ البيمارستانات التخصصية . ومنها :

أ ـ مستشفيات الأمراض العقلية أو دور المجانين .

ب ـ المجاذم أو دور الزَمْنَى أو دور المجذومين .

٧ ـ البيمارستانات المحمولة أو المتنقلة وتضم :

أ ـ المستشفيات الميدانية والعسكرية .

ب ـ المستشفيات المتنقلة بين القرى .

ج ـ محطات الإسعاف للأماكن العامة المزدحمة .

د ـ المستشفيات التي تصاحب الحكام في تنقلاتهم .

٨ ـ البيمارستانات التعليمية .









دار ألشفاء هو مستشفى للأمراض ألنفسيه أنشأه ألعثمانيون فى مدينه أدرنه عام 1488م في عهد بايزيد الثاني وتم إستخدام ألرسم وألموسيقى كأدوات للعلاج

البيمارستانات العامة

إن البيمارستانات العامة عبارة عن مستشفيات لعلاج الأمراض على مختلف أنواعها التي كانت تنتاب الناس ويترددون على تلك المستشفيات سواء كانوا رجالاً أو نساء ، فقراء أو أغنياء ، ضعفاء أو أقوياء ، متأهلين أو مغتربين . وإليكم بعض ما جاء في كتاب الوقف الشرعي الذي أمر بكتابته السلطان الملك المنصور قلاوون ليكون دستوراً للبيمارستان الذي أنشأه في القاهرة وسُمي بالبيمارستان المنصوري :

(وهذا المارستان[1] هو الذي أوقفه مولانا السلطان الملك المنصور . . . بيمارستان لمداواة مرضى المسلمين الرجال والنساء من الأغنياء المثرين والفقراء المحتاجين ، بالقاهرة ومصر وضواحيها من المقيمين بها والواردين إليها من البلاد والأعمال على اختلاف أجناسهم وأوصافهم ، وتباين أمراضهم وأوصابهم ، من أمراض الأجسام قلّت أو كثرت إتفقت أو اختلفت ، وأمراض الحواس ، خفيت أو ظهرت ، وإختلال العقول التي حفظها أعظم المقاصد والأغراض . . . يدخلونه جموعاً ووحداناً وشيوخاً وشباناً ، وبلغاء وصبياناً ، وحرماً وولداناً ، يقيم به المرضى الفقراء من الرجال والنساء لمداواتهم إلى حين برئهم وشفائهم ، ويصرف ما هو معد فيه للمداواة ، ويفرق للبعيد والقريب ، والأهلي والغريب ، والقوي والضعيف ، والدني

(١) نقلاً عن كتاب ـ تاريخ البيمارستانات في الاسلام ص ١٣٨ ـ ١٣٩

والشريف ، والعلي والحقير ، والغني والفقير ، والمأمور والأمير ، والأعمى والبصير ، والمفضول والفاضل ، والمشهور والخامل ، والرفيع والوضيع ، والمترف والصعلوك ، والمليك والمملوك ، من غير إشتراط لعوض من الأعواض ، ولا تعويض بإنكار على ذلك ، ولا اعتراض ، بل لمحض فضل الله وطوله الجسيم ، وأجره الكريم ، وبره العميم لينتفع بذلك . . . .) .

وقد كان العلاج بتلك المستشفيات مجاناً ، ومجهزة بكل ما يتطلبه علاج الأمراض على مختلف أنواعها من عدة وآلات وأدوية وشرابات .

وإليكم ما يقوله الأستاذ الدكتور أحمد شوكت الشطي عن تلك المستشفيات[1] :

(المشافي العامة : ـ كان منها في كل مدينة كبرى في الدولة العربية الاسلامية مستشفى عام واحد على الأقل للعناية بالمرضى ، وهو مؤسسة حكومية يشيدها ويقوم بنفقاتها أحد الخلفاء أو أحد كبار الأمراء ، وكان التشابه عظيماً بين هذه المستشفيات في كل شيء : البناء ، والإدارة ، والشعب ، ويصلح في أكثرها وصف عام ، وقد بني بعضها تبعاً لتصميم موضوع ليكون مستشفى ، وبعضها الآخر كان في الأصل قصوراً حولت إلى مشافٍ ، ولكل مستشفى عام أروقة خاصة بالذكور أو بالإناث ، وخصصت شعب للحمى والإسهالات والجراحة والتجبير ، والحوادثِ العارضة ، وللإصابات العينية ، وأُلحق بأكثر المستشفيات حماماً عاماً ، والماء يجري موفوراً ولا يُستغنى عنه . ومن أقسام المستشفى صيدلية يشرف عليها صيدلي مجاز ، وهي مجهزة بالأدوية والشرابات والعقاقير والقوارير ، وبعض التحف التي هي في مقدمة حوانيت أدويتنا الحديثة ، وجهز كل مستشفى بمكتبة تضم المفيد من

---

(١) عن مقال للدكتور أحمد شوكت الشطي في مجلة العلم والإيمان تحت عنوان (العلم عند العرب) .

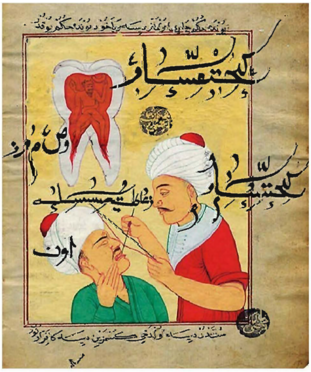
مخطوطات أبقراط ، وجالينوس ، وأطباء العرب ، يجتمع فيها الأساتذة والطلاب بعد جولات الصباح ، وكان للمستشفيات أوقاف يسجلونها في حجج مكتوبة ينقشون بعض ما فيها على الحجارة ، يبينون فيها أن الغاية هي تسيير المستشفى والاعتناء بالمرضى ، وأما مشافي الأمراض الخاصة فلقد اشتهر منها المجاذم والمارستانات . . .) .

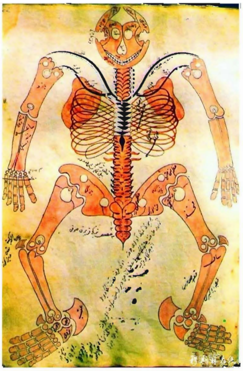
لقد كانت المستشفيات العامة مفتوحة أبوابها لمعالجة الجمهور . وجميع الناس على اختلاف طبقاتهم ورتبهم مقسمة لقسمين منفصلين أحدهما للذكور وآخر للإناث وكل قسم توجد فيه قاعات عديدة ، وكل قاعة مخصصة لنوع من الأمراض فمنها ما هو للأمراض الباطنية ، وأخرى للجراحة أو للتجبير أو للعيون ، أو للأمراض العقلية .

أما قاعات الأمراض الداخلية فكانت بدورها مقسمة إلى غرف عديدة فمنها للمسهولين أو للمحمومين وغير ذلك .

وكان لكل قسم أطباء ولهم رئيس خاص بهم فهاكم رئيس للجراحين أو المجبرين أو للأمراض الباطنية أو للكحالين (أي أطباء العيون) وعلى كل هؤلاء الرؤساء ، رئيس الأطباء في المستشفى الذي كان يسمى (ساعورا) .

وكان في كل مستشفى خدم وفراشون ومحاسبون ومراقبون وصيدلية تسمى (خزانة الشراب) يديرها صيدلي مجاز .





بيمارستانات المساجد

لقد اعتنى المسلمون بأفراد الأمة والمجتمع من الناحية الصحية اعتناءً كبيراً . فعلاوة على إقامة المستشفيات العامة الثابتة أنشأ المسلمون محطات إسعاف أو ما تسمى بيمارستانات إسعاف في الأماكن المزدحمة بالناس ، وخصوصاً في المساجد أثناء صلاة الجمعة . فهاكم أحمد بن طولون المتوفي سنة ٢٧٠ هـ الموافقة لسنة ٨٨٣ م ، ألحق بالمسجد الذي أقامه في القاهرة بيمارستاناً لرعاية المصلين وإسعاف من ينتابه مرض أو وعكة . وكان ذلك المستشفى مجهزاً بخدم وطبيب لمعالجة من يصاب بمرض وكذلك فيه صيدلية فيها جميع أنواع الأدوية اللازمة لعلاج المرض .

وبهذا الصدد فقد جاء في كتاب (من روائع حضارتنا[١]) : (وهناك محطات للإسعاف كانت تقام بالقرب من الجوامع ، ويحدثنا المقريزي أن ابن طولون حين بنى جامعه الشهير في مصر عمل في مؤخره ميضأة وخزانة شراب (أي صيدلية أدوية) وفيها جميع الشرابات والأدوية ، وعليها خدم ، وفيها طبيب جالس يوم الجمعة لمعالجة من يصابون بالأمراض من المصلين) .

ويقول الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه[٢] ما يلي : (وعمل أحمد بن

---

(١) ص ١٤١ ـ تأليف الدكتور مصطفى السباعي ـ الطبعة الثانية .

(٢) تاريخ البيمارستانات في الاسلام ص ٧٢ .

طولون في مؤخرة جامعه ميضأة وخزانة شراب فيها جميع الشرابات والأدوية وعليها خدم وفيها طبيب جالس يوم الجمعة لحادث يحدث للحاضرين للصلاة . . .) .



البيمارستان-الطولوني-بالقاهرة
في مجمع مسجد أحمد إبن طولون

بيمارستانات السجون

لقد اعتنى المسلمون بصحة المسجونين فأنشأوا البيمارستانات الخاصة بالسجون للعناية بصحتهم .

وقد قام بهذا العمل العظيم ، وزير الخليفة العباسي المقتدر بالله ، فكتب الوزير علي بن عيسى ابن الجراح إلى الطبيب الشهير سنان بن ثابت والد الطبيب ثابت بن سنان ، يأمره بالعناية بصحة من في السجون وتخصيص الأطباء والصيادلة والأدوية للمساجين .

وبهذا الصدد فقد ذكر الطبيب المؤرخ ابن أبي أصيبعة في كتابه[1] :

(. . . وقال ثابت بن سنان في تاريخه : أذكر وقد وقع الوزير علي بن عيسى بن الجراح إلى والدي سنان بن ثابت في أيام تقلده الدواوين من قبل المقتدر بالله وتدبير المملكة في أيام وزارة حامد بن العباس في سنة كثرت فيها الأمراض جداً ، وكان والدي إذ ذاك يتقلد البيمارستانات ببغداد وغيرها توقيعاً يقول فيه : (فكرت مدّ الله في عمرك ، في أمر من في الحبوس ، وأنه لا يخلو مع كثرة عددهم وجفاء أماكنهم أن تنالهم الأمراض وهم معوقون عن التصرف في منافعهم ، ولقاء من يشاورونه من الأطباء فيما يعرض لهم ،

(1) ص ٣٠١ ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، شرح وتقيق نزار رضا ـ منشورات مكتبة الحياة ـ بيروت ـ طبعة ١٩٦٥م .

فينبغي أن تفرد لهم أطباء يدخلون إليهم في كل يوم وتُحمل إليهم الأدوية والأشربة ، ويطوفون في سائر الحبوس ، ويعالجون فيها المرضى ، ويزيحون عللهم فيما يحتاجون إليه من الأدوية والأشربة ففعل والدي ذلك طول أيامه . . .) .

لقد كان الأطباء المتخصصون يقومون بالطواف على المساجين كل يوم لفحصهم وعلاج المرضى منهم بالأدوية اللازمة .

علاوة على العناية بصحة المسجونين ، فقد أهتم المسلمون بتثقيف المساجين وتهذيب أخلاقهم ليصبحوا مواطنين صالحين ، وذلك بالوعظ والإرشاد وإقامة شعائر الدين وفروضه وبذلك يغرسون بهم تقوى الله ، فيبتعدون عن الفحشاء والمنكر والآثام والشر .

لقد كان المسلمون أوّل من أهتم برعاية صحة المسجونين وبتثقيفهم وإطعامهم وذلك في أيام الخليفة العباسي المقتدر بالله الذي حكم من (٩٠٨ - ٩٣٢ م) (٢٩٦ - ٣٢٠ هـ) بينما في الغرب لم يظهر أي إصلاح للمساجين إلا في سنة ١٧٩٠ م وبهذا الصدد فقد جاء في الموسوعة العربية الميسرة(١) :

(. . . تركز أوّل إصلاح أمريكي في السجون في فيلادلفيا (١٧٩٠) وأوبرن بولاية نيويورك حيث بدأ تطبيق أنظمة الحجز الإنفرادي والعمل الجمعي . واستمرت الجهود الاصلاحية في القرن ١٩ . وبرزت في مجالها سيدتان هما : اليزابيث فراي ، ودوروثيا ل . ديكس ، وأدى تأثير الأفكار البريطانية (والإيرلندية خاصة) إلى تطبيق نظام الإفراج تحت المراقبة ، وفي القرن ٢٠ تم في الولايات المتحدة تنفيذ إصلاحات كثيرة ، قضت على الظروف الضارة بمعنويات المسجونين ، كما تمّ بعض التقدم في مجال معالجة

---

(١) الطبعة الثانية ص ٩٧١ .

المذنبين علاجاً فردياً ، وتطبيق الحكم الذاتي بينهم ، وتدريبهم على الأعمال ، والحرف بصورة بنائية ونشأ ميل متزايد إلى إعتبار الإيداع في السجن عملية ولادة جديدة للمذنب ، كهدف أساسي ، بدلاً من اعتبار هذا الإيداع قصاصاً مجرداً ، أو حماية للمجتمع بعزل المذنب ، ومع ذلك فإن العقاب البدني ما زال يستخدم في كثير من البلاد ، وسيلة للضبط والإصلاح حيث اكتسبت نظمه ـ كعصبة المقيدين بالسلاسل مثلاً ـ شهرة رهيبة لوحشيتها . . . .) .

أما السجون الإسلامية فقد قامت بتثقيف المسجونين وتشجيعهم على القيام بفرائض دينهم والعناية بصحتهم وتغذيتهم ويقول الأستاذ الدكتور محمد سعيد السيوطي في كتابه[1] :

(. . . وقال ثابت بن سنان بن قرة المولود سنة (٢٤٥ هـ) والمتوفي سنة ٣٣٥ هجرية : (إن الوزير علي بن عيسى بن الجراح في أيام تقلده الدواوين من قبل المقتدر بالله . . . وقّع لوالده سنان توقيعاً خلاصته : فكرت مدّ الله في عمرك في أمر المسجونين في الحبوس . . . فينبغي أكرمك الله أن تفرد لهم أطباء يدخلون إليهم في كل يوم ويحملون معهم الأدوية والأشربة ما يحتاجونه من المزورات (شوربة الخضر الخالية من الدسم واللحم) ويداووا ويطعموا من فيها من المرضى إلى أن يشفوا ففعل سنان ذلك . . .) .

---

(١) كتاب (معجزات في الطب للنبي العربي محمد ﷺ) ـ مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الأولى ص ١٢٠ .

مستشفيات الأمراض العقلية
أو دور المجانين

كانت تلك البيمارستانات متخصصة لإيواء ورعاية ومعالجة من يصاب بمرض في عقله وأعصابه .

ومنذ ظهور الإسلام اعترفت الدولة الإسلامية بأن من واجب الدولة رعاية أفرادها المصابين بالعاهات العقلية والأمراض العصبية كالمجانين والبلهاء .

لذلك شيّد المسلمون لهؤلاء المرضى المستشفيات المتازة الخاصة بهم لرعايتهم وعلاجهم ، وذلك في القرون الأولى من ظهور الإسلام فهاكم السلطان أحمد بن طولون أنشأ البيمارستان الأعلى سنة ٢٥٩ هـ /٨٧٢ م وقيل ٢٦١ هـ . وذكر أن مبلغ ما أنفق عليه حوالي ستين ألف دينار . وكان في هذا المستشفى جناح خاص للمجانين ، للعناية بهم ، وكان يذهب بنفسه يتفقد المرضى والمجانين ويشرف على حسن معاملتهم وبهذا الصدد فقد جاء في كتاب (تاريخ البيمارستانات في الإسلام)[١] : (. . . البيمارستان الأعلى أنشأه أحمد بن طولون . . . فكان يركب بنفسه في كل يوم جمعة ويتفقد خزائن المارستان وما فيها والأطباء وينظر إلى المرضى وسائر المعلولين والمحبوسين من المجانين . . .

لقد أنشأ المسلمون دوراً خاصة بالمجانين سموها دور المجانين واعتنوا

---

(١) ص ٦٧ .

بهم ، وبحسن معاملتهم وحاولوا علاجهم كسائر الأمراض الأخرى .

وعلاوة على دور المجانين كان يوجد في بعض المستشفيات العامة ، غرف خاصة بمن يصابون بعاهات عقلية معزولة عن باقي قاعات المستشفى الخاصة بالأمراض الأخرى .

وكانت غرف المجانين لها نوافذ محمية بقضبان من حديد ، ولهم أطباء متخصصون لعلاجهم جسمانياً ونفسياً بالعقاقير والموسيقى وطريقة التطبيب بالوهم والتي كا ن لها أثر كبير في معالجة المصابين بالعلل النفسية ، فقصة ابن سينا وعلاجه للأمير الشاب من بني بُوَيه الذي أصيب بمرض عصبي معروفة .

وهذا الشاب الأمير امتنع عن الأكل وتوهم أنه صار بقرة ، وصار يصرح ويُطالب بأن يذبح ويفرق لحمه على الناس ، فحمل الطبيب الشهير ابن سينا سكيناً وهب نحو الأمير المريض شاهراً سكينه ويصيح : أين تلك البقرة التي تريدون ذبحها ؟ فتقدم نحو الأمير وتحسّسَ وجسّ جسمه ، ووضع السكين قرب رقبة المريض الأمير ، ثم قال ابن سينا بصوت مرتفع : إن هذه بقرة هزيلة نحيفة أعلفوها أوّلاً حتى تسمن ، فصار الأمير يأكل وابن سينا يدس له الدواء في الغذاء ، فشفي الأمير من مرضه .

ويقول الدكتور علي عبدالله الدّفاع في كتابه[1] : (. . . يقول قدري حافظ طوقان في كتابه (تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك) : (درس ابن سينا الاضطرابات العصبية ، وعرف بعض الحقائق النفسية والمرضية عن طريق التحليل النفسي ، وكان ابن سينا يرى أن في العوامل النفسية والعقلية كالحزن والخوف ، والقلق والفرح وغيرها ، تأثيراً كبيراً على

---

(١) كتاب (اعلام العرب والمسلمين في الطب) ص ١٤٢ ـ ١٤٣ الطبعة الأولى .

أعضاء الجسم ووظائفها ، ولهذا فقد لجأ إلى الأساليب النفسية في معالجة مرضاه . . .) .

وقد لعب المسلمون دوراً هاماً في تشخيص وعلاج الأمراض النفسية والاضطرابات العقلية وهاكم ابن سينا يصف تشخيص وعلاج العاشق كما جاء في كتابه[٢] : (فصل في العشق : هذا مرض وسواس يكون الإنسان قد جلبه إلى نفسه بتسليط فكرته على استحسان بعض الصور والشمائل التي له . . . ويتغير حاله إلى فرح وضحك أو إلى غم وبكاء عند سماع الغزل ولا سيما عند ذكر الهجر والنوى . . . ويكون نبضه نبضاً مختلفاً بلا نظام البتة كنبض أصحاب الهموم ويتغيّر نبضه وحاله عند ذكر المعشوق خاصة وعند لقائه بغتة ويمكن من ذلك أن يستدل على المعشوق أنه من هو إذا لم يعترف به ، فإن معرفة معشوق أحد تسهل علاجه والحيلة في ذلك أن يذكر أسماء كثيرة تُعاد مراراً ، وتكون اليد على نبضه ، فإذا اختلف بذلك اختلافاً عظيماً وصار شبه المنقطع ثم عاود ، وجربت ذلك مراراً وعلمت أنه اسم المعشوق . . . ثم إن لم تجد علاجاً إلا تدبير الجمع بينهما على وجه يُحله الدين والشريعة فَعَلْت) .

وقد جاء في كتاب (الموجز[١]في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب) بإشراف الإستاذ الدكتور محمد كامل حسين تعليقاً على ما سبق : (. . . يصف ابن سينا طريقته المشهورة في تشخيص العاشق وعلاجه وهي تشبه ما نسميه الآن بجهاز كشف الكذب . . .) .

---

(١) القانون في الطب الجزء الثاني / ص ٧١ ـ ٧٢

(٢) ص ٨٤ تأليف مجموعة من الأطباء .

المجاذم أو دور المجذومين
أو دور الزَمْنَى

المجاذم عبارة عن مستشفيات متخصصة لإيواء وعلاج من يصابون بمرض الجذام (البرص) . ولقد اعتنى المسلمون بهؤلاء المرضى فأنشأوا لهم المستشفيات الخاصة بهم .

وقد كان الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك أول من أسس مستشفى خاصاً بالمجذومين وذلك سنة ٨٨ هـ /٧٠٧ م ، وجعل فيه أطباء مهرة ، وأجرى عليهم الأرزاق ، وأمر بعزلهم عن الأصحاء كيلا تنتقل العدوى من المصابين للأصحاء ، وبهذا الصدد يقول الاستاذ الدكتور أحمد شوكت الشطي في مقال له تحت عنوان : (العلم عند العرب) في مجلة العلم والإيمان : (. . . أول مؤسسة عرفت هي مجذمة الوليد بن عبد الملك في دمشق سنة ٨٨ هـ /٧٠٧ م ، ثم تعددت الملاجىء بعد ذلك في مختلف البلاد العربية لبذل العناية الإنسانية لهؤلاء التعساء ، وتعدِ المجاذم العربية أول دور عولج فيها المصابون بالجذام معالجة فنية ، ويُقال أن أول من شاد المجاذم الأميرة أغفيتا في أرمينيا سنة ٢٧٠ م . ويرجع تاريخ مجذمة سان كلو في الجورا الفرنسية إلى سنة ٤٦٠ م ، ولم تثبت صحة ذلك ، على أنه إن صح وجود هاتين المجذمتين ، فإن الدخول إليها لم يكن مباحاً لجميع المجذومين كما في مجذمة الوليد في دمشق ، وكان لا يقبل فيهما المصابون إلا بعد دفع رسوم باهظة ، وكانت معاملة القائمين باختلاف ثروة المصاب وفقره وغناه ، وكانت المجاذم مخصصة لفئة من الناس ، لا يقبل فيها المصاب إلا بعد بيان نبله وثبوت صحة ادعائه من طبقة السادة ، وكان عليه أن يدفع رسماً باهظاً للقول ، وأن

يصطحب معه ما يحتاج إليه من مقاعد وأسرة وأواني الطعام والشراب التي يجب أن تكون من الفضة ، وغير ذلك من شروط ذكرها (رونيه ساند) في كتابه (الطب الاجتماعي) .

أما الدكتورة زيغريد هونكه الألمانية فتقول في كتابها[1] : (. . . في النصف الأول من القرن التاسع صور ابن مسكويه صورة شاملة لمرض الجذام (البرص) ، دون أن يربطه بغضب السماء أو عقاب الله ، بل صوّره كمرض معدٍ اهتم به أطباء كثيرون غيره كابن الجزار من مدينة القيروان الذي كتب مفصلاً أسبابه وطرق علاجه والحق يُقال إن العاطفة الإنسانية التي كانت رائدة العرب في معالجتهم للمرضى ، أياً كان نوع المرض وأياً كان خطره ، لهي مشرّفة كل التشريف ، ولم يعرف لها الأوروبيون مثيلاً بل لجأوا إلى معالجة المرضى الذين لا رجاء في شفائهم معاملة الحيوانات الضارية فكانوا يقصونهم عن المجتمع ، ويرمون بهم في أعماق السجون المظلمة ، وكأنهم مجرمون أشرار لا خير منهم ولا يستحقون رحمة أو شيئاً من العدالة الإنسانية .

نقول في الوقت الذي كان الأوروبيون يتصرفون هذا التصرف كان العرب يخصصون المستشفيات أو أجنحة المستشفيات لمرضى الجذام وغير ذلك . وكان عزل المرضى في أوربا عن بقية البشر عملاً حللته الكنيسة وأشترك في تنفيذه رجال الدين ورجال الدولة . . . وفي الوقت الذي كان فيه العرب ينظرون إلى مثل هذه العوارض والأمور نظرة علمية بحتة . . . كان النصارى في أوروبا يقفون أمامها مكتوفي الأيدي ، وقد سيطرت على عقولهم اعتقادات مهترئة أعمت بصرهم ، وهذا دليل على ثقافة العرب آنذاك وتأخر النصارى الفكري في أوروبا) .

---

(١) شمس العرب تسطع على الغرب ص ٢٧٣ - ٢٧٤ .

البيمارستانات الخاصة

علاوة على المستشفيات العامة التي كانت تفتح أبوابها للجمهور ، فقد بنى بعض الناس مستشفيات خاصة لهم لا يرتادها إلا فئة خاصة من الناس لهم علاقة بمن بنى تلك المستشفيات .

فهاكم الوزير ابن الفرات أنشأ بيمارستاناً خاصاً لموظفيه فقط لعلاجهم من الأمراض التي تنتابهم وذلك سنة ٩٢٣ م / ٣١١ هـ .

وبهذا الصدد تقول الدكتورة الألمانية زيغريد هونكه في كتابها (شمس العرب تسطع على الغرب)[١] (. . . وفي عام ٩٢٣ م / ٣١١ هـ أقام الوزير ابن الفرات في بغداد عيادة جامعة على نفقته الخاصة وخصصها للموظفين العاملين تحت إمرته ، وكان يحق لهم التداوي فيها ونيل كل أسباب العلاج والعناية بلا مقابل . . .)

ولقد وُلد أبو الحسن علي بن محمد الملقب بابن الفرات سنة ٨٥٥ م /٢٤١ هـ . وقُتل مع ابنه سنة ٩٢٤ م /٣١٢ هـ . وقد تولى ديوان السواد في عهد الخليفة المعتضد .

وجاء في كتاب المنجد[٢] في الاعلام : (الفرات (إبن) . . . أبو

---

(١) ص ٢٣١ ـ طبعة ثانية ـ .

(٢) الطبعة الثانية ص ٣٨٩ .

الحسن علي بن محمد وُلد (٨٥٥) ، تولى ديوان السواد عهد المعتضد . وزير المقتدر (٩٠٨ ـ ٩١٢) سُجن ثم أُعيد إلى الوزارة (٩١٧ ـ ٩١٨) قتل مع ابنه (٩٢٤) .

وجاء في الموسوعة العربية الميسرة[٢] : (ابن الفرات (٨٥٥ ـ ٩٢٤) ، وزير عباسي ، من الأدباء ، وُلد في النهروان ، واتصل بالمعتضد ، فولاه ديوان السواد . بلغ الوزارة أيام المقتدر ، وتولاها مرات ، ثم سُجن خمس سنين وخرج من السجن إلى الوزارة ، وكان يبطش بخصومه ، حتى قُتل ، وألقيت جثته في نهر دجلة . أفرد الصبائي في كتابه (الوزراء) صفحات لترجمته وأخباره ، أشار إليه الأدباء والشعراء في زمانه) .





إحتوت ألبيمارستانات على مكاتبات وصيدليات وأماكن مبيت للأطباء ألمقيمين

(١) الطبعة الثانية ص ٢٤

البيمارستانات الثابتة

إن البيمارستانات الثابتة تضم المستشفيات التي بنيت في موضع ثابت خاص بها لا يتغيّر ، وبذلك لا تنتقل من مكان إلى آخر .

وقد كانت تلك المستشفيات كثيرة العدد منتشرة في جميع أنحاء الدولة الإسلامية حتى قيل أن في مدينة قرطبة في الأندلس كان يوجد حوالي خمسين مستشفى .

ولقد بنى تلك المستشفيات السلاطين والملوك والحكام وأهل اليسار والثراء من المسلمين ، وأوقفوا عليها الأوقاف الطائلة والأموال السخية للإنفاق عليها ومعالجة الجميع سواء كانوا أغنياء أو فقراء متأهلين أو مغتربين ، أقوياء أو ضعفاء بدون مقابل أو أجر يدفعونه لقاء المعالجة .

وكان نظام تلك المستشفيات أشبه ما يكون بنظامها في وقتنا الحاضر من حيث نظامها العلاجي والمعماري والجغرافي والإداري والمالي والفني .

ومن أشهر تلك المستشفيات المستشفى العضدي في بغداد الذي بناه عضد الدولة بن بويه سنة ٣٧١ هـ ، وكان فيه حوالي أربعة وعشرين طبيباً وقيل : ثمانية وعشرين طبيباً على مختلف أختصاصاتهم .

وفي سنة ٤٤٩ هـ جدد هذا المستشفى الخليفة القائم بأمر الله .

أما المستشفى النوري الكبير في دمشق فقد شيده السلطان الملك العادل نور الدين سنة ٥٤٩ هـ /١١٥٤ م من المال الذي أخذه فدية من أحد ملوك الفرنجة .

والمستشفى المنصوري الكبير أنشأه الملك المنصور سيف الدين قلاوون في القاهرة سنة ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤م ، وألحق به مسجداً ومدرسة ومكتباً للأيتام .

ومستشفى مراكش أنشأه أمير المؤمنين المنصور أبو يوسف من ملوك الموحدين في المغرب وقد كان لها حديقة غناء فيها من جميع المأكولات والأشجار والفواكه والمشمومات .

علاوة على ذلك فهنالك مئات المستشفيات في البلاد الإسلامية ، بينما لم يكن في أوروبا أيّ مستشفى .

ولم تقتصر بناء تلك المستشفيات على السلاطين والخلفاء ، بل قام غيرهم من الأطباء والأثرياء في تشييدها .

فهاكم الطبيب الشهير سنان بن ثابت قد شيّد مستشفى . وكذلك حاكم (المفرقين) قد أعطى الطبيب (شهيد العلماء) الأموال اللازمة لبناء مستشفى بعد أن عالج الطبيب ابنة الحاكم وشفيت من مرض عضال كانت تُعاني منه سكرات الموت . وأوقف حاكم المفرقين المال اللازم على المستشفى ليضمن سير الأعمال فيه على ما يرام ومعالجة من يرتاده دون مقابل .

المستشفيات الميدانية والعسكرية
أو البيمارستان الحربي أو العسكري

إن المستشفيات الحربية عبارة عن مستشفيات للجيش مجهزة بكل ما يلزم من معدات وأدوية وأطباء وصيادلة عدا عن أطباء الحكام والأمراء والقواد .

وكانت تلك المستشفيات ترافق الجنود في حلهم وترحالهم لرعايتهم والعناية بصحتهم في السلم والحرب وتنقل محمولة على عشرات من الإبل ، أنّى سار الجيش ، وبهذا الصدد تقول الدكتورة الألمانية زيغريد هونكه في كتابها[1] : (. . . في عام ١٢١٨ صحب الطبيب الجراح هوغو البولوني فرسان الله الإيطاليين . . . توافرت له أكثر من مناسبة للتعرف على هؤلاء الجراحين المسلمين ورؤية عظمتهم وزيارة مستشفاهم العسكري الذي كان يحمله إلى ساحة المعركة ثلاثون أو أربعون جملاً . . . إن ما رآه هوغو في معالجة الجروح كان بمثابة صدمة له ، ورأى خطأ ما تعلمه وأخذه عن أبقراط . . .) .

لقد كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه أول من أمر بإنشاء المستشفى الحربي المتنقل في الإسلام فقد روي عنه ﷺ أنه ضرب خيمة في مسجده الشريف بالمدينة المنورة حين نشبت غزوة الأحزاب (الخندق) وأمر صلوات الله وسلامه عليه رفيدة الأسلمية الأنصارية أن تدير ذلك المستشفى ، وجعل عليه الصلاة والسلام سعد بن معاذ رضي الله عنه في تلك الخيمة

---

(١) شمس العرب تسطع على الغرب ص ٣٠٠ .

عندما أصيب بسهم في أكحله في تلك المعركة .

وقد ضرب عبدالله بن الزبير بيتاً من الشعر (فِسطاطاً) في مكة المكرمة عند ناصية المسجد الحرام لمعالجة الجرحى عندما حوصر من قبل الحجاج بن يوسف الثقفي بمكة ستة شهور .

ويقول الأستاذ الدكتور أحمد شوكت الشطي في مقال له في مجلة (العلم والإيمان) تحت موضوع (العلم عند العرب) : (. . . كان للجيش مشافٍ حربية يشرف عليها جراح خاص ملحق بالخليفة ، وكلما ذهب الخليفة إلى الحرب أخذ معه أطباءه للعناية به وبجيشه ، ومما يذكر في هذا الصدد أن (ابن المطران) كان مقرباً من صلاح الدين ورافقه في كل حروبه ، وكانت له خيمة حمراء خاصة به تشبه خيمة صلاح الدين ولها مدخل كبير تعرف به ، وعندما رأى الملك العادل أن العمل أثقل كاهل طبيبه أمر بتعيين طبيب آخر للعناية بالجند وكانوا يحولون الجرحى إلى النساء لتمريضهم إذا أتاح لهم الحظ أن يعيشوا ، أو حسب التعبير الذائع حينها : (إلى أن يشاء الله أن يهبهم تاج الشهادة أو يمنعه عنهم . . .) .

ويقول الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه (تاريخ البيمارستانات في الإسلام [1] : (ونذكر مثلاً من البيمارستانات المتنقلة التي كان يستعملها السلاطين في تنقلاتهم وحروبهم ما ذكره ابن[2] خلكان وابن القفطي[3] قالا : (إن أبا الحكم المغربي عبدالله بن المظفر ابن عبدالله المرسي نزيل دمشق ، كان طبيب البيمارستان الذي كان يحمله أربعون جملاً المستصحب في معسكر السلطان محمود السلجوقي حيث خيَّم ، وكان القاضي السديد أبو

---

(١) ص ١٤ .

(٢) وفيات الأعيان ج١ / ص ٣٤٤ ـ طبعة بولاق .

(٣) تاريخ الحكماء ص ٤٠٥ طبعة ليدن .

(٩٦ هـ) (كان الوليد بن عبد الملك عند أهل الشام أفضل خلفائهم بنى المساجد ، مسجد دمشق الأموي ومسجد المدينة ، ووضع المنار (المأذنة ، وأعطى الناس ، وأعطى المجذومين وقال : (لا تسألوا الناس) وأعطى كل مُقعدٍ خادماً وكل ضرير قائداً) .



مأوى ألمجذومين في ألقدس يعود تاريخ إنشائه إلى ماقبل ألحروب ألصليبيه



مأوى للمجذومين في ألقدس

البيمارستانات التخصصية

إن المستشفيات التخصصية الإسلامية كانت تختص لعلاج نوع واحد من الأمراض مثل : أمراض العيون ، والجذام ، والعقلية . . . الخ .

ولقد أنشأ المسلمون دور المجانين أو ما تسمى بيمارستانات الأمراض العقلية لعلاج من يُصاب بمرض في أعصابه أو خلل في عقله .

وأنشأوا دور الزَمْنَى أو المجاذم التي تشبه مستشفيات العزل في عصرنا الحاضر لعلاج ورعاية من يصاب بمرض الجذام (البرص) .

وعلاوة على ذلك فقد أنشأ المسلمون دور العميان للعناية بهم ، وكان أول من أنشأ ذلك الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي وذلك سنة ٨٨ هـ /٧٠٧ م . وأجرى عليهم الأرزاق وأعطى كل مُقعدٍ خادماً وكل ضرير قائداً .

وكذلك شيّد المسلمون دوراً ومآوي للعجزة والمقعدين أيضاً . وقد قال تقي الدين المقريزي : (أول من بنى البيمارستان في الإسلام الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي سنة ٨٨ هـ وجعل في البيمارستان الأطباء وأجرى لهم الأرزاق وأمر بحبس المجذومين لئلا يخرجوا وأجرى عليهم وعلى العميان الأرزاق . .) .

أما محمد بن جرير الطبري فيقول في تاريخ الرسل والملوك حوادث سنة

البيمارستانات المحمولة أو المتنقلة

إن المستشفيات المتنقلة أو مشافي الإسعاف أو بيمارستانات الإسعاف هي مستشفيات محمولة تنتقل من مكان إلى مكان على حسب انتشار الأوبئة وظروف أحوال المرض أو الحروب وهي تشبه في عصرنا الحاضر ما يسمى Ambulance بالانكليزية .

ومن الراجح أن هذا النوع من المستشفيات أو محطات الاسعاف هي من مبتكرات المسلمين ، وهم أوّل من شيدوا ذلك ولم يسبقهم أحد وبهذا الصدد يقول الاستاذ الدكتور محمد سعيد السيوطي في كتابه[1] : (البيمارستان المحمول . . . وهو عبارة عن مستشفى مجهز بجميع ما يلزم للمرضى والمداواة من أدوات وأدوية وأطعمة وأشربة وملابس وأطباء وصيادلة وممرضين وممرضات وكل ما يعين على ترفيه حال المرضى والعجزة والمزمنين والمسجونين ينقل من بلد إلى بلد آخر من البلدان الخالية من بيمارستانات ثابتة أو التي يظهر فيها وباء ، أو مرض معدٍ) .

أما الدكتور مصطفى السباعي فيقول في كتابه[1] عن المستشفيات المتنقلة : (وكانت المستشفيات نوعين : نوعاً متنقلاً ، ونوعاً ثابتاً . أما المتنقل

---

(١) معجزات عن الطب للنبي العربي محمد ﷺ ص ١٢٠ / ط ١ .

(٢) من روائع حضارتنا ـ الطبعة الثانية ص ١٤٠ ـ ١٤١ .

فأول ما عرف في الإسلام في حياة النبي ﷺ في غزوة الخندق . . . ثم توسع فيه الخلفاء والملوك من بعد . . . وقد بلغ بعض المستشفيات المتنقلة أيام السلطان محمود السلجوقي حداً من الضخامة بحيث كان يحمل على أربعين جملاً . . . وهناك مستشفيات للجيش يقوم عليها أطباء مخصوصون عدا عن أطباء الخليفة والقواد والأمراء . . . وهناك محطات للاسعاف كانت تُقام بالقرب من الجوامع والأماكن العامة التي يزدحم فيها الجمهور) .

ويقول الدكتور توفيق الطويل في كتابه[٢] : (وأقام العرب مستشفيات متنقلة Ambulance وفقاً لإنتشار الأوبئة والأمراض أو لتصحب الخلفاء والأمراء في تنقلاتهم وزودوها بالأدوية وأنواع الطعام والشراب والصيادلة والأطباء . . .) .

مما سبق ذكره نرى أن البيمارستانات المتنقلة عديدة الأنواع منها :

١ ـ المستشفيات الميدانية والعسكرية .

٢ ـ المستشفيات المتنقلة بين القرى .

٣ ـ محطات الاسعاف للأماكن العامة المزدحمة .

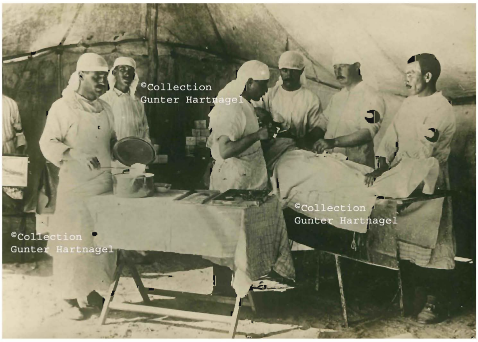
٤ ـ المستشفيات التي تصاحب الحكام في تنقلاتهم .

الوفا يحيى بن سعيد بن يحيى بن المظفر المعروف بابن المرخّم الذي صار قاضي القضاة ببغداد في أيام الإمام المقتفي فاصِداً وطبيباً في هذا المارستان المحمول المذكور . وكان أبو الحكم يشاركه .

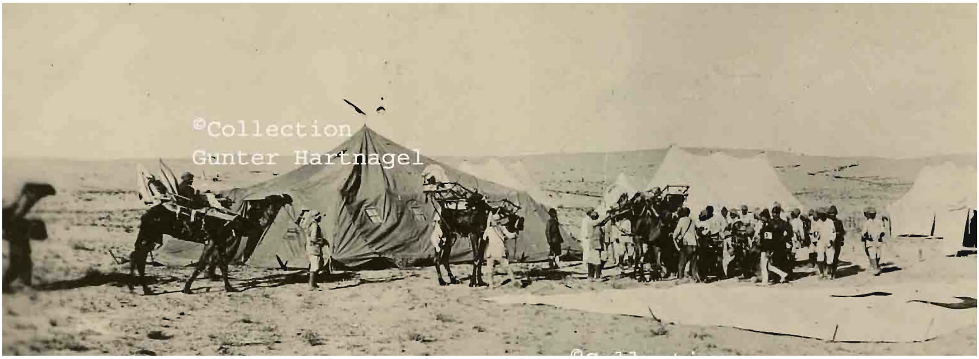
(١) في تراثنا العربي الاسلامي ص ١١٤ .

ويقول أنور الرفاعي في كتابه[1] (الإسلام في حضارته ونظمه) - دار الفكر - طبعة ١٩٧٣ م / ١٣٩٣ هـ : (ويرافق المستشفى ممرضات يتخصصن بتمريض جرحى الحرب والجند . . . بينما كان إسعاف الجنود في أوروبا يلقى على عاتق الجندي نفسه ولم يوجد الصليب الأحمر والممرضات في الجيش إلا من بعد حرب القروم (١٨٥٤ - ١٨٥٦ م) في أوروبا ، كان المسلمون قد سبقوهم بأكثر من ألف عام على ذلك . . .) .

(١) ص ٦٠٩ .







ألمستشفى ألعسكري ألعثماني ألميداني ألمتنقل في فلسطين

المستشفيات المتنقلة بين القرى

علاوة على العناية الطبية بالمسجونين وإقامة المستشفيات الثابتة العامة لمعالجة جميع الناس مع مختلف دياناتهم وطبقاتهم . فقد أنشئت المستشفيات لتطوف بين الناس في قراهم النائية وبهذا الصدد فقد جاء في كتاب (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) تأليف ابن أبي أصيبعة[1] :

(وقال ثابت بن سنان في تاريخه : (فكرت في من في السواد من أهله ، فإنه لا يخلو أن يكون فيه مرضى لا يشرف عليهم متطبب لخلو السواد من الأطباء ، فتقدم ، مد الله في عمرك ، بإنفاذ متطببين وخزانة للأدوية والأشربة يطوفون في السواد ، ويقيمون في كل صقيع منه مدة ما تدعو الحاجة إليه ويعالجون من فيه من المرضى ثم ينتقلون إلى غيره ففعل والدي ذلك . . . وأعلمه أن رسم البيمارستان أن يعالج فيه الملي والذمي . . . ووصهم بالتنقل في القرى والمواضع التي فيها الأوباء والأمراض الكثيرة والأمراض الفاشية . . .) .

ويقول الدكتور مصطفى السباعي في كتابه[2] : (. . . وكانت المستشفيات نوعين : نوعاً متنقلاً ، ونوعاً ثابتاً ، أما المتنقل . . . أصبح مجهزاً

---

(١) شرح وتحقيق نزار رضا ـ منشورات دار ومكتبة الحياة ـ بيروت ـ طبعة ١٩٦٥ ص ٣٠١ .

(٢) كتاب من روائع حضارتنا ـ الطبعة الثانية ص ١٤٠ .

بجميع ما يحتاجه المرضى ، من علاج وأطعمة ، وأشربة ، وملابس ، وأطباء ، وصيادلة ، وكان ينقل من قرية إلى قرية في الأماكن التي لم يكن فيها مستشفيات .

أما الأستاذ الدكتور محمد سعيد السيوطي فيقول في كتابه : (البيمارستان المحمول) . . . كان هذا النوع من البيمارستانات معروفاً لدى خلفاء الإسلام وملوكهم وسلاطينهم ، وأطبائهم . بل الراجح هم أوّل من أنشأه ، وهو عبارة عن مستشفى مجهز بجميع ما يلزم للمرضى والمداواة من أدوات وأدوية وأطعمة وأشربة وملابس وأطباء وصيادلة وممرضين وممرضات وكل ما يعين على ترفيه حال المرضى . . . ينقل من بلدٍ إلى بلد آخر من البلدان الخالية من بيمارستانات ثابتة أو التي يظهر فيها وباء أو مرض معدٍ . . .) .

إن المستشفيات المحمولة تلك من اختراعات المسلمين ولم يسبقهم أحد بذلك كما يشهد التاريخ .



محطه إسعاف متنقله

محطات الاسعاف
للأماكن العامة والمزدحمة

لقد أقام المسلمون محطات إسعاف في الأماكن المكتظة بالأهالي والناس وذلك لإسعاف من تنتابه وعكة أو مرض وبهذا الصدد فقد جاء في كتاب (من روائع حضارتنا)[1] للدكتور مصطفى السباعي ما يلي : (. . . وهناك محطات إسعاف كانت تقام بالقرب من . . . الأماكن العامة التي يزدحم فيها الجمهور . . .) .

ويُقال إن أوّل من أنشأ تلك البيمارستانات المحمولة والمتنقلة هم المسلمون وبهذا الصدد يقول الدكتور الأستاذ محمد سعيد السيوطي في كتابه[2] : (البيمارستان المحمول . . هذا النوع من البيمارستانات معروفاً لدى خلفاء الإسلام وملوكهم وسلاطينهم ، وأطبائهم بل الراجح هم أوّل من أنشأه ، وهو عبارة عن مستشفى مجهز بجميع ما يلزم للمرضى والمداواة . . .) .

وجاء في كتاب (تاريخ الحضارة العربية الإسلامية[3]) : (المستشفيات . . . . ٣ ـ محطات للاسعاف ـ مزودة بالأدوية والأطباء ، وكانت تقام بالقرب من المساجد والجوامع وفي محطات البريد حيث يقوم الأطباء بعلاج المصابين بالأمراض والحوادث الطارئة . . .) .

---

(١) ص ١٤١ .

(٢) تأليف الدكتور أحمد هادي الشبول والدكتور عوض محمد خليفات ـ الطبعة الخامسة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م ـ ص ١٧٠ ـ ١٧١ .

المستشفيات التي تصاحب الحكام في تنقلاتهم

كان الخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء والقواد يصطحبون في تنقلاتهم عندما يخرجون إلى قصورهم في الريف خارج المدن أطباء وصيادلة وأدوية وأدوات وأطعمة وأشربة وملابس ، وكل ما يلزم المريض من مداواة وعلاج . . . وجميع ذلك كان يحمل على الجمال وكأنه مستشفى متنقل مجهز بجميع ما يحتاجه المرضى .

وبهذا الصدد يقول الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه[1] (تاريخ البيمارستانات في الإسلام) : (وكانت العادة في دولة المماليك أن يخرج السلطان ومعه الأمراء والأعيان إلى القصور التي بنوها خارج المدن ويقيم فيها أياماً فيمر بالناس في إقامتهم هناك أوقات لا يمكن وصف ما فيها من المسرات ، ولا حصر ما ينفقه فيها من المآكل والهبات والأموال . ويصحب السلطان في السفر غالب ما تدعو الحاجة إليه حتى يكاد يكون معه مارستان لكثرة من معه من الأطباء وأرباب الكحل والجراح والأشربة والعقاقير وما يجري مجرى ذلك . وكل من عاده طبيب ووصف له ما يناسبه يصرف له من الشرابخانة أو الدواء خانه المحمولين في الصحبة . وكان من عادة السلطان الظاهر برقوق[1] التردد على بلاده سرياقوس بركب عظيم وحفل كبير ، والبيات فيها مستمراً إلى سنة ٧٩٩ هـ مصحوباً بكل ما سبق) .

---

(١) ص ١٤ ـ ١٥ .

(١) الخطط التوفيقية لعلي مبارك باشا ج ١٢ / ص ٢٤ .

البيمارستانات التعليمية

لقد حرص المسلمون على توفير مستشفيات لتدريس العلوم الطبية والصيدلانية فيها ، فأنشأوا بيمارستانات خاصة لذلك الغرض ، فيها مدارس ومعاهد تقوم بتدريس طلبة العلم ، الطب والصيدلة ، والعلوم الفقهية .

ولهذه المستشفيات العلمية ، أوقف أوقاف كثيرة عليها ، لتقوم بنفقات ما تتطلبها ، وما يلزم طلبة العلم القادمين من بلاد بعيدة .

وقد اعتنى صلاح الدين الأيوبي بمستشفيات المدارس ، وأوقف عليها أوقافاً طائلة ، فأنشأ بيمارستانه الشهير في القاهرة ، وبيمارستاناً آخر في بيت المقدس ، وكان يدرس بهما العلوم الطبية .

وكانت المناقشات الطبية تجري بين الأساتذة وتلاميذهم عملياً ونظرياً ، وبهذا الصدد يقول الدكتور مصطفى السباعي في كتابه[1] : (. . . وكانت المستشفيات معاهد طبية أيضاً ، ففي كل مستشفى إيوان كبير (قاعة كبيرة) للمحاضرات ، يجلس فيه كبير الأطباء ، ومعه الأطباء والطلاب ، وبجانبهم الالات والكتب ، فيقعد التلاميذ بين يدي معلمهم : بعد أن يتفقدوا المرضى وينتهوا من علاجهم ، ثم تجري المباحث الطبية والمناقشات بين الأستاذ وتلاميذه ، والقراءة في الكتب الطبية ، وكثيراً ما كان الأستاذ يصطحب معه

---

(١) من روائع حضارتنا ص ١٤٢ .

تلاميذه إلى داخل المستشفى ليقوم بإجراء الدروس العملية لطلابه على المرضى بحضورهم ، كما يقع اليوم في المستشفيات الملحقة بكليات الطب .

قال ابن أبي أصيبعة ، وهو ممن درس الطب في البيمارستان النوري بدمشق:(كنت بعدما يفرغ الحكيم مهذب الدين ، والحكيم عمران من معالجة المرضى المقيمين بالبيمارستان وأنا معهم ، أجلس مع الشيخ رضي الدين الرحبي فأُعاين كيفية استدلاله على الأمراض ، وجملة ما يصفه للمرضى ، وما يُكتب لهم وأبحث معه في كثير من الأمراض ومداواتها) .

وكان لا يسمح للطبيب بالإنفراد بالمعالجة حتى يؤدي امتحاناً أمام كبير أطباء الدولة ، يتقدم برسالة في الفن الذي يريد الحصول على الإجازة في معاناته ، وهي من تأليفه أو تأليف أحد كبار علماء الطب ، له عليها دراسات وشروح ، فيمتحنه فيها ويسأله عن كل ما يتعلق فيها من الفن ، فإذا أحسن الإجابة أجازه كبير الأطباء بما يسمح له بمزاولة مهنة الطب ، وقد اتفق في عام ٣١٩ هـ /٩٣١ م في أيام الخليفة المقتدر أن بعض الأطباء أخطأ في علاج رجل فمات ، فأمر الخليفة أن يمتحن جميع أطباء بغداد من جديد ، فأمتحنهم سنان بن ثابت كبير أطباء بغداد ، فبلغ عددهم في بغداد وحدها ثمانمائة طبيب ونيفاً وستين طبيباً ، هذا عدا عمن لم يمتحنوا من مشاهير الأطباء ، وعدا عن أطباء الخليفة والوزراء والأمراء .

ولا يفوتنا أن نذكر أنه كان يلحق بكل مستشفى مكتبة عامرة بكتب الطب ، وغيرها مما يحتاجه الأطباء وتلاميذهم ، حتى قالوا : إنه كان في مستشفى ابن طولون بالقاهرة خزانة كتب تحتوي على ما يزيد على مائة ألف مجلد في سائر العلوم) .

ويقول الأستاذ الدكتور أحمد شوكت الشطي في مقال له في مجلة (العلم والإيمان) تحت عنوان : (العلم عند العرب) : (لقد تبارى الخلفاء

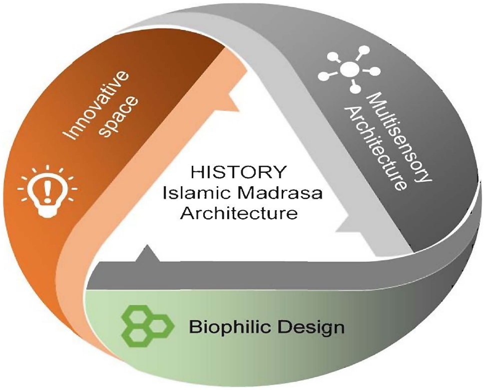
ووزراؤهم وملوك العرب وسلاطينهم وذوو الجاه والثروة وأهل العلم في ترقية الطب ، ففتح الخليفة المنصور العباسي مدرسة طبية في بغداد ، وأشاد هارون الرشيد مدرسة في دمشق ، وأنشأ الخليفة الناصر لدين الله الأموي الأندلسي مدرسة قرطبة ، ثم كثر في الغرب والشرق عدد المدارس المعدة لتعليم الطب والجراحة ، فكان عدد مدرسي الطب وطلبته ورجال الندوة العلمية في بعضها يزيد على ست آلاف نفس ، وأُنشئت في الأندلس غير مدرسة قرطبة ثلاث مدارس أخرى في أشبيلية ، وطليطلة ، ومرسية ، وأشهرها مدرسة قرطبة . وكانت تدرس الطب . وكان الجامع الأزهر يدرس سنة ٣٥٩ هـ / ٩٦٩م الطب وعلوم الصحة والكيمياء بالإضافة إلى علوم الدين ، وكان يلحق بكل مدرسة مستشفى يتمرن فيه طلاب الطب على الدروس السريرية .

ثم انتشرت المدارس الطبية في كثير من مدن الشرق والغرب العربيين ، وكثر عدد الأطباء فكانوا كواكب متألقة في سماء الحضارة تستضيء بها الشعوب قاصيها ودانيها ، وقد ضمت دمشق وحدها بين أسوارها الفخمة في عصور الحضارة الإسلامية مدارس عديدة للطب في آنٍ واحد .

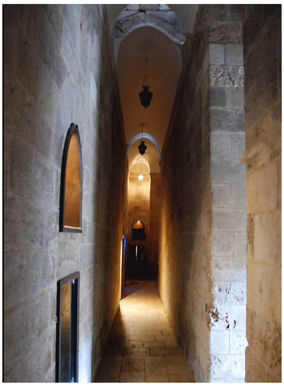
وقد عنى الأطباء العرب بإقامة أماكن لإيواء المرضى ومعالجتهم ، فكان عندهم مشافٍ ثابتة ومشافٍ متنقلة ، أما المشافي الثابتة فمنها ما هي عامة ومنها ما هي خاصة . . . أما مشافي الأمراض الخاصة فلقد اشتهر منها المجاذم والمارستانات . . . لمن أصابهم مس أو ضعف عقلي) .

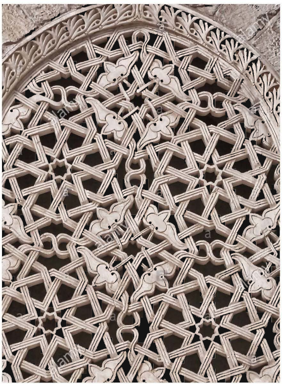


ألآت جراحيه من تصميم ألزهراوي



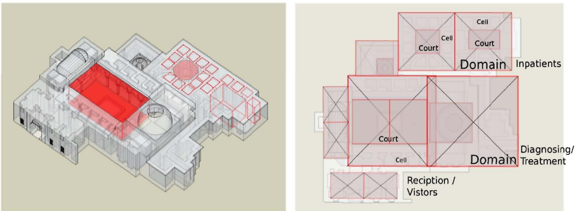
أبحاث حديثه أثبتت أن ألمسلمون في تصميمهم للمدارس وألبيماريستانات هم أصل منشأ مفهوم تصميم أل Biophilic للمباني. هدف هذا ألنوع من ألتصميم هو تعزيز ترابط ساكني هذه ألمباني مع ألبيئه من خلال ألإستخدام ألمباشر وألغير مباشر للمؤثرات وٱلمساحات ألطبيعيه بهدف إحداث ألهدوء ألداخلي وزياده ألقدره ألعمل وتنفيذ ألوظائف .







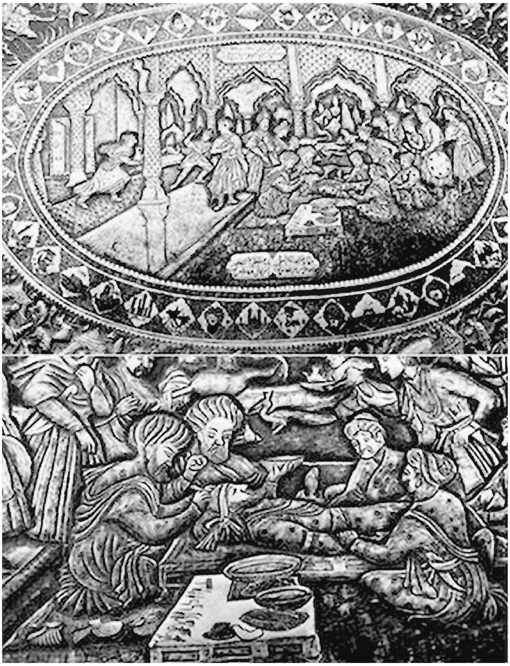


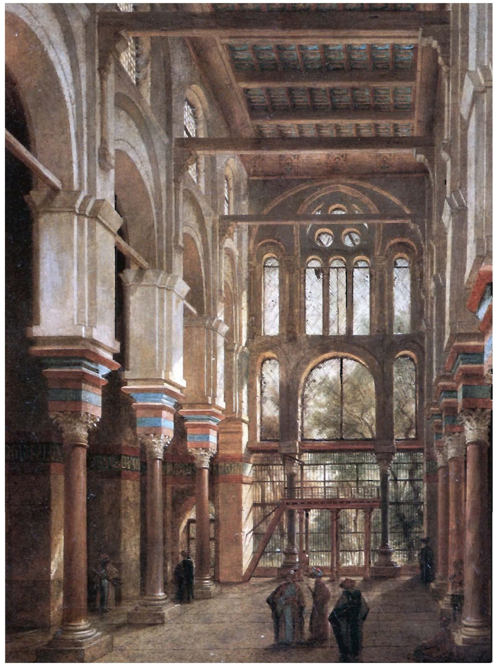


Implementation of nature-based patterns and proportions in Bimaristan Al-Argoun, Aleppo, Syria

بعض ألنماذج للمؤثرات ألمستخدمه ولمزيد من ألمعلومات إقراء ألبحث

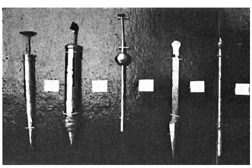
"History matters: The origins of biophilic design of innovative learning spaces in traditional architecture", Archnet-IJAR, Volume 12 - Issue 3 - November 2018 - (108-127) – Regular Section, pp. 108-127.





إبن سينا يقوم بجراحه في ألدماغ

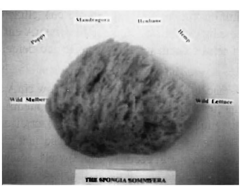
رسم لأحد ألبيمارستانات ألتعليميه



Syringes and Cannulas



Spoons of Wood



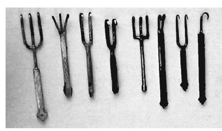
The Anesthetic Sponge For Drug Inhalation



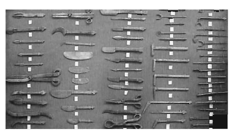
Utensils for Preparation of Drugs



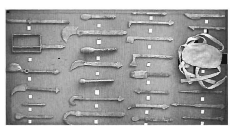
Umayyad Pharmacist's Measuring Cup With Inseribed Glass Seal; Measures 3 Inches High. (*Courtesy The Metropolitan Museum of Art; Gift of Helen Miller Gould, 1910.*)



Surgical Hooks and Retractors



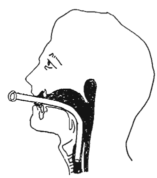
Collection of Instruments



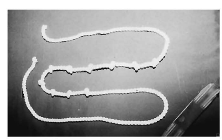
Orthopedic Metal Instruments



Orthopedic Tools of Wood



Laryngeal Intubations by Golden Tube by Avicenna



A Rope eith Knots for Removal of Nasal Polypi by Rhazes



Patient Transportation



Hand Carriage For Patients

بعض ألأجهزه ألتي إستخدمت في ألمستشفيات ألإسلاميه

الفصل الرابع

الوصف المعماري للبيمارستانات

١ ـ الموقع الجغرافي

٢ ـ الوصف الشكلي

٣ ـ توابع المستشفى ومنشآته

١ ـ الموقع الجغرافي

اهتم المسلمون باختيار المكان المناسب لبناء مستشفياتهم وذلك بعد التأكد من صلاحية الموقع بالتجربة والبرهان . فكانوا يبنون البيمارستانات على ربوات قريبة من المياه والأنهار وفي أحسن المواقع التي يرونها مناسبة صحياً .

وبعض السلاطين كانوا يختارون بعض القصور الفخمة الواسعة لتحويلها إلى مستشفى كما فعل السلطان صلاح الدين الأيوبي عندما أنشأ المستشفى المعروف باسمه ، فاختار أفخم القصور في القاهرة وهو قصر العزيز بالله الفاطمي وحوله إلى مستشفى .

بينما كانت المستشفيات الأوروبية مثل مستشفى أوتيل ديو بباريس أكبر مستشفيات أوروبا في ذلك العصر : (كانت[1] الردهات عفنة ، كثيرة الرطوبة لا منافذ تهوية فيها ، مظلمة دوماً . . . وهواء الحجرات لا يطاق لفساده . . .) كما قال ذلك كل من ماكس وتينون.

أما المستشفيات الإسلامية فكانت صحية ، وعند اختيار مكان بناء المستشفى كان يؤخذ بعين الاعتبار أن يكون المكان صحياً وجميلاً ومصدر المياه

---

(١) نقلاً عن كتاب (من روائع حضارتنا ـ ص ١٥٢) .

يكون قريباً منه لتزويد المستشفيات بما يلزمها من ماء . ففي بغداد كانت المستشفيات قريبة من نهر دجلة ، فالمستشفى العضدي كان على طرف الجسر من الجانب الغربي من بغداد .

ويُقال إن السلطان البويهي عضد الدولة (٩٣٦ ـ ٩٨٣ م) الذي كان يحب العلم والعلماء ويحسن كثيراً للفقراء عندما أراد أن يبني في بغداد مستشفى أمر الطبيب الشهير الرازي بأن يختار موقع المستشفى بدقة فيروي لنا ابن أبي أصيبعة قصة اختيار مكان المستشفى كما ذكرها في كتابه (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) ص ٤١٥ : (وقال بعضهم إن الرازي كان في جملة من اجتمع على بناء هذا البيمارستان العضدي وإن عضد الدولة استشاره في الموضع الذي يجب أن يبنى فيه البيمارستان ، وإن الرازي أمر بعض الغلمان أن يعلق في كل ناحية من جانبي بغداد شقة لحم ، ثم اعتبر التي لم تتغير ولم يسهك (ينتن) فيها اللحم بسرعة فأشار بأن يُبنى في تلك الناحية وهو الموضع الذي بنى فيه البيمارستان . . . أقول والذي صحّ عندي أن الرازي كان أقدم زماناً من عضد الدولة بن بويه وإنما كان تردده إلى البيمارستان من قبل أن يجدده عضد الدولة ، وللرازي كتاب في صفات البيمارستان وفي كل ما كان يجده من أحوال المرضى الذين كانوا يعالجون فيه . . .) .

لقد كانت المستشفيات الإسلامية والعربية منظمة تنظيماً مثالياً من جميع النواحي ، من ناحية اختيار مكان المستشفى ، والتصميم والبناء ، ويشهد بذلك كبار علماء الغرب المعاصرين فهاكم الدكتور غوستاف لوبون يقول في كتابه (حضارة العرب) نقله للعربية الاستاذ عادل زعيتر ـ دار إحياء التراث العربي ـ الطبعة الثالثة ص ٥٨٨ :

(. . . ويظهر أن مشافي العرب التي أُنشِئت فيما مضى أفضل صحياً من مشافينا الحديثة فقد كانت واسعة ذات هواء كثير وماء غزير . ولما عهد إلى

الرازي في اختيار أفضل حيّ في بغداد لإقامة مارستان عليها التجأ إلى طريقة لا ينكرها عليه أصحاب نظرية المِكروب الحديثة . فقد علّق قطعة لحم في كل حيّ من أحياء العاصمة وأعلن أن أصلح حيّ يقام عليه المارستان هو الحي الذي يتأخرّ فيه فساد قطعة اللحم المعلقة عن الأحياء الأخرى . وكانت مارستانات العرب ، كمشافي أوروبا في الوقت الحاضر) .

والملك العادل نور الدين عندما أراد أن ينشيء البيمارستان العتيق في حلب (البيمارستان النوري بحلب) اتبع طريقة علمية لاختيار الموقع الذي يؤسس عليه البيمارستان وبهذا الصدد يقول الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه(1) ما يلي :

(. . . . البيمارستان النوري أو العتيق بحلب . . . ويُقال : إن الملك العادل نور الدين تقدم إلى الأطباء أن يختاروا في حلب أصح بقعة صحيحة الهواء لبناء البيمارستان بها ، فذبحوا خروفاً وقطعوه أربعة أرباع ، وعلقوها بأرباع المدينة ليلاً فلما أصبحوا وجدوا أحسنها رائحة الربع الذي كان في هذا القطر ، فبنوا المارستان فيه . . .) .

ولقد اختار السلطان صلاح الدين بن يوسف بن أيوب عندما أصبح ملكاً على مصر وذلك سنة ٥٦٧ هـ /١١٧١م أفخم موضع لإنشاء بيمارستانه عليه وذلك المكان هو القاعة التي كانت في قصر العزيز بالله الفاطمي والتي بناها سنة ٣٨٤ هـ /٩٩٤م . وسمي هذا البيمارستان بالبيمارستان العتيق أو البيمارستان الناصري أو الصلاحي أو بيمارستان صلاح الدين . وكان سبب اختيار صلاح الدين لتلك القاعة هو أنه كان بها طلسماً فلذلك لا يدخلها

---

(١) تاريخ البيمارستانات في الاسلام ص ٢٢٤ .

نمـل . وبهـذا الصـدد فقـد جـاء في كتـاب (تـاريـخ[1] البيمـارستـانـات في الإسلام) :

(وقال ابن عبد الظاهر : (كان البيمارستان قاعة بناه العزيز بـالله سنة ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م وقيل : إن القرآن المكتـوب على حيـطانها ، ومن خواصهـا أنه لا يدخلها نمل لطلَّسم بها ولما قيل ذلـك لصلاح الـدين يوسف بن أيـوب قال : هذا يصلح أن يكون بيمارستـاناً ، وسـألت مباشـريه عن هـذا فقالـوا صحيح) .

وجاء في المصدر[1] السابق : (البيمارستـان الناصـري أو الصلاحي أو بيمارستان صلاح الدين ، لما ملك السلطان صلاحِ الدين يوسف بن يـوسف بن أيـوب الديـار المصريـة (سنة ٥٦٧ هـ ١١٧١ م) واستـولى على القصر ، قصر الفاطميين كان في القصر قاعة بناها العزيز بالله في سنة ٣٨٤ هـ (٩٩٤ م) فجعلها السلطان صلاح الدين بيمارستاناً وهـو البيمارستـان العتيق داخل القصر ، وهو باقٍ على هيئته إلى الآن (أي إلى زمن القلقشندي وكانت وفـاته سنـة ٨٢١ هـ (١٤١٨ م) . ويُقال إن فيهـا أي القاعـة طِلَّسْماً لا يـدخلهـا نمل ، وإن ذلك هو السبب الموجب لجعلها بيمارستاناً . . .) .



أطباء مسلمون يعالجون ألمرضى في بيوتهم

(١) ص ٧٧ ـ تأليف الدكتور أحمد عيسى بك مطبوعات جمعية التمدن الإسلامي بدمشق ، ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٩ م .

(٢) تاريخ البيمارستانات في الاسلام ص ٧٦ .

٢ ـ الوصف الشكلي

كانت المستشفيات الإسلامية تتكـون من قسمين منفصلين عن بعضهـما البعض قسم للذكور ، وآخر للإناث وكل قسم يتكون من قـاعات عـديدة ، وكـل واحدة منهـا مخصصة لنـوع من الأمراض ، فهنـالك قـاعـات لأمـراض العيـون ، وأخرى لـلأمراض العقليـة أو للجراحـة أو للتجبير أو لـلأمـراض البـاطنيـة التي بـدورهـا مقسمـة إلى أقسـام فمنهـا قـاعـات للمحمـومـين أو المسهولين . . . الخ .

وهنالك قاعات لتدريس العلوم الفقهية والطبية والصيدلانية ، وأخـرى للنـاقهين أو للصيـدلة أو للمكتبـةالتي كانت تحـوي آلافـاً من الكتب العلميـة وقاعات خارجية لفحص المرضى عند أوّل قدومهم للمستشفى لمعرفـة مرضهم ومعرفة أحوالهم المرضية وإمكانية تنويمهم في المستشفى .

وكان للبيمارستـان ساحـة فسيحة وحـديقة غنـاء يغرس فيهـا من جميع الأشجار والمشمومات والمأكولات .

وكانت في المستشفيات الإسلامية الكبرى قاعات يتلقى فيها طلبة الطب المحاضرات وكان الأستاذ يجلس عـلى مكان خـاص له ليحـاضر منه ، وبهـذا الصدد وعلى سبيل المثال ، فقد جاء في كتـاب (تاريـخ البيمارستـانات[1] في

(١) ص ١٤٥ .

الإسلام) في موضوع وقفية السلطان الملك المنصور قلاوون :(. . . ويصرف الناظر في هذا الوقف لمن ينصبه شيخاً للاشتغال عليه بعلم الطب على اختلافه يجلس بالمسطبة الكبرى المعينة له في كتاب الوقف المشار إليه للاشتغال بعلم الطب على اختلاف أوضاعه . . .) .

أما الدكتور مصطفى السباعي فيقول في كتابه (من روائع[٢] حضارتنا) : ما يلي : (وكانت المستشفيات معاهد طبية . . . ففي كل مستشفى إيوان كبير (قاعة كبيرة) للمحاضرات ، يجلس فيه كبير الأطباء ومعه الأطباء والطلاب ، وبجانبهم الآلات والكتب ، فيقعد التلاميذ بين يدي معلمهم ، بعد أن يتفقدوا المرضى وينتهوا من علاجهم . . . .) .

وكانت في البيمارستانات الإسلامية قاعات منفردة للناقهين أو المؤرَّقون ليتسلوا باستماع القصص من الرواة والمحدثين أو النظر للروايات المضحكة التي تمثل أمامهم ، وبهذا الصدد يقول الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه[١] ما يلي :

(. . . وكان المؤرقون من المرضى يعزلون في قاعة منفردة يشنفون فيها آذانهم بسماع ألحان الموسيقى الشعبية ، أو يتسلون باستماع القصص يلقيها عليهم القصاص ، وكان المرضى الذين يستعيدون صحتهم يعزلون عن باقي المرضى . . . وكانت تمثل أمامهم الروايات المضحكة . . . وكان يصرف من الوقف على بعض أجواق تأتي كل يوم إلى المارستان لتسلية المرضى بالغناء أو بالعزف على الآلات الموسيقية . ولتخفيف ألم الانتظار وطول الوقت على المرضى كان المؤذنون في المسجد يؤذنون في السحر وفي الفجر ساعتين قبل

(٢) الطبعة الثانية ص ١٤٢ .
(١) تاريخ البيمارستانات في الاسلام ص ١٠٢ - ١٠٣ .

الميعاد حتى يخفف قلق المرضى الذين أضجرهم السهر وطول الوقت ، وقد شاهد علماء الحملة الفرنسية هذه العناية بأنفسهم . . .) .

وقد كانت في البيمارستانات قاعات متعددة منها ما هو خاص للذكور ، وأخرى للإناث . ومنها ما هو لنوع من الأمراض كالأمراض العقلية أو لأمراض العيون أو الجراحة . . . الخ . وبهذا الصدد يقول الدكتور مصطفى السباعي في كتابه[1] ما يلي :

(وهناك المستشفيات العامة التي كانت تفتح أبوابها لمعالجة الجمهور ، وكانت تقسم إلى قسمين منفصلين بعضهما عن بعض : قسم للذكور ، وقسم للإناث وكل قسم فيه قاعات متعددة . كل واحدة منها لنوع من الأمراض ، فمنها للأمراض الداخلية ، ومنها للعيون ، ومنها للجراحة ، ومنها للكسور ، والتجبير ، ومنها للأمراض العقلية ، وقسم الأمراض الداخلية كان مقسماً إلى غرف أيضاً ، فغرف منها للحميّات ، وغرف للإسهال ، وغير ذلك . . .) .

ويستطرد ويقول المصدر[2] السابق : (. . . ولكل قسم أطباء عليهم رئيس ، فرئيس للأمراض الباطنية ، ورئيس للجراحين والمجبرين ، ورئيس للكحالين (أطباء العيون) ولكل الأقسام رئيس عام يسمى (ساعور) وهو لقب لرئيس الأطباء في المستشفى . . .) .

علاوة عن الأقسام الداخلية للبيمارستان فقد كانت في المستشفيات الإسلامية قاعة إستقبال للمرضى الذين يؤمون المستشفى للعلاج . وكان الطبيب يجلس على دكة لاستقبال مرضاه ، ووصف الدواء اللازم لهم من صيدلية المستشفى ، إن لم يكن هنالك سبب لإدخالهم في المستشفى وتنويمهم

---

(١) من روائع حضارتنا ـ الطبعة الثانية ص ١٤١ .
(٢) ص ١٤١

في أحد أقسامه وبهذا الصدد فقد جاء في كتاب (الموجز في تاريخ الطب[1] والصيدلة عند العرب) ما يلي :

(وقد نشأ إلى جانب العمل بالأقسام الداخلية بالبيمارستان نظام للعلاج الخارجي . إذ يذكر ابن أبي أصيبعة أن (الطبيب كان يجلس على دكة ، ويكتب لمن يرد عليه من المرضى للعلاج أوراقاً يعتمد عليها ، ويأخذون بها الأدوية والأشربة من البيمارستان . . .) .

وكان يوجد مطبخ لطبخ الأدوية ، ومخازن لحفظ حواصل المطبخ وبهذا الصدد يقول الدكتور أحمد عيسى في كتابه[2] : (. . . المطبخ . . . لطبخ الأشربة . . . المخزنين المرصدين لحفظ حواصل المطبخ) وهذا ما كان موجوداً في المستشفى المنصوري في القاهرة .

وجاء في كتاب كنوز القدس ـ الطبعة الأولى[1] :

البيمارستان الصلاحي

أقامه السلطان صلاح الدين الأيوبي في سنة ٥٨٣ هـ /١١٨٧م ، عقب تحرير القدس من الاحتلال الصليبي . وكان الفاطميون قد أنشأوا أول بيمارستان في القدس ، ثم وسعه الصليبيون . وهو البيمارستان الذي وقفه صلاح الدين ، وعيّن له كبار الأطباء ، ووقّف عليه أوقافاً كثيرة . وأصبح ذلك البيمارستان من أشهر البيمارستانات في تلك الفترة . وكان علم الطب يدرَّس فيه إلى جانب ممارسته عملياً[3] .

ويتكون هذا البيمارستان من مجموعة دعامات حجرية ، تعلوها

---

(١) ص ٢٣٠ .

(٢) تاريخ البيمارستانات في الاسلام ص ١٥٣ .

(٣) ص ٩٢ ـ ٩٥ .

عقود . وقد قسمت مساحته إلى عدد من القاعات المغطاة بسقوف ذات أقبية متقاطعة ، أو سقوف برميلية . وكانت كل قاعة من تلك القاعات مخصصة لأمراض مختلفة .

تعرّض هذا البيمارستان لزلزال وقع في سنة ١٤٥٨م ، وأدى إلى هدم أجزاء كبيرة منه . ولم يبق من البناء الأصلي إلا جزءاً بسيطاً ، وهو البازار اليوم .



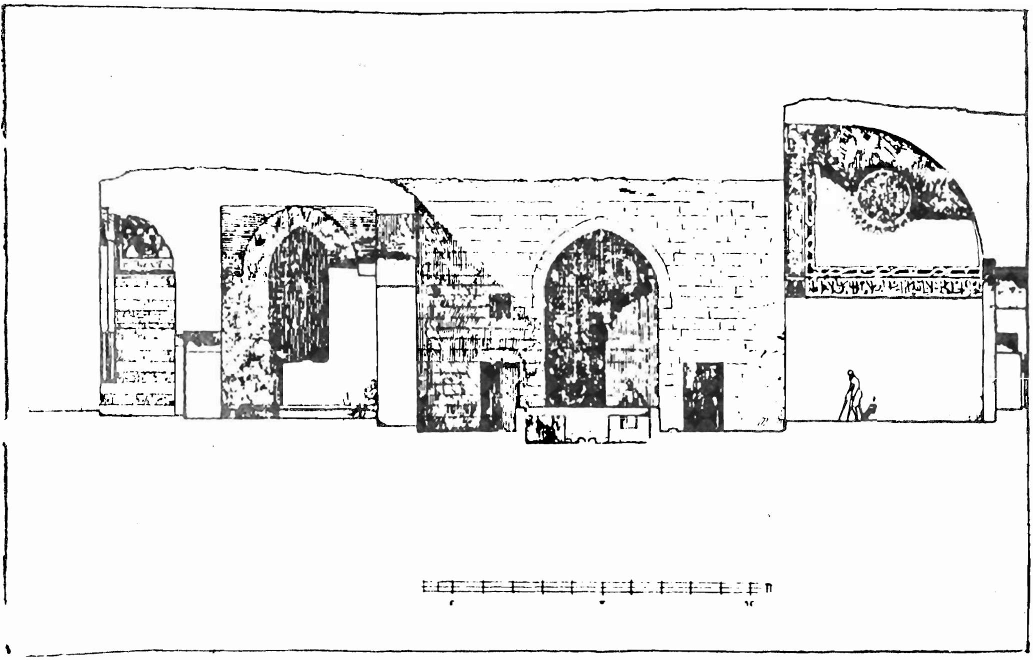
البيمارستان الصلاحي



صورة لبعض الآثار المتبقية من بيمارستان صلاح الدين في القدس أواخر القرن الثامن عشر قبل إزالتها لبناء كنيسة الفادي



بعض من بقايا المارستان



البيمارستان القيمري بالصالحية منقولاً عن كارل ولزنجر وكارل وتزنجر

الوضع العام : متوسط .

الترميمات المطلوبة :

الواجهة الرئيسية :

ـ صيانة الحجارة المتآكلة ، وإعادة الأجزاء التالفة منها ، وتنظيفها ، وتكحيلها .

ـ صيانة الزفور المتآكلة .

ـ إزالة العناصر المضافة الدخيلة مثل الرفوف .

ـ إزالة الأعشاب .

- تنظيم خطوط الماء ، والكهرباء ، ومزاريب المياه . .

البناء الداخلي :

- صيانة الحجارة ، وتنظيفها ، وتكحيلها .

- قصارة العقود .

- فتح الشبابيك والمناور المغلقة لإنارة المكان وتهويته .

- تركيب أبواب تلائم طبيعة المكان .

- إزالة العناصر الدخيلة .

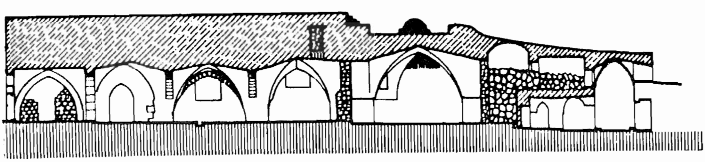
- فتح الغرفة المغلقة لاستعمالها .

- تنظيف حجارة العقود وصيانتها .

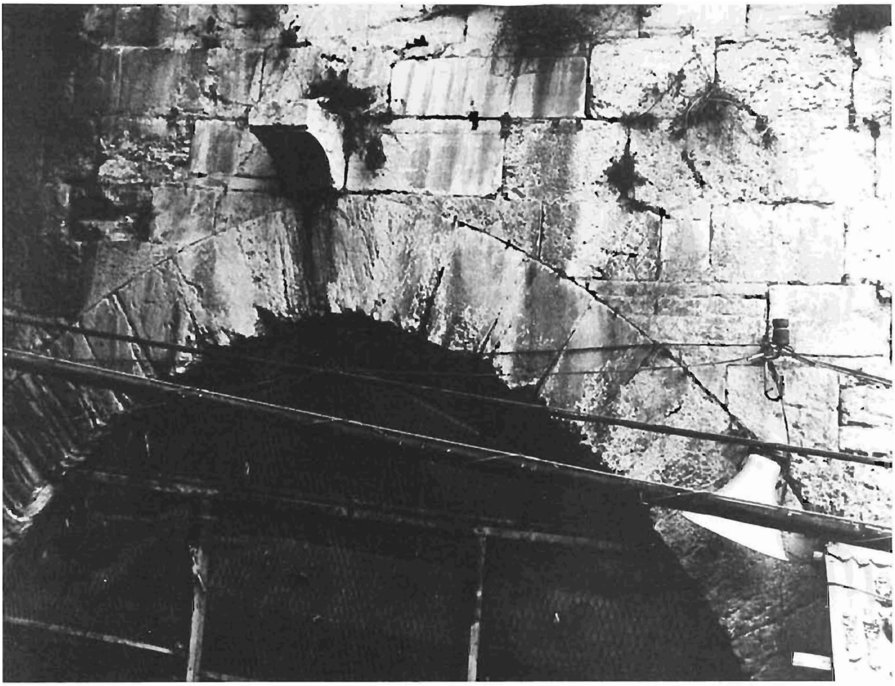
- تبليط الأرضية وتكحيلها .

- تنظيم خطوط الكهرباء .

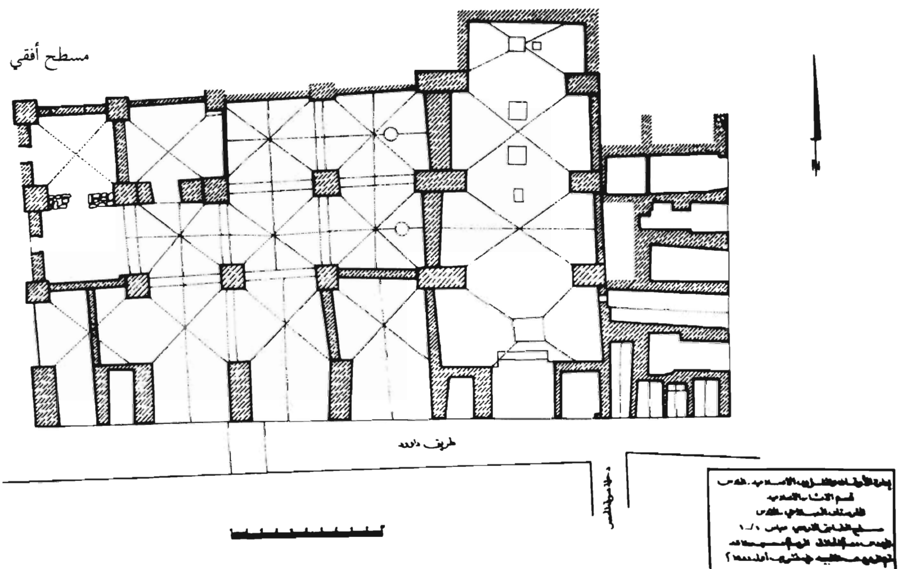
- تنظيم شبكة المجاري .



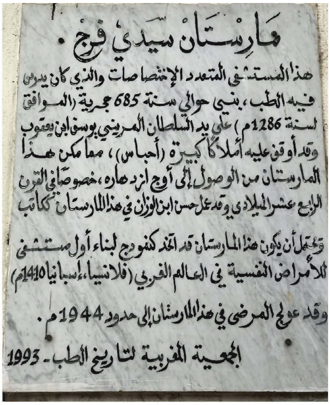
مقطع طولي

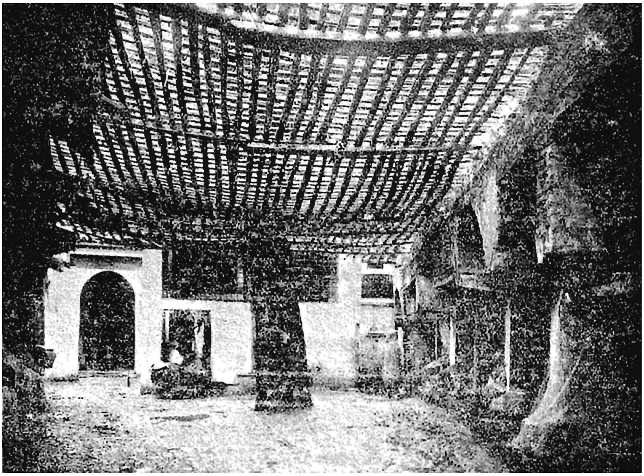


حجارة متآكلة في البيمارستان الصـلاحي

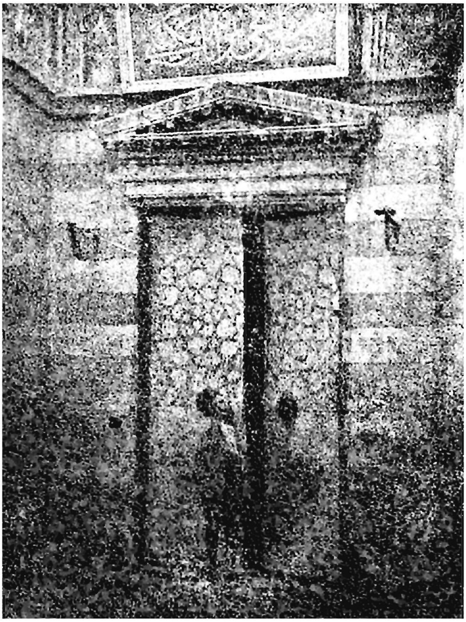


مسطح افقي





بيمارستان سيدي فرج بفاس (نقلاً عن كتاب تاريخ البيمارستان في الإسلام)





باب بيمارستان نور الدين

(نقلاً عن كتاب (تاريخ البيمارستانات في الاسلام)

- إعادة بناء الأجزاء المهدومة وفق طراز البيمارستان الأصلي .

السطح :

- تبليط السطح وتكحيله .

- إزالة الأعشاب ، والأنقاض .

- تركيب مزاريب للمياه .

وكانت البيمارستانات الإسلامية تزدان بالزخارف الجميلة المرصعة بالفسيسفاء . وترفل بالفرش واللحف الوفيرة ، ولا يوجد في الدنيا مثل ترتيبها وبهذا الصدد يقول الدكتور أحمد عيسى[1] بك :

(. . . قال ابن خلكان . . . والبيمارستان العضدي ببغداد . . . ليس في الدنيا مثل ترتيبه . . .) ويستطرد ويقول المصدر[2] السابق : (. . . وأقام الفرش واللحف للمرضى . وذكر ابن الصابي أشياء ما يوجد في دور الخلفاء مثلها . . .) .

ويقول المصدر[3] السابق عن المستشفى المنصوري : (. . . فسقية من الرخام . . وأعمال الفسيفساء في الفسقية ، على أن زخارف المارستان لم تكن تقل نفاسة عن زخارف التربة ، وقاع الفسقية مغطى بالفسيفساء الدقيقة الصنع جداً ولا تزال سليمة ، وهي مكونة من جزأين : فراغ مستطيل مسطح في وسط جزء مربع مجوف وكان الماء يأتي إلى الفسقية كما يكون في الفساقي العمومية يخرج من جدار القاع بأنبوب ثم يجري فوق لوح من الرخام كالسلسبيل في الفساقي العمومية والبناء المسند فوقه لوح الرخام لا يزال قائماً . . . ويخرج من الفسقية قناة تخترق القاعة بطولها وهذا النظام يشبه

---

(١) ص ١٨٩) . (٢) ص ١٩٠ . (٣) ص ١١٤ ـ ١١٧ .

مثيله في قصر الحمراء . . . والمظنون أن هذا النظام كان شائعاً في كل القصور في جميع البلدان الإسلامية . . . الفسقية تعد المثل الوحيد من نوعها . . .) .

ويقول الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه[1] (تاريخ البيمارستانات في الإسلام) : (ـ . . . . البيمارستان العتيق ويعرف بالبيمارستان الأعلى أنشأه أحمد بن طولون ، وعمل حمامين للمارستان ، أحدهما للرجال والآخر للنساء) .

وكانت المياه وفيرة في المستشفيات ، فيقول الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه[2] السابق عن المستشفى العضدي : (. . . والماء يدخل إليه من دجلة . . .) .

ويقول أيضاً[3] عن المستشفى العضدي في بغداد أن فيه عدة جُباب : (. . . وكان فيه عدة جُباب (جمع جُبّ وهي الخابية) فيها السكر . . . واللوز والمشمش وسائر الحبوب . . .) .

وعند الدخول إلى مجموعة منشآت قلاوون[4] كان يوجد نقوش وكتابات : (فوق الباب المعد للدخول إلى المدرسة والقبة والمارستان الكتابة الآتية : (أمر بإنشاء هذه القبة الشريفة المعظمة والمدرسة المباركة والبيمارستان المبارك ، مولانا السلطان الأعظم الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحي . . .) .

ويتوصل إلى البيمارستان من باب كبير مبني بالرخام الجميل وبهذا الصدد يقول الدكتور أحمد عيسى[5] بك عن المستشفى المنصوري في القاهرة : (ويتوصل إلى هذا البيمارستان المذكور من الباب الكبير المبني

---

(١) ص ٧٠ . (٢) ص ١٩٢ . (٣) ص ١٩٠ .
(٤) تاريخ البيمارستانات في الاسلام ص ١٢٠ .
(٥) تاريخ البيمارستانات في الاسلام ص ١٣٧ ـ ١٣٨ .

بالرخام المقصوص المقابل لباب التربة الصالحية النجمية رحم الله واقفها المدخول منه إلى الدهليز المستطيل المسلوك منه إلى القبة المباركة على يمنة الداخل فيه وإلى المدرسة التي هي بالعلم الشريف معظمة . . . وهذا المارستان هو الذي وقفه مولانا السلطان الملك المنصور . . .)

وعن المستشفى المنصوري يقول الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه (تاريخ البيمارستانات [1] في الإسلام) : (. . . وكان المجانين يشغلون قسماً آخر من البناء منقسماً إلى قاعتين ، لكل من الزوجين قاعة خاصة . . . يسكنون حجرات مقفلة بشبابيك الحديد . . .) .

ويستطرد ويقول المصدر[2] السابق : (. . . . المرضى كانوا يسكنون قاعات مفتوحة . . .)

وجاء في المصدر[3] السابق : (. . . ويقيم المجانين في ناحيتين منعزلتين في أحداهما ثماني عشرة حجرة للرجال وفي الأخرى ثماني عشرة للنساء . . . وحجر النساء ليست كلها محاطة بالحديد . . .) .

وجاء في المصدر[4] السابق : (السلطان الملك المنصور أبو المظفر قلاوون الصالحي . . . تصدق بجميع القبة العظمى ، وجميع المدرسة المباركة وجميع البيمارستان بصدر الدهليز الجامع لذلك ، ومكتب السبيل . . . والصهريج بداخل البيمارستان المرقوم ، وما يتبع ذلك من الأواوين والقاعات ، والأروقة والخلاوي ، والطباق ، وبيوت المختلين من الرجال والنساء ، وأواوين الضعفاء والمرضى وفساقي المياه وبيوت الأخلية وغير ذلك . . .) .

---

(١) ص ١٠٤ . (٢) ص ١٠٤ (٣) ص ١٠٥ .
(٤) ص ١٥٠ .

ويستطرد ويقول المصدر[1] السابق : (... وأما الخزائن التي بالقبة المذكورة فإنه وقفها لحفظ الكتب وأما المدرسة المباركة فإنه وقفها على الفقهاء والمتفقهة على مذاهب ... وأما البيمارستان المذكور ... لمداواة مرضى المسلمين الرجال والنساء والأغنياء والفقراء ....) .

ويقول الدكتور كمال الدين سامح في كتابه (العمارة الاسلامية في مصر) ص ٣٠ : (ومن أهم العمائر المملوكية بالقاهرة مجموعة المنصور قلاوون المعمارية بالنحاسين (١٢٨٤ ـ ١٢٨٨ م) فهي من أهم آثار مصر على مرّ العصور الاسلامية وتعتبر كعبة للسائحين المهتمين بدراسة الآثار الإسلامية قاطبة ....) .

ويستطرد ويقول في ص ٣١ : (... ويوجد خلف المجموعة من الجهة الغربية البيمارستان (المستشفى) ...) .

وفي ص ٣٢ يقول : (... أما الأجزاء الباقية من البيمارستان فتنحصر في بقايا ايوانين كبيرين يرجعان إلى عصر المنصور قلاوون ، كما عثرت إدارة حفظ الآثار العربية على أجزاء من سقوف خشبية في القسم البحري للبيمارستان وكانت موجودة أصلاً في مكان القصر الصغير الغربي وكلها فاطمية الطراز من حيث الزخرفة والصناعة وهي محفوظة حالياً بالمتحف الإسلامي بالقاهرة ...) .

ويقول الدكتور مصطفى السباعي في كتابه[1] ما يلي : (... وكانت غرف المستشفى نظيفة تجري فيها المياه ، وقاعاته مفروشة بأحسن الأثاث ، ولكل مستشفى مفتشون على النظافة ومراقبون ....) .

لقد كانت الغرف والقاعات في البيمارستان في غاية النظافة ، وحسنة

---

(١) من روائع حضارتنا ـ ص ١٤٣ .

الزخرفة ، وواسعة ، وبهذا الصدد فقد جاء في كتاب (الموجز[١] في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب) ما يلي : (... وكان لكل قسم ... خدم وفراشون وقوام من الرجال أو النساء يشرفون على خدمة المرضى وإطعامهم وتقديم العلاج لهم . وكان الخلفاء والملوك والسلاطين وذوو الحيثية يتبارون في إقامة البيمارستانات في دور فسيحة ذات عمارة ممتازة . وقد بلغ بعضها مبلغاً كبيراً من اتساع المساحة وكانت قاعاتها فسيحة حسنة الزخرفة وألحقت مباني البيمارستانات في كثير من الأحيان بمؤسسات كالمساجد والقباب والمدارس ...) .

ويقول الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه[١] عن قاعات البيمارستان المنصوري أو ما يسمى دار الشفاء أو مارستان قلاوون ما يلي : (.... وأفرد لكل طائفة من المرضى أمكنة تختص بهم ، فجعلت الأواوين الأربعة المتقابلة للمرضى بالحميات وغيرها ، وجعلت قاعة للرمد ، وقاعة للجرحى ، وقاعة لمن أفرط به الإسهال ، وقاعة للنساء ، ومكان حسن للممرورين من الرجال ومثله للنساء . والمياه تجري في أكثر هذه الأماكن وأفردت أماكن لطبخ الطعام ، والأشربة والمعاجين وتركيب الأكحال والشيافات والسفوفات ، وعمل المراهم والأدهان والدرياقات ، وأماكن لحواصل العقاقير وغيرها من هذه الأصناف المذكورة ، ومكان يفرق منه الشراب ، وغير ذلك مما يحتاج إليه ورتب فيه مكان يجلس فيه رئيس الأطباء لإلقاء درس الطب ينتفع به الطلبة ......) .

وعندما أراد الملك المنصور قلاوون الصالحي الشهير بالألفي ملك مصر أن يبني[١] مارستانه المسمى البيمارستان الكبير المنصوري أو دار الشفاء ،

---

(٢) ص ٢٢٨ .

(١) تاريخ البيمارستانات في الاسلام ص ٧٨ .

(١) سنة ٦٧٨هـ / ١٢٧٩م .

اختار أفخم بناية وأحسن قصر لإنشاء بيمارستانه عليه ، فأختار الدار القطبية وعوضها بدلاً منها قصر الزمرد ومالاً وفيراً . . .

وبهذا الصدد فقد جاء في كتاب (تاريخ البيمارستانات في[1] الإسلام) ما يلي : (. . . البيمارستان الكبير المنصوري . . . كان قاعة للسيدة الشريفة ست الملك ابنة العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله أبي تميم مَعَدْ وأخت الحاكم بأمر الله منصور . . . . . ثم صارت للملك المفضل قُطب الدين أحمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، فأستقر بها هو وذريته فصار يُقال لها الدار القطبية ، ولم تزل بيد ذريته إلى أن أخذها الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفي من الست الجليلة عصمة الدين مؤنسة خاتون القطبية ابنة الملك العادل ، وأخت الملك المفضل قطب الدين أحمد وعوضت عن ذلك قصر الزُمُرُّد برحبة باب العيد في ١٨ ربيع الأول وقيل في ١٢ منه سنة ٦٨٢ هـ - ١٢٨٣ م بمباشرة الأمير علم الدين سنجر الشجاعي . . .) .

ويستطرد ويقول المصدر نفسه[2] ما يلي : (. . . . ابتنى السلطان قلاوون رحمه الله دار ست الملك أخت الحاكم ، المعروفة بالدار القطبية بيمارستاناً وجعل من داخله المدرسة المنصورية والتربة ، فبقي معالم بعض الدار على ما هو عليه وغيّر بعضها . . .) .

قال في مسالك الأبصار : (وهو الجليل المقدار ، الجليل الآثار ، الجميل الإيثار ، لعظم بنائه ، وكثرة أوقافه وسعة إتقانه وتنوع الأطباء والكحالين والجرائحية فيه .) .

ويستطرد ويقول المصدر[3] السابق : (وقال ابن بطوطة : (وأما

---

(١) تأليف الدكتور أحمد عيسى بك ص ٨٣ - ٨٤ .

(٢) تاريخ البيمارستانات في الاسلام ص ٩٠ - ٩١ .

(٣) ص ٩١ - تارِيخ البيمارستانات في الاسلام .

المارستان الذي بين القصرين عند تربة الملك المنصور قلاوون فيعجز الواصف عن محاسنه ، وقد أعد فيه من المرافق والأدوية ما لا يحصى ويذكر أن مجباه ألف دينار كل يوم) .

ويقول المصدر السابق عن البيمارستان المنصوري[1] الكبير : (. . . . مبانيه الرائقة ، وصناعاته الفائقة وتواريخه المذهبة ، ونقوشه العجيبة المنتخبة التي ترفل في ملا س الإعجاب ، وتسحر العقول والألباب ، ما يفتن النفوس ، ويكسف أنواع البدور والشموس ، وتعجز عن وصف بعضها خطا الأقلام في ساحة الطروس . فما وقعت عين على مثله ولا سمعت أذن بشبهه وشكله . . . . .) .

وكانت للمرضى قاعات مريحة تدفأ إن كانت باردة وتُبرد إن كانت حارة وبهذا الصدد فقد قيل عن البيمارستان المنصوري نقلاً عن كتاب (تاريخ[2] البيمارستانات في الإسلام) : (وقال بريس دافن Prisse d'avvenes : كانت قاعات المرضى تُدفأ بإحراق البخور أو تُبرد بالمراوح الكبيرة الممتدة من طرف القاعة إلى الطرف الثاني ، وكانت أرض القاعات تغطى بأغصان شجر الحناء أو شجر الرمان أوشجر المصطكي أو بسعاليج الشجيرات العطرية وكان البلسان يؤتى به من عين شمس إلى المارستان لعلاج المرضى . . .) .

ويستطرد ويقول المصدر[3] السابق : (وفي دار الآثار العربية طبق كبير من العقيق ارتفاعه عشرة سنتيمترات وقطره خمسة وأربعون سنتيمتراً وبه ثمانية عشر ضلعاً من الخارج ، وشكل الطبق ينم على كونه روماني الأصل ربما يكون قد أهداه أحد ملوك الروم إلى السلطان الملك المنصور قلاوون أو إلى ابنه الناصر محمد ، وقد رجح ذلك حضرة الباحث المحقق حسين راشد

---

(١) ص ٩٦ ـ ٩٧ .

(٢) ص ١٠٢ (٣) ص ١٠٩ .

أمين دار الآثار العربية ، وكان هذا الطبق أو ببيمارستان قلاوون ثم نُقل إلى دار الآثار حفظاً له وصيانة من التلف أو الضياع لنفاسته وندورته . وأرجح أن هذا الطبق هو الذي كان يعصر فيه الليمون ويحك بحجر آخر حتى يحمر السائل ثم يرغم الطفل على لحسه . وأما قفز النسوة أمام القبلة كما ذكر إيبرس ، فالراجح أيضاً أن النسوة كنّ يضعن الطبق أمام القبلة ثم يخطون فوقه سبع مرات فكاً لعقمهن وطلباً للحبل وهذه عادة مشهورة في مصر من تخطي أي شيء غريب جملة مرات من أجل الحبل . . . .) .

وكان البيمارستان يبنى في أحسن موقع في البلد ، في مكان واسع ، له حديقة غنّاء واسعة بها الأنواع العديدة من الأشجار والنباتات الطبية والمشمومات . وإليكم ما يقوله الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه[١] عن بيمارستان مراكش : (بيمارستان مراكش أو بيمارستان أمير المؤمنين أبي يوسف . . . وبُني بمدينة مراكش بيمارستاناً ما أظن أن في الدنيا مثله ، وذلك أنه تخير ساحة فسيحة بأعدل موضع في البلد ، وأمر البنائين بإتقانه على أحسن الوجوه وأتقنوا فيه من النقوش البديعة والزخارف المحكمة ما زاد على الاقتراح وأمر أن يغرس فيه مع ذلك من جميع الأشجار والمشمومات والمأكولات ، وأجرى فيه مياهاً كثيرة تدور على جميع البيوت ، زيادة على أربع برك في وسط أحداها رخام أبيض ، ثم أمر له من الفرش النفيسة من أنواع الصوف والكتان والحرير والأديم وغيره بما يزيد عن الوصف ، ويأتي فوق النعت وأجرى له ثلاثين ديناراً في كل يوم برسم الطعام . . .) .

أما عن بيمارستان غرناطة في الأندلس فحدّث عنه ولا حرج وإليكم ما يقوله الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه (تاريخ البيمارستانات[٢] في الإسلام : (بيمارستان غرناطة . . . قال الوزير لسان الدين بن الخطيب في

(١) ص ٢٨٠ - ٢٨١ .
(٢) ص ٢٨٨ - ٢٨٩ .

كلامه عن أمير المسلمين بالأندلس محمد بن يوسف بن إسماعيل . . . . ومن مواقف الإحسان من خارق جهاد النفس بناء البيمارستان الأعظم . . . فأغرى به . . . فخامة بيت ، وتعدد مساكن ، ورحب ساحة ، ودرور مياه وصحة وهواء ، ونقد خزائن ومتوضآت وانطلاق خيرات وحسن ترتيب ، أبرّ على مارستان مصر بالساحة العريضة والأهوية الطيبة ، وتدفق المياه من فورات الرمل وسود الصخر ، وتمرج البحر وانسدال الأشجار .

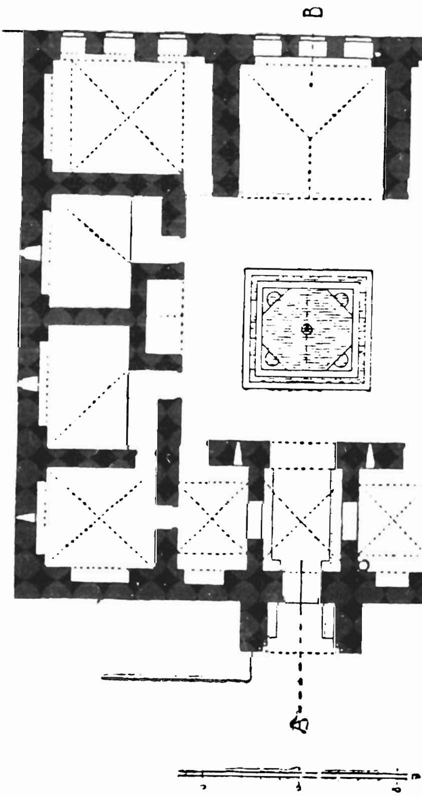
وقال سلادين : إن هذا الأثر المربع الزوايا لا يبلغ من الإتساع والإحكام في البناء مبلغ مارستان قلاوون بالقاهرة ، ولكنه كان مرتباً في بساطته ، أنيقاً في تفاصيله ، وكانت قاعاته البسيطة تدور حول باحة داخلية في وسطها حوض عميق لقبول الماء من عينين كل عين منها عبارة عن أسد جاث . . . وذكر هارسية . . . في وجهته بعض النوافذ وفيها أقواس مزدوجة وفي باب وأسكفة يعلوهما كتابة تشبه أشرعة الفلك ، ويدخل من الباب إلى ردهة مربعة الزوايا مستطيلة وفي وسطها حوض فيه أسدان جاثيان يشبهان مثيليهما في قصر الحمراء وينبع منهما الماء وحول الردهة أربعة أروقة ينفتح فيها أبواب طويلة ذات إنحناء على شكل نعل الفرس ، وفي الزوايا سلاليم يدخل منها إلى الطابق الأول . . . . .) .

وكان يلحق بالبيمارستان مسجداً ومدرسة وبهذا الصدد يقول الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه[1] عن البيمارستان الكبير المنصوري : (. . . . الدار القطبية . . . أخذها الملك المنصور سيف الدين قلاوون . . . . وعوضت عن ذلك قصر الزمرد . . . ورسم بعمارتها مارستاناً وقبة ومدرسة . . . وكان ذرع هذه الدار عشرة آلاف وستمائة ذراع وكان الشروع في بنائها مارستاناً في أول ربيع الآخر سنة ٦٨٣ هـ ـ ١٢٨٤ م ، فأبقى القاعة

(١) تاريخ البيمارستانات في الاسلام ص ٨٤ ـ ٨٥ .

على حالها وعملها مارستاناً وهي ذات إيوانـات أربعة بكـل إيوان شـاذروان ، وبدور قاعتها فسقية يصير إليها الماء من الشاذروان . . . .) .

وإليكم وصفاً مسهّباً عن بناية وأقسـام أحد البيمـارستانـات الإسلاميـة وهـو البيمارستـان الجديـد بحلب أو بيمارستـان أرغون الكـاملي الـذي أنشأه الأمـير سيف الدين أرغـون الكامـلي في سنـة ٧٥٥ هـ في حلب داخـل بـاب قنّسْرين كما رواه لنا الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه[١] :



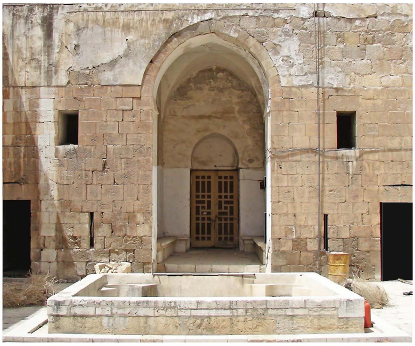
شكل تخطيط أساسات البيمارستان القيمري عن كارل ولزنجر وكارل وتزنجر .

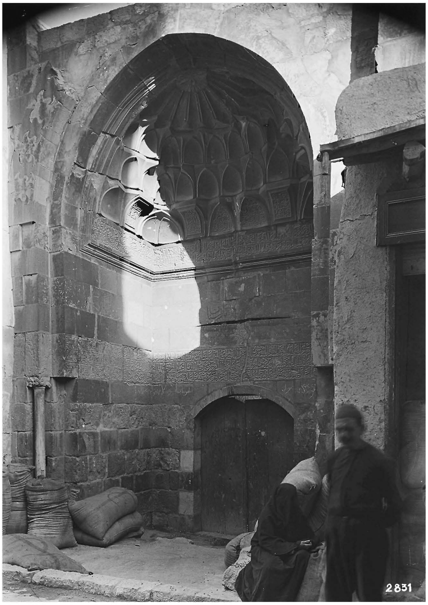
(نقلاً عن كتاب (تاريخ البيمارستانات في الاسلام)

(١) تاريخ البيمارستانات في الاسلام ص ٢٥٦ ـ ٢٥٨ .









(وجه البيمارستان القيمري وتظهر فيه حجة الوقف والعمل جارٍ في إصلاحه وإعادته كما كان من قِبل مصلحة الآثار السورية .



منظر عام للبيمارستان ألقيمري في حي ألصالحيه بدمشق

(ونأتي هنا على وصف مسهب لهذا البيمارستان كما ذكره صاحب أعلام النبلاء قال : تدخل إلى البيمارستان فتجد عن يمينك حجرة . . . ثم تدخل الباب الثاني فتجد عن يمينك حجرة أخرى ، كانت هاتان الحجرتان لقعود الأطباء ، ووضع ما يحتاجون إليه من الأدوية والأشربة ، ثم تجد صحناً واسعاً يحيط بطرفيه الجنوبي والشمالي رواقان ضيقان مرفوعان على أعمدة عظيمة ووراءهما حجرة صغيرة هي محل حبس المجانين فيها . ثم تدخل من الجهة الشمالية في دهليز وبعد خطوات تجد دهليزين . الذي على اليمين يأخذ إلى باب آخر للمارستان تخرج منه إلى بوابة صغيرة وهو مغلق الآن والدهليز الذي على اليسار يأخذك إلى صحنين وحولهما حجرة صغيرة وهي معدّة أيضاً لحبس

المجانين . . . وقد بلغنا أنه كان في أطراف الصحن الخارجي وعلى أطراف الحوض الذي في وسطه أنواع الرياحين لبناظرها المجانين . وكانوا يأتون بآلات الطرب وبالمغنين فيداوون المجانين فيها أيضاً . وكان أمره جارياً على الانتظام إلى أواخر القرن العاشر . . . وقد كان لبابه حلقتان كبيرتان جميلتا الشكل من النحاس الأصفر قلعتا منذ خمس عشرة سنة وأُخذتا إلى متحف الأستانة . . . ويعد هذا البيمارستان من جملة الآثار القديمة الباقية في حلب . . .) .













بيمارستان أرغون الكاملي بحلب

٣ ـ توابع المستشفى ومنشآته

علاوة عن القاعات العديدة الموجودة في المستشفى لتنويم المرضى وعلاجهم ، فقد كانت هنالك منشآت عديدة تابعة للمستشفى ومنها على سبيل المثال صيدلية ، وعدة جباب (الخوابي) ، وقباب ، ومطبخ ومسجد ، وسبيل ماء ، ومكتب سبيل لقراءة أيتام المسلمين القرآن الكريم ، ومدرسة ، وحمامين واحد للذكور وآخر للنساء ، وفي بعض الأحيان كان يوجد رباط . وعادة كانت تبنى تلك المنشآت بجوار بعضها البعض كمجموعة الأمير مجاهد الدين قايماز نائب قلعة الموصل حيث يقول عنها الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه تاريخ البيمارستانات [1] في الإسلام :

(بيمارستان الموصل . . . قال ابن كيثر في سنة ٥٧٢ هـ بنى الأمير مجاهد الدين قايماز نائب قلعة الموصل جامعاً (الجامع المجاهدي) حسناً ورباطاً ومدرسة ومارستاناً متجاورات بظاهر مدينة الموصل على دجلة وأوقف عليه الأوقاف . . .) .

أما عن وصف مجموعة المنصور قلاوون المعمارية بالنحاسين الموجودة بالقاهرة فيقول الدكتور كمال الدين سامح في كتابه (العمارة الاسلاميه في مصر من ص ٣٠ ـ ص ٣٢) : (. . . . وقد أقيمت هذه المجموعة فوق

---

(١) ص ٢٠٠ .

رقعة من أرض القصر الفاطمي الصغير الغربي . الذي كشف عن بعض أجزائه حديثاً ـ ففي سنة (٦٧٩ هـ ـ ١٢٧٩م) عيّن السلطان الملك المنصور قلاوون أحد مماليك الأتراك البحريين ملكاً على مصر . وكان عصره عصر رخاء ويسر انتعشت فيه الفنون وأزدهرت العمارة . وقد توفي سنة (٦٨٩هـ ـ ١٢٩٠م) ودُفن في مقبرته التي أنشأها في شارع القصرين بالنحاسين (حالياً المعز لدين الله) .

ومدخل المجموعة المعمارية يقع بشارع المعز لدين الله ويؤدي إلى ممر مسقوف يفصل بين جزأين ، البحري منه يجمع بين الضريح والمئذنة بينما يشمل الجزء القبلي المدرسة وقاعة الصلاة تقوم مقام المسجد ويوجد خلف المجموعةمن الجهة الغربيةالبيمارستان (المستشفى) .

وقد صممت وجهة المجموعة الخارجية المشرفة على شارع المعز لدين الله تصميماً جميلاً عبارة عن تجويف معقول ببحر واسع يكتنفه من جهتيه تجويفان معقودان أقل عرضاً ويليها تجويف ببحر واسع ثم تجويفان صغيران أيضاً ، وكِلها ذات عقود مدببة عالية ومحمولة على أعمدة إرتفاعها قليل نسبياً وفي كل هذه التجويفات فتحات : المستطيلة منها من أسفل ، أما الفتحات المعقودة فنجدها في الجزء العلوي ويجري تحت منتصف الواجهة من أسفل شريط أفقي من الكتابة بالخط النسخي المملوكي يحوي عبارة (عز مولانا السلطان المنصور قلاوون . . .) ويعلو الوجهة شريط أفقي من الشرافات المدرجة وإلى يمين الوجهة في الجهة البحرية توجد المئذنة التي تتكون من قاعدة مربعة يعلوها جزء أوسط قطاعه مربع أيضاً . ولكنه أصغر من السفلي على حين نرى أن الجزء العلوي أسطواني الشكل قطاعه دائري وبقمة المئذنة قلنسوة تتوجها ، وعقود القاعدة السفلية على شكل حدوة الفرس المستدير . أما تخطيط الضريح فعبارة عن قاعة مربعة بداخلها مثمن مكون من دعامتين يليهما عمودان بالتبادل ويتحول المثمن من أعلاه إلى قاعدة دائرية بالمحاريب

الركنية ، ويعلوها قبة مدببة تسندها دعامات صغيرة من الخارج كما أنه تحت القبة قبر المنصور قلاوون وابنه الناصر محمد بن قلاوون وحفيده علاء الدين إسماعيل .

أما إيوان القبلة (قاعة الصلاة) الذي يقع إلى يسار ممر المدخل فيتكون من ثلاثة أقسام : الأوسط أكثر إتساعاً من الجانبين ويفصلها ثلاثة أعمدة ضخمة ومحراب قاعة الضريح يعتبر من أجمل المحاريب في مصر الإسلامية كما تكسو الوزرات أسفل حوائط الضريح أشرطة رأسية من الرخام الملون . وكذلك تزين المحراب قطع من الرخام والصدف الدقيق . . . .) .

وفي عصر المماليك كانت تشيد مجموعات من الأبنية مجمعة في مكان واحد مع أن تلك الأبنية كانت متعددة الأغراض المختلفة مثل : المسجد والبيمارستان والمدرسة . ولكن جميعها تقود إلى المعرفة والعلم والتعلم وعمل الخير وأخيراً تقود إلى معرفة الله ومعرفة قدرته وعظمته .

وكان يلحق بكل بيمارستان مكتبة عظيمة تحتوي على كتب العلوم الطبية وغيرها من سائر العلوم الأخرى . وبهذا الصدد يقول الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه[1] ما يلي : (. . . . وفي مصر (الفسطاط) . . . مارستان أحمد بن طولون . وقال السخاوي : إن أحمد بن طولون بنى إلى جانب جامعه البيمارستان ، وكان في أحد مجالس البيمارستان العتيق أي بيمارستان أحمد بن طولون خزانة كتب كان فيها ما يزيد على مائة ألف مجلد في سائر العلوم يطول الأمر في عدتها (نقلاً عن النجوم الزاهرة ص ٤٧٢ طبع ليدن (ج ٤ ص ١٠١) طبع دار الكتب) و(تحفة الأحباب ج ٤ / ص ٤ هامش نفح الطيب) طبع القاهرة .

أما الدكتور مصطفى السباعي فيقول في كتابه[2] ما يلي : (ولا يفوتنا

---

(١) تاريخ البيمارستانات في الاسلام ص ٧١ .

(٢) من روائع حضارتنا ـ الطبعة الثانية ص ١٤٢ .

أن نذكر أنه كان يلحق بكل مستشفى مكتبة عامرة بكتب الطب وغيرها مما يحتاجه الأطباء وتلاميذهم ، حتى قالوا أنه كان في مستشفى ابن طولون بالقاهرة خزانة كتب تحتوي على ما يزيد على مائة ألف مجلد في سائر العلوم . . . .) .

وجاء في المصدر[1] السابق ما يلي : (. . . . وبنى السلطان قلاوون المدرسة التابعة للمارستان في المكان الذي هي فيه في الوقت الحاضر ، وكان يدرس فيها الطب والفقه . . .) وجاء أيضاً[2] : (البيمارستان الكبير المنصوري . . . ورسم بعمارتها مارستاناً وقبة ومدرسة . . .) .

أما في ص ١٠٧ من المصدر السابق فقد جاء ما يلي عن بيمارستان قلاوون (المنصوري) : (المسجد الذي هو من البيمارستان . . .) .

وقد كان الماء متوفراً في البيمارستانات وكذلك كان بجوارها أسبلة ماء ومكتب لقراءة أيتام المسلمين القرآن الكريم وبهذا الصدد فقد جاء في المصدر[3] السابق : (. . . وأنشأ بجوار باب المارستان (المنصوري) سبيل ماء ومكتب سبيل لقراءة أيتام المسلمين القرآن الكريم ووقف عليه وقفاً من الضواحي . . .) .

وقد كان في البيمارستان صيدلية بها جميع أنواع الأدوية وكانت تسمى (خزانة شراب) . وبهذا الصدد يقول الدكتور مصطفى السباعي في كتابه ما يلي وفي كل مستشفى صيدلية . كانت تسمى (خزانةالشراب) فيها أنواع الأشربة والمعاجين النفيسة ، والمربيات الفاخرة ، وأصناف الأدوية والعطورات الفائقة ، التي لا توجد إلا فيها وفيها فن الآلات الجراحية والأواني الزجاجية

(١) تاريخ البيمارستانات في الاسلام ص ١٠٢ .
(٢) ص ٨٣ ـ ٨٤ . (٣) ص ٩٧ ـ ٩٨ .

والزبادي وغير ذلك ، ما لا يوجد إلا في خزائن الملوك . . . أما نظام الدخول إلى المستشفيات فقد كان مجاناً للجميع لا فرق بين غني وفقير وبعيد وقريب ، ونابه وخامل ، يفحص المرضى أولاً بالقاعة الخارجية ، فمن كان به مرض خفيف يكتب له العلاج ، ويصرف من صيدلية المستشفى . . . ومن كانت حالته المَرضية تستوجب دخوله المستشفى كان يقيّد اسمه . . .) .

أما الدكتور أحمد عيسى بك فيقول في كتابه [1] ما يلي عن البيمارستان المنصوري :

(. . . وكانت له خزانة شراب (صيدلية) مجهزة بالأدوية والأدوات . . .) .

وكان يدير الصيدليات ، صيادلة وخبراء أكفاء لعمل الأدوية من أدهان وأشربة وغيرها ويقوم بتعليم طلبة الصيدلة بذلك وبهذا الصدد فقد جاء في كتاب (الموجز في تاريخ الطب والصيدلة [2] عند العرب ما يلي : (. . . انشأوا بكل من البيمارستانات (المستشفيات) صيدلية في عهدة صيدلي كفؤ ، وكان بجانب إشرافه وقيامه بتجهيز الأدوية يقوم بتدريب الدارسين عملياً في مجال الدواء . وكانت هذه الصيدليات مملوءة بأصناف الأدوية والأشربة الموضوعة في الأواني الصينية والمرتبة ترتيباً جميلاً وكانت الأدوية تصرف منها للمرضى مجاناً (ابن أبي أصيبعة) .) .

وجاء في المصدر [3] السابق : (وكان بالبيمارستان خزانة شراب وهي جزء هام من مرافق البيمارستان يقوم عليها الصيادلة ، ولهم رئيس هو شيخ صيادلة البيمارستان وقد أطلق أيضاً على الصيدلية اسم الشرابخاناه (أي بيت

---

(١) تاريخ البيمارستانات في الاسلام ص ١٠٢ .

(٢) تأليف مجموعة من الأطباء بإشراف الدكتور محمد كامل حسين ص ٣١٤ .

(٣) ص ٢٣٠

الشراب) . وكان بها دائماً العديد من الأدوية والأشربة والعطريات والمعاجين وغيرها من أصناف شتى كما كانت تضم من الآنية الصيني والآثار والأدوات والأواني النفيسة) (صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٧٦) .

علاوة عن تعليم علم الصيدليات في البيمارستانات كان هنالك مدارس عديدة أُنشئت خصيصاً لتدريس علم الصيدلة والأدوية . وكانت تلك المدارس منتشرة في جميع أنحاء الدولة الاسلامية في طليطلة وقرطبة وبغداد والبصرة ودمشق والقاهرة وغيرها من المدن الاسلامية وبهذا الصدد فقد جاء في كتاب الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند[1] العرب ما يلي :

(. . . أُنشئت المدارس لتعليم الصيدلة في بغداد والبصرة ودمشق ثم في القاهرة والأندلس في قرطبة وطليطلة . . . ولقد ذكر القفطي أنه كان في النصف الأول من القرن التاسع الميلادي أشخاص متعلمون موثوق في كفايتهم لقبوا بالصيادلة حصلوا على تراخيص توليهم حق مزاولة المهنة فقد سنت القوانين التي تفرض الرقابة الحكومية الدقيقة عليها فعين في كل مدينة كبيرة ، موظف (مفتش) يعتبر كبيراً للصيادلة فيها أو عميداً لهم للإشراف على تنفيذ هذه القوانين ومراقبة تحضير الأدوية في الصيدليات ، ونقاوة العقاقير المستعملة ، كما كانت هذه القوانين تفرض على من يتعاطى صناعة الصيدلة أن يحصل على ترخيص من الحكومة بذلك بعد أداء إمتحانات خاصة في معرفة العقاقير وطرق تجهيزها إلخ . . .

ثم يقيد اسمه في سجل الجدول الخاص بذلك وأوّل إمتحان أُجري لذلك كان في بغداد عام ٢٢١ هجرية في عهد الخليفة المعتصم . فكان العرب لذلك أول من أنشأ فن الصيدلة على أساس علمي سليم وإقامة

---

(١) ص ٣١٤ - ٣١٥ - الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب .

الرقابة على الصيدليات والصيادلة فكانوا فعلاً رواده ومؤسسيه .

وأول صيدلية خاصة أُنشئت في بغداد عام ٧٦٦ م وقد ذكر (تشرش Tschirch) ما مؤداه أن الصيدلية (دكان الأدوية) هي من إنشاء عربي خاص ، ولقد كان من المشكوك فيه جداً أن ترقى الصيدلية إلى مستواها الحالي لو لم تتأثر دراسة الطب والصيدلة بالتعاليم العربية في الطب والصيدلة) . (Tschirch A: Handbuch der Pharmakognoise 1933) .



صوره حائطيه من ألبورسلين (قد تكون في إشبيليه) يعود تاريخها
إلى ألعهد ألأندلسي يظهر فيها صيدليه











بيمارستان طاريهي خوناك (Maristan Tarihi KonaK) في جنوب شرق تركيا

ذو موقع رائع وتصميم جذّاب ويستخدم حاليا كفندق سياحي

الفصل الخامس

أقسام البيمارستان الفنية

١ - الأقسام السريرية

٢ - الأقسام الصيدلانية

أقسام البيمارستان الفنية (الطبية)

١ ـ الأقسام السريرية :

ان التقسيمات الطبية للبيمارستان كانت منظمة ودقيقة ، فقد قسّم المسلمون البيمارستان إلى قسمين منفصلين تماماً عن بعضهما البعض قسم للذكور وآخر للإناث . وكل قسم من تلك الأقسام يحوي قاعات عديدة ، ولكل مرضٍ معين بعض من تلك القاعات فهنالك قاعة لأمراض العيون ، وأخرى للجراحة أو لتجبير الكسور أو للأمراض الباطنية التي كانت بدورها تنقسم إلى قاعات تخصصية ، فمنها قاعات للمسهولين ، أو المحرورين أو المبرودين . . . إلخ . وقاعة خارجية لفحص كل مريض يقصد المستشفى . فمن كان به مرض بسيط يوصف له العلاج ويصرفه مجاناً من صيدلية المستشفى وينصرف . أما من استوجبت حالته دخول المستشفى يقيد اسمه وتنزع عنه ثيابه ويذهب للحمام ويستحم ويعطى ثياباً خاصة للمستشفى ثم يلبسها ويذهب ليرقد في القاعة المخصصة لأمثاله من المرضى ويعالج مجاناً ، وله سرير خاص به ، وأكواز ، وأقداح لشربه ، ويفحصه الأطباء بدقة ويعطونه الدواء اللازم والغذاء المناسب حتى يشفى . وبعد شفائه وفي دور النقاهة يذهب إلى قاعة الناقهين وبهذا الصدد يقول الدكتور مصطفى السباعي

في كتابه (من[1] روائع حضارتنا) :

وكان غذاء المرضى يحتوي على لحوم الأغنام والأبقار والطيور والدجاج ، وعلامة الشفاء أن يأكل المريض رغيفاً كاملاً ودجاجة كاملة في الوقعة الواحدة ، فإذا أصبح في دور النقاهة أدخل القاعة المخصصة للناقهين حتى إذا تمّ شفاؤه أُعطي بدلة من الثياب الجديدة ، ومبلغاً من المال يكفيه إلى أن يصبح قادراً على العمل ، وكانت غرف المستشفى نظيفة تجري فيها المياه ، وقاعاته مفروشة بأحسن الأثاث ، ولكل مستشفى مفتشون على النظافة ، وكثيراً ما كان الخليفة أو الأمير يتفقد بنفسه المرضى ويشرف على حسن معاملتهم . . .) .

ولقد اعتنى المسلمون بعزل ذوي الأمراض المعدية كالجذام والعناية بهم وعملوا لهم مستشفيات عزل عُرفت بالمجاذم بينما عامل الأوروبيون المصابين بمرض الجذام معاملة قاسية جداً حتى قيل أن فيليب الجميل أمر بإحراق جميع المجذومين في فرنسا وبهذا الصدد يقول الدكتور توفيق الطويل في كتابه[2] :
(. . . وأقام العرب أول مستشفى للجذام في مطلع القرن الثامن (٧٠٧م) مع أن فيليب الجميل أمر في مطلع القرن الرابع عشر بإحراق جميع المجذومين في فرنسا . . .) .

وهنالك أحاديث شريفة قالها الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، حثت على إعتزال أصحاب الأمراض المعدية ، ووجوب عزلهم عن غيرهم من الأصحاء خوفاً من العدوى وسريان الأمراض المعدية للأصحاء ، وخصوصاً مرض الجذام الذي يُعتبر من الأمراض السارية ، التي ضررها عظيم وتفشيها سريع .

---

(١) من روائع حضارتنا ـ الطبعة الثانية ـ ص ١٤١ ـ ١٤٣ .
(٢) كتاب (في تراثنا العربي الاسلامي) ص ١١٥ .

ولقد ورد في صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (لا يوردنّ ممرَّض على مصح . . .) .

وجاء في صحيح مسلم عن جابر بن عبدالله أنه كان في وفد ثقيف رجلٌ مجذوم فأرسل إليه النبي ﷺ : (إرجع فقد بايعناك) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، روى البخاري في صحيحه إن الرسول ﷺ قال : (فِرَّ من المجذوم كما تَفَرُّ من الأسد) .

وجاء في سنن ابن ماجة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : (لا تُديموا النظر إلى المجذومين) . وأخرجه أيضاً أحمد والطيالسي والطبراني والبيهقي .

وأخرج ابن السني ، وأبو نعيم في الطب عن عبدالله بن أبي أوفي أن رسول الله ﷺ قال : (كلِّم المجذوم وبينك وبينه قِيدُ رمح أو رمحين) .

مما سبق نرى أن الرسول ﷺ قد منع الإقامة والسكنى مع المجذومين ووجوب عزلهم عن غيرهم ، وكذلك عزل المصابين بالأمراض المعدية كالطاعون أيضاً ، فقد جاء في الصحيحين عن عامر بن سعد بن أبي وقّاص عن أبيه انه سمعه يسأل أسامة بن زيد : ماذا سمعت من رسول الله ﷺ في الطاعون ؟ فقال أسامة : قال رسول الله ﷺ : ـ الطاعون رجز . . . فإذا سمعتم به بأرض ، فلا تدخلوا عليه ، وإذا وقع بأرض ـ وأنتم بها ـ فلا تخرجوا منها فراراً منه) . رواه أيضاً البيهقي والترمذي عن أسامة بن زيد بلفظ (الطاعون بقية رجز) .

من ذلك نرى أن الرسول ﷺ أمر بالإبتعاد عن الأسباب الضارة التي تسبب العدوى وعزل المصابين بالأمراض المعدية ، وبهذا فلقد أوجد النبي ﷺ نظام الحجر الصحي قبل أن تعرفه أوروبا بقرون عديدة ، وبهذا الصدد

يقول الاستاذ الدكتور محمد سعيد السيوطي في كتابه[1] :

(الأوامر الواردة في الأحاديث الشريفة المذكورة نصت على إعتزال أصحاب العلل الدائمة وعزلهم عن غيرهم ، وقد استفاد العرب وا لمسلمون من إرشاداته عليه الصلاة والسلام فسبقوا أوروبا وشيدوا البيمارستانات في العصر العباسي ، كما أنهم شيدوا حديقة للمجذومين خارج مدينة دمشق معروفة باسم (جنينة الجذماء) منذ أكثر من خمسمائة سنة ووقفوا لها الأوقاف الخيرية وأمنوا الجرايات والأموال الكافية لإعاشة المجذومين ومداواتهم مع جميع ما يلزم من الرواتب للأطباء والمأمورين والممرضين والممرضات الذين أنيط بهم أمر العناية بالمجذومين ولا تزال جنينة الجذماء هذه موجودة إلى اليوم . وهذا أثبت أن العرب المسلمين أول من ابتكر دور الحجر الصحي الدائم (الكرنتينا الدائمة) ، والعزل الموقت وأول من شيّد البيمارستانات في عصور كانت أوروبا خلالها غارقة في بحار الجهل والتأخر ، ولم يعمد العالم المتمدن في أوروبا وغيرها لتشييدها إلا منذ نصف قرن تقريباً مقتبساً ذلك من المدنية الإسلامية التي أحرزت شرف السبق والتقدم في هذا المضمار . . .) .

ويستطرد ويقول المصدر[2] السابق : (. . . وقال تقي الدين المقريزي ، أول من بنى البيمارستان في الإسلام ودار المرضى الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي سنة ٨٨ هـ الموافقة لـ (٧٠٦ ميلادية) وجعل في البيمارستان الأطباء وأجرى لهم الأرزاق ، وأمر بحبس المجذومين لئلا يخرجوا وأجرى عليهم وعلى العميان الأرزاق .

وقال محمد بن جرير الطبري في تاريخ الرسل والملوك حوادث سنة ٩٦ هـ : (كان الوليد بن عبد الملك عند أهل الشام أفضل خلافائهم بنى

---

(١) معجزات في الطب للنبي العربي محمد ﷺ الطبعة الأولى ص ١١٨ .

(٢) ص ١١٩ .

المساجد ، مسجد دمشق الأموي ، ومسجد المدينة ، ووضع المنار (المأذنة) ، وأعطى الناس وأعطى المجذومين وقال : (لا تسألوا الناس) وأعطى كل مقعد خادماً وكل ضرير قائداً . . .) .

إن دور المجذومين تشبه إلى حد كبير في عصرنا الحديث مستشفيات العزل .

ويقول الدكتور أمين أسعد خيرالله في كتابه[1] : (. . . وفي عام ١٣١٣ أمر فيليب الجميل بحرق جميع المجذومين المصدر Haggard: Devils, Drugs and Doctors P. 194.) .

إن الجذام مرض معد وسببه جراثيم تسمى باسيل الجذام وهو نوعان درني وعصبي ، والنوع الأول يمتاز بظهور أورام صغيرة تشبه الدرنات وخصوصاً على الوجه .

أما النوع العصبي فيتميز بظهور بقع فاتحة اللون على بشرة الجلد ، تنعدم فيها الحساسية للمس أو الألم وتحدث العدوى بالاختلاط بالمرضى ودخول الميكروبات منهم إلى الأصحاء بواسطة خدش أو جرح في الجلد أو بواسطة الغشاء المبطن للأنف .

ويُقال إن مدة الحضانة للمرض تتراوح من بضعة شهور إلى بضع سنين .

ولقد أدرك المسلمون أن مرض الجذام ينتقل بالعدوى ، فأنشأوا المجاذم لعزل المصابين فيها . وكان الخليفة الوليد بن عبد الملك أول من عمل المجاذم ، واقتفى الحجاج أثر الوليد بن عبد الملك ، وكذلك الخليفة محمد المهدي .

---

(١) الطب العربي ص ٦٩ .

ولقد اهتم المسلمون بمعالجة ورعاية من اعتراه مس أو ضعف عقلي ، وكانوا يعاملون باللين ولهم قاعات في البيمارستان خاصة بهم ، ونوافذها مشبكة بالحديد . وفي بعض البلدان كانت هنالك مستشفيات خاصة للمجانين ، يأوون إليها لتلقي العلاج ولرعايتهم فيها . وكان الأمراء والسلاطين أو الخلفاء كثيراً ما يتفقدون أحوالهم ، ويشرفون على حسن معاملتهم .

وفي بعض المستشفيات كالمستشفى النوري أو العتيق في حلب كان لكل مجنون خادمان يقومان على خدمته ، يخلعان ثيابه في صباح كل يوم ويحممانه ، ويلبسانه ثياباً نظيفة ويحملانه على أداء الصلاة ، ويسمعانه القرآن الكريم الذي كان يرتله أمامهم قارىء ذو صوت شجي حسن ، وبعد ذلك يسمعانه الموسيقى العذبة لترتاح أنفسهم بالأصوات الجميلة : (ولقد[1] أدرك الرازي ما للموسيقى من أثرٍ حسن على نفوس المرضى وكيف تكون الموسيقى لوناً من ألوان العلاج) .

وتقول الدكتورة زيغريد هونكه في كتابها[2] : (. . . . كان الرازي وصحبه من الأطباء العرب المثال الحي والقدوة المثلى لأطباء الغرب فيما بعد لدى معالجتهم مرضى الأعصاب والذين لا رجاء في شفائهم بإنسانية رائعة . . . ولنا أن نذكر نظرة الغرب إلى هؤلاء المرضى المساكين خلال القرون الوسطى فنرى هولاً وبشاعة بالغين ، مبعثها الاعتقاد السائد آنذاك والذي غذته الدعاوات الدنيئة الخاطئة ، بأن هذا المرض لعنة من السماء حلت بصاحبها عقاباً له على إثم زعموا أنه ارتكبه أو أن شيطاناً دخل في

---

(١) الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ص ٣٩٨ تأليف مجموعة من الأطباء والكتّاب المعاصرين بإشراف د . محمد كامل حسين .

(٢) شمس العرب تسطع على الغرب ص ٢٥٤ ـ ٢٥٦ .

نفسه ، فحُلل عذابه . . . فكان هؤلاء البشر المعذبون يوضعون في سجون مظلمة وقد قيدت أيديهم وأرجلهم . . . ويسلّم أمرهم إلى رجال أفظاظ لا يعرفون إلا لغة الضرب والشتم والتعذيب وذلك أمد الحياة !!!

. . . وكان العرب يخصصون البيمارستانات الخاصة والعيادات المنظمة لاستقبال أمثاله وذلك لمراقبته والإشراف على علاجه . وأما في أوروبا ، وحتى القرن التاسع عشر ، فلقد ظلّ هذا المريض نفسه يُعامل كمجرم فيُسجن ويُعذب ويُهان . . . وفي عام ١٧٥١ تجرأت انكلترا وقامت بالخطوة الأولى في هذا السبيل في بلاد الغرب . وفي نهاية القرن الثامن عشر طالب الطبيب بينل Pinel في فرنسا في مجلس الأديرة بالسماح له بتحرير المجانين السجناء وبتسليمهم لعناية الأطباء . . .) .

ويقول الاستاذ الدكتور أحمد شوكت الشطي في مقال له تحت عنوان (العلم عند العرب) في مجلة العلم والإيمان : (البيمارستانات : ـ تأسست هذه الملاجىء في أوائل التاريخ العربي الإسلامي وخاصة في عهد الدولة الأموية للعناية بالذين أصابهم مس أو اعتراهم ضعف عقلي . وكان العرب في دولهم يعتبرون المعتوهين معدمين وعالة على إحسان الدولة لأن إصابتهم بقضاء من الله وقدره . وكانت النوافذ في غرف بعض المعتوهين مشبكة بالحديد .

ويقول (رونيه ساند) في كتابه : (يحترم المسلمون المصابين بعقولهم ويوصون معالجتهم باللين ، ويفرزون لهم في المشافي قاعات لمعالجتهم ثم شادوا لهم مارستانات خاصة ولا سيما في غرناطة) . ولقد جاء في صك الأوقاف التي حبس ريعها لصالح المستشفى النوري أو العتيق بحلب : (إن كل مجنون يخص بخادمين ، فينزعان عنه ثيابه كل صباح ويحممانه بالماء البارد ، ثم يلبسانه ثياباً نظيفة ويحملانه على اداء الصلاة ويسمعانه قراءة

القرآن ، يقرأه قارىء حسن الصوت ثم يفسحانه في الهواء الطلق ، ويسمح له في الآخر بالاستماع إلى الأصوات الجميلة والنغمات الموسيقية .

أما في أوروبا فكان المجانين يحرمون من دخول المستشفيات ، وكانوا يقيدون بالسلاسل في البيوت الخاصة بهم . تلك البيوت التي كانت شراً من السجون ، فيبقون فيها حتى ينتهي أجلهم ، مسكنهم وضيع ، وطعامهم قليل ، وأجسادهم عارية ، كانوا يموتون من الإهمال والعري ، وكانت مداواتهم الوحيدة الضرب من وقت لآخر عندما يصبح صياحهم مزعجاً . . .) .

لقد كانت كلمة بيمارستان والتي اختصرت أحياناً فصارت مارستان ، كانت مستشفيات تعالج فيها جميع أنواع الأمراض من رمدية وباطنية وجراحية وعقلية وفيما بعد أصبحت كلمة مارستان تختص بالمكان الذي يأوي إليه المجانين .

وعن الطب النفسي النبوي يقول الدكتور حسن محمد الشرقاوي في كتابه[1] : (لقد ركز الطب النبوي على ناحيتين هامتين لا يستغني بعضهما عن بعض ، جماع بين الروح والمادة ، والنفس والجسم . . . لعلمه أنه لا يصلح العلاج إلا بهما ، سواء كان ذلك فيما يتعلق بالطب الوقائي أو الطب العلاجي . . . إن كثيراً من الأمراض العضوية يكون سببها المباشر أو غير المباشر آفات وأسقام وأمراض نفسية تؤثر على الجسم فتتلفه وتعطبه وهذه الأمراض إن لم تعالج أفسدت حياة الإنسان . . .

الدعاء والإستعاذة والذكر الدائم والصلاة والزكاة والحج هي أنواع من الممارسات التي يقوم بها الإنسان المسلم تجعله دائماً في صحة نفسية ، إذ هي

---

(١) كتاب (الطب النفسي النبوي) طبعة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م - دار المطبوعات الجديدة - الاسكندرية ص ٤ - ٧ .

بمثابة الدرع الواقي الذي لا تنفذ منه السهام ، فإذا أهمل الإنسان استخدام هذا الدرع سهل على السهام اختراق الجسم . . . الطب النفسي النبوي يعالج النفس الإنسانية من خلال الفهم السليم للإنسان نفساً وجسماً . . . والنظرة العلاجية الإسلامية تتميز بالشمول فلا تركز على صحة الإنسان في الحياة الدنيا فحسب بل تهتم أيضاً بصحة الإنسان في الآخرة أيضاً ، ومن هنا يدخل الدين في الطب الوقائي والعلاجي ، النفسي والعضوي . . . إذ أن الطريق للصحة النفسية إنما يكون بتوازن النفس وإعتدالها ، وكيف يتسنى لها تحقيق ذلك بدون الله ، والله سبحانه وتعالى أورد في كتابه الكريم الوصايا والأوامر والنواهي التي تعين الإنسان على اكتساب الصحة والأمن النفسي . . . فإذا أطاع الإنسان ربه ، وعمل بما أمره به تعالى ونهى عما نهاه عنه ، فكيف يُصاب بالمرض النفسي ، وحتى إذا أصيب بالمرض العضوي فإن ذلك نوع من الاختبار أو الإمتحان يجريه الله تعالى على عبده ليرى هل يتحمل الإبتلاءات أم أنه مرائي يخفي غير ما يظهر ، أوإنه عندما اشتد البلاء قنط من رحمه الله . . .)

مما تقدم نرى أن الإسلام والمسلمين أهتموا وعالجوا المرضى المصابين بالأمراض النفسية والعقلية وشيدوا لهم المستشفيات الخاصة لهم بينما كان الأوروبيون يكبلون هؤلاء المرضى بقيود من حديد ويضربونهم وبهذا الصدد يقول الأستاذ الدكتور أمين أسعد خيرالله ـ الجامعة الاميركية ـ بيروت ـ في كتابه[1] : (. . . وفي هذا الوقت كان المجانين في أوروبا يقيدون بسلاسل الحديد والعلاج الوحيد لهم كان الضرب ـ المصدر Ditto: Devils, Drugs and Doctors P. 371 .

---

(١) كتاب الطب العربي ص ٦٩ .

٢ ـ الأقسام الصيدلانية

كان في كل بيمارستان صيدلية تسمى خزانة الشراب يقوم عليها صيادلة متخصصون وفيها جميع ما يتطلبه علاج الأمراض من معاجين وأشربة وحبوب ومراهم وأدهان وأكحال وفتائل ، وأدوية مركبة ومفردة ، والمسهلات وغير ذلك .

وكان يوجد صانعين للأدوية وخازناً لمخزن حاصل التفرقة وآخر أميناً بتسليم تلك الأدوية وبهذا الصدد يقول الدكتور مصطفى السباعي في كتابه (من روائع حضارتنا[1]) :

(ويصرف الناظر في هذا الوقف لرجلين مسلمين موصوفين بالديانة والأمانة ، يكون أحدهما خازناً لمخزن حاصل التفرقة ، يتولى تفرقة الأشربة والأكحال والأعشاب والمعاجين والأدهان والشيافات ، المأذون له في صرف ذلك من المباشرين ، ويكون الآخر أميناً بتسليم صبيحة كل يوم وعشيته أقداح الشراب المختصة بالمرضى والمختلين من الرجال والنساء المقيمين بهذا المارستان ، ويفرّق ذلك عليهم ويباشر شرب كل منهم لما وصف له من ذلك .

وجاء في المصدر[2] : (. . . وكان بالبيمارستان خزانة شراب وهو جزء هام من مرافق البيمارستان يقوم عليها صيادلة ، ولهم رئيس هوشيخ

(١) الطبعة الثانية ص ١٤٨ ـ ١٤٩ .
(٢) الموجز في تاريخ الطب والصيدلة ص ٢٣٠ .

صيادلة البيمارستان ، وقد أطلق أيضاً على الصيدلية اسم الشرابخاناه (أي بيت الشراب) وكان بها دائماً العديد من الأدوية والأشربة والعطريات والمعاجين وغيرها من أصناف شتى كما كانت تضم من الآنية الصيني والآثار والأدوات والأواني النفيسة[1] . . .)

ولقد عرف المسلمون الفارماكوبيا بمدلوله الحديث ، أي دستور الأدوية الذي يشتمل على مفردات الأدوية ومستحضراتها وتعريفها وطرق تحضيرها ومواصفاتها والكشف عنها . . . وكانت تسمى الأقراباذين وقراباذين فقد ألّف ابن التلميذ كتابه (أقرباذين) وابن البيان ألّف كتاب (دستور المارستان) وسابور بن سهل ألّف كتابه (كرابادن) . وحتى القرون الوسطى كانت تدل كلمة أقراباذين الفارسية الأصل أو اليونانية تدل على (الأدوية المركبة وتركيبها) .

وتقول الدكتورة زيغريد هونكه في كتابها (شمس العرب تسطع على الغرب[2]) : (لقد فصل العرب حقل محضّر الدواء عن حقل واصفه ، وأوجدوا مهنة الصيدلاني . . . وكانوا أول من افتتح الصيدليات العامة وذلك في العام الثمانين من القرن الثامن في ظل حكم الخليفة المنصور كما أنهم ألحقوا بكل بيمارستان صيدلية خاصة به . . . وكما كان هناك رئيس للأطباء كذلك كان في كل مدينة عميد للصيادلة يقوم بإمتحانهم ويمنحهم رخصة العمل إذا نجحوا ويقيد اسماءهم في الجدول الخاص بهم . . .) .

أما غوستاف لوبون فيقول في كتابه (حضارة العرب[3]) : (إن الطب مدين للمسلمين والعرب بعقاقير كثيرة . . . وهو مدين لهم بفن الصيدلة

---

(١) صبح الأعشى ج٢ / ص ٤٧٦ .
(٢) ص ٣٢٩ .
(٣) الطبعة الثانية ترجمة عادل زعيتر ـ مطبعة دار إحياء الكتب العربية .

وبكثير من المستحضرات التي لا تزال تستعمل كالأشربة واللعوق واللزقات والمراهم والدّهان والمياه المقطرة كما أنهم كانوا يعرفون المُرْقِد (البنج) الذي ظُن أنه من مبتكرات العصر الحاضر وذلك بإستعمال الزُّوان أو الشيلم لتنويم المريض قبل العمليات المؤلمة حتى يفقد وَعيه وحواسَّه . . .)

ويقول الأستاذ قدري حافظ طوقان في كتابه[1] : (وفي الطب ثبت أن للعرب فضل كبير في إنقاذه من الضياع . . . ويرى كمستون أنه لو لم يكن للعرب غير هذا الفضل في الإنقاذ لكفاهم خدمة وفخراً . لقد رفع العرب شأن الطب ولهم الفضل في جعل الجراحة قسماً منفصلاً عنه وفي إنشاء المستشفيات والتفنن فيها وفي الترخيص الشرعي لممارسة الطب والصيدلة .

وكذلك في الصيدلة وضعوا أسسها وهم أول من أنشأ مدارسها واستنبطوا أنواعاً من العقاقير وأمتازوا في معرفة خصائصها وكيفية إستخدامها لمداواة المريض .) .

ولقد حضر المسلمون كثيراً من المواد الكيمياوية التي ما كانت معروفة لديهم ولا تزال أسماء تلك المواد والعقاقير تلفظ بأسمائها العربية رغم أنها تلفظ باللغات الأجنبية مثل كلمة قطن Cotton ، وصودا Soda والبورق Borax ، والكحول Alcohol . . . إلخ . . .

ويقول الدكتور ناصر حسين صفر في كتابه[2] : (. . . فأصبح العطّار ـ أي الصيدلي . . . يتلقى الوصفة الطبية من (الحكيم أو الطبيب) المعالج ويهيىء الدواء للمريض ويعلمه كيف يستعمله وتوسع دكان العطار وتحسن وتمخّض عن ذلك فتح أول صيدلية في التاريخ وكانت في بغداد عام ٧٥٤ م . . .) .

---

(١) كتاب (العلوم عند العرب) ص ١١ .

(٢) كتاب النباتات الطبية عند العرب ص ٢٣ .

أما الأستاذ الدكتور أسعد أمين خير الله ـ الجامعة الأمريكية في بيروت) يقول في كتابه (الطب العربي[1] : (ومنذ زمن المأمون كان الصيادلة خاضعين للامتحان والحصول على إجازة الممارسة وكانت صيدلياتهم خاضعة للتفتيش المنظم وكان يوجد في كل مدينة كبيرة عميد للصيادلة الذين كانوا يدعون عطّارين . . .) .

أما كتاب الموجز في تاريخ[2] الطب والصيدلة فقد ذكر فيه : (. . . أول صيدلية خاصة انشئت في بغداد عام ٧٦٦م، ولقد ذكر تشرش Tschirch ما مؤداه أن الصيدلية (دكان الأدوية) هي من إنشاء عربي خاص ولقد كان من المشكوك فيه جداً أن ترقى الصيدلية إلى مستواها الحالي لو لم تتأثر دراسة الطب والصيدلة بالتعاليم العربية في الطب والصيدلة (Tschirch A: Hand-buchder Pharmakognoise 1933) .

ومن علماء الصيدلة أحمد بن ابراهيم بن أبي خالد ابن الجزار ، وأبو حنيفة الدينوري ومحمد التميمي المقدسي المتوفي سنة ٣٨٠هـ / ٩٠٠م ويقول عنه سيد حسين نصر في كتابه[3] : (ظهر الكتاب المشهور للفلسطيني أبي عبدالله التميمي (كتاب المرشد في جماهر الأغذية وقوى المفردات من الأدوية) وهو هام من ناحية الأغذية والأدوية وكتاب (الاعتماد في الأدوية المفردة) وفيه ذكرت مفردات الأسماء العربية للأدوية بالسريانية والفارسية ، كما ركز المؤلف على الخواص الخفية للأدوية وترجم أسطيفانوس السرقسطي هذا الكتاب، إلى اللاتينية فترك أثراً كبيراً في الغرب . . .) .

ص ١٨٨ .

(٢) تأليف، مجموعة من الأطباء تحت اشراف الأستاذ الدكتور محمد كامل حسين ـ ص ٣١٥ .

(٣) كتاب (العلوم في الإسلام) ص ١٦١ .

وجاء في نشرة[1] الطب الإسلامي ـ العدد الأول ـ الأبحاث وأعمال المؤتمر العالمي الأول ـ الكويت بحث للدكتورة كارمن بينيا مونيوث ، والدكتور خوسيه لويس فالفيردي ـ اسبانيا قالا : (من بين أقدم طرق التأليف في كتب التراكيب العربية ، يوجد الكتاب الطبي الصيدلي المسمى أقراباذين ، في هذا النوع من التأليف يوجد عادة مجموعة من التراكيب المستعملة لأمراض مختلفة . . . ومن كتب التراكيب (كتاب الوساد) لابن وافد (١٠٠٨ - ١٠٧٤) و(كتاب الجامع في الأشربة والمعاجين . . . لابن زهر . . .) .

ولقد وصف ابن سينا في كتابه (القانون) المئات من العقاقير والأدوية وكذلك الرازي في كتابه (الحاوي) ، والزهراوي في كتابه (التصريف لمن عجز عن التأليف) .

وجابر بن حيان يعتبر منّ مؤسسي علم الصيدلة والكيمياء ، ولقد حضّر ، حامض الكبريتيك والماء الملكي وحامض النيتريك ، وأوّل من اكتشف فصل الفضة عن الذهب ، واكتشف الصودا الكاوية وملح النشادر ، ونيترات الفضة والبوتاس ، وهو أول من وصف عمليات التذويب والتبخير والتصعيد والتقطير والتبلور . . .

وتقول الدكتورة زيغريد في كتابها[2] (شمس العرب تسطع على الغرب) : (العرب هم المؤسسون الحقيقيون لمهنة الصيدلة التي ارتفع أصحابها بمعلوماتهم الوفيرة عن مستوى تجار العقاقير . . .) .

وتقول[3] : (عن العرب أيضاً أخذنا طريقة الأقراباذين التي يقوم

---

(١) يناير ١٩٨١ ـ الطبعة الثانية ـ ص ٢٨٤ .

(٢) ص ٣٢٩ .

(٣) ص ٣٣٢ .

الصيدلي على أساسها بتحضير الأدوية . . .) .

وتستطرد وتقول : (. . . إن كل مستشفى مع ما فيه من ترتيبات ومختبر ، وكل صيدلية ومستودع أدوية في أيامنا هذه إنما هي حقيقة الأمر نصب تذكارية للعبقرية العربية . كما أن كل حبة من حبوب الدواء ، مذهبة ، أو مسكرة ، إنما هي كذلك تذكار . . .) .

ويقول وِل ديورانت في كتابه (قصة الحضارة)[1] : (وقد أضاف العرب إلى علم الأقراباذين ، العنبر ، والكافور ، وخيار الشنبر ، والقرنفل العطري والزئبق والسناكملي . . . وأدخلوا في الأدوية مستحضرات طبية جديدة . . . وكان المسلمون أول من أنشأ مخازن الأدوية والصيدليات وهم الذين أنشأوا مدرسة للصيدلة . . .) .





طبيب مسلم يقوم بتحضير ألدواء

---

(١) طبعة الادارة الثقافية في جامعة الدول العربية ـ الكتاب الثاني ـ الحضارة الاسلامية الجزء ١٣ ـ الفصل ١٢ ص ١٨٩ .






ديمنح المواذ من التحلب اللبثي دح هو نبات له ورق
اللبثى
شبيه بورق الجزر وزهر
ابيض وساق غليظ طولها
نحو من شبر وثمر شبيه
بثمر السرمق واصل عظيم له
روس كثيرة مستديرة و
ينبت بين الصخور وقد يسقى
ثمره وساقه وورقه بالشراب
الذى يقال له انومالى
لاخراج المشيمة وقد يسقى
اصله بالشراب لتقطير البول
ايما روقالس دح من
الناس من سماه اثمار وقا طلقطن له ورق وساق شبيه
ايمار وقالس
بورق السوسن وساقه الا ان
ورقه وساقه اخضر فى لون
الكراث وله زهر ثلث واربع
وحال زهره فى تشقيق فيه
كحال السوسن فى ابتداء انفتا
ولونه اصفر شديد الصفرة وله
اصل شبيه بالبصلة التى يقال
لها بلبوس الا انه اعظم منها









بعض ألأدوات ألتي إستخدمها ألأطباء ألمسلمون لإستخلاص ألأدويه
من ألأعشاب ألطبيه

الفصل السادس

المستشفيات ... ونظامها الإداري والمالي

١ ـ النظام الإداري والمالي

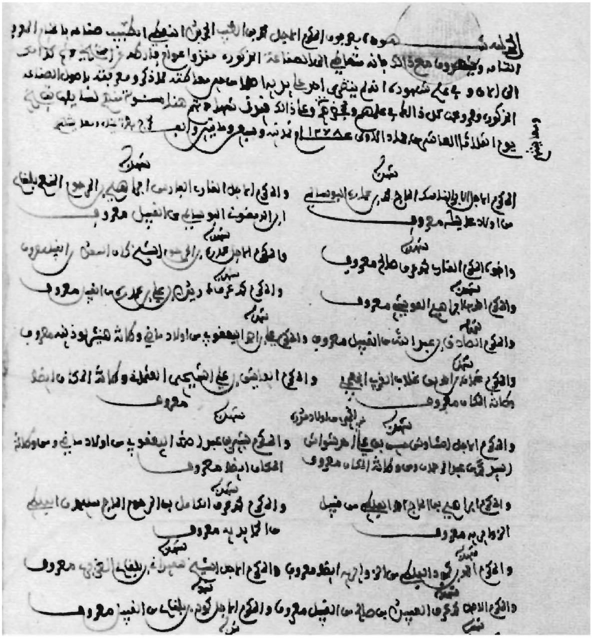
٢ ـ ناظر بيمارستان

٣ ـ ناظر الوقف

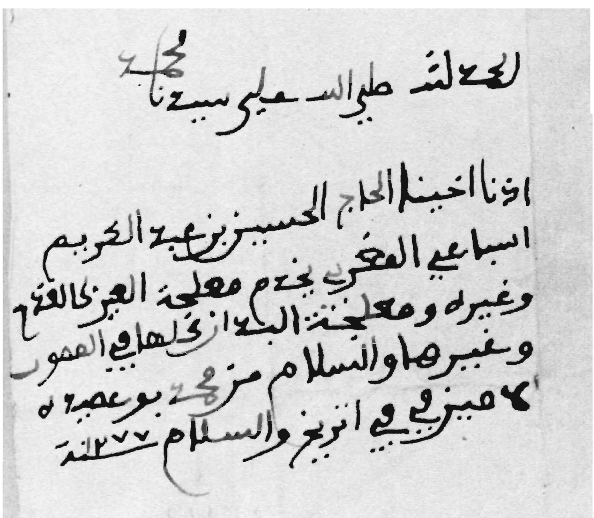
٤ ـ المحتسب ونظام الحسبة

٥ ـ الساعور

٦ ـ أوقاف البيمارستان



وثيقه تحوي شهود أن ألطبيب مارس ألطب لعده سنوات دون أن يؤذي مريض



إجازه تسمح للطبيب بممارسه ألعمل

النظام الإداري والمالي

لقد تبارى الخلفاء والسلاطين المسلمون ، وذوو الثراء ، في إنشاء المستشفيات ، متفانين في خدمتها وتوفير الدعم المالي الكبير من الموارد المختلفة الثابتة اللازمة لها ، كالأطيان ، والأراضي ، والعقارات والمنشآت المختلفة . . . إلخ ، فأوقفوا عليها ، الأوقاف الطائلة الخاصة بها ، دون سواها ، ضمن الحدود الشرعية الاسلامية ، للانفاق من ريع تلك الأوقاف عليها ، لضمان سير الأعمال فيها على ما يرام في مختلف الأزمان ، والعناية بها وصيانتها ، وتأثيثها بما يلزمها من أفضل الأثاث ، وتجهيزها بأحسن المعدات ، والآلات ، والأدوية ، والأطعمة ، والأطباء من ذوي الكفاءات العالية في مختلف الحقول ، والموظفين المختصين الممتازين للقيام بإدارتها على خير وجه ، وبالقومة والخدم والفراشين على مختلف أنواع أعمالهم من نظافة وإعداد طعام . . . الخ . ليكفلوا الخدمة الممتازة مما يعود على الموجودين فيها حسن راحة وطيب مقام .

وكان البيمارستان فيه العديد من الموظفين من أطباء وصيادلة ، وفراشين ، وخدم بمختلف ما يقومون به من أعمال وبهذا الصدد فقد جاء في ديباجة وقفية السلطان الملك المنصور كما ذكرها الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه (تاريخ البيمارستانات[1] في الإسلام) ما يلي :

(. . . ووقف بإذن مولانا السلطان الملك المنصور الموكل المذكور خلد

---

(١) ص ١٣٩ .

الله مملكته ، وحبس عنه المارستان المستجد المنصوري المحدود أعلاه ، وعلى من يقوم بمصالح المرضى به من الأطباء والكحالين والجرائحيين وطباخي الشراب والمزاور والطعوم وصانعي المعاجين والأكحال ، والأدوية والمسهلات المفردة والمركبة ، وعلى القومة والفراشين والخزان والأمناء والمباشرين . . . وعلى ما يقوم بمداواة المرضى من الأطعمة والأشربة والأكحال والشيافات والمعاجين والمراهم والأدهان والشرابات ، والأدوية المركبة والمفردة ، والفرش ، والقدور ، والآلات المعدة للانتفاع بها) .

ويقول الدكتور أحمد بك في كتابه (تاريخ البيمارستانات[1] في الإسلام) عن الموظفين في المستشفى المنصوري ، ما يلي : (. . . ورتب في البيمارستان من المباشرين ، والأمناء من يقوم بوظائفه وابتياع ما يحتاج إليه من الأصناف وضبط ما يدخل إلى المكان وما يخرج منه خاصة من غير أن يكون لهم تعلق في استخراج الأموال ، وإنما يبتاعون الأصناف ويحيلون بثمنها على ديوان صندوق المستخرج ويكتبون في كل شهرٍ عمل استحقاق لسائر أرباب الجامكيات والخزانات من سائر أرباب الوظائف والمباشرين يكتبه العامل ويكتب عليه الشهود ويأمر الناظر بصرفه ، يحيلون بثمنها على ديوان صندوق المستخرج ويصرف على حكمه وهذه الطائفة من المباشرين بالبيمارستان هم مباشرو الإدارة ، وأما مباشرو الصندوق والرباع فإليهم يرجع تحرير جهات الأوقاف في الخلق والمسكون والمعطل واستخراج الأموال ومحاسبات المستأجرين وصرف الأموال بمقتضى حوالة مباشري الإدارة ، ومباشرة العمارة وعمل الإستحقاق ، ولا يتصرفون في غير ذلك كما لا يتصرف مباشر الإدارة في صرف الأموال إلا حوالة بإرادتهم . . .) .

وأما العمارة فلها مباشرون ينفردون بها من ابتياع الأصناف وإستعمال

---

(١) ص ٨٨ - ٨٩ .

الصباغ وإدارة الأوقاف وغير ذلك مما يدخل في وظيفتهم وهم يحالون بأثمان الأصناف على الصندوق كما يفعل في الإدارة ، وينقل عليهم من الصندوق من المال ما يصرفونه لأرباب الأجر خاصة . ويكتبون في كل شهر عمل استحقاق بثمن الأصناف وأرباب الأجر ويخصمونه بما أحالوا به على الصندوق وما وصل إليهم من المال . . . ويرفع كل طائفة من هؤلاء المباشرين حساباتهم مياومة ومشاهرة ومساناة إلى الناظر والمستوفي في هذا ما يتعلق بهذا البيمارستان . . .) .

لقد طوّر المسلمون المستشفيات حتى أصبحت تواكب وتتمشى مع الشريعة الإسلامية السمحة ، فأصبح لها طابعاً اسلامياً خاصاً بها ، من حيث تقسيماتها وأنشائها ، ومنشآتها ، وموقعها الجغرافي العام ، وتمويناتها (بما يلزمها من أدوية وطعام) وإدارتها المالية وعلاقاتها بالموظفين وشؤونهم ، ونظامها التعليمي والعلاجي - السريري .

وقام على تطبيق أنظمتها تلك ، بدقة وإخلاص ، جهاز كفؤ ، من متخصصين بالعلوم الطبية والصيدلانية ، وشؤون الموظفين والادارة والخدمة الفندقية من نساء ورجال يقومون بأعمال النظافة وغيرها .

من ذلك نرى أن المسلمين كانوا أول من اهتم ، وأعتنى العناية الدقيقة الكافية الصحيحة بإدارة البيمارستانات ، وتدقيق وضبط حساباتها وميزانياتها المالية وفقاً للحدود الشرعية الإسلامية .

جدول ألرواتب في أحد ألمسشفيات ألإسلاميه

Position	Monthly salaries (Dirhams*)
Physician	71
Assistant physician	60
Director	60
Oculist	45
Resident physician	40
Imam (religious leader)	40
Pharmacist	26
Mechanic	13
Male nurse	13
Female nurse	11

* Dirham is a silver coin weighing three to four grams.

ناظر البيمارستان

كان يقوم بالإشراف على أمور المستشفى وإدارة أموالها وأوقافها وأنظمتها وسير العمل فيها موظف كبير له أهميته ومكانته العظمى يسمى (ناظر البيمارستان) .

فكانت تلك الوظيفة (نظارة البيمارستانات من أسمى ، وأرقى ، وأجلّ وظائف الدولة ، وأكبرها شأناً ورفعة ، ومقاماً وعظمة ، وتعتبر من الدرجة الأولى عندما تصنف الوظائف) .

ومن عظمتها أنها كانت منوطة إلى السلاطين أنفسهم في بعض الأحيان ، أو إلى نائب السلطنة ، أو إلى كبار وأعيان موظفي الدولة من قادة وسادة وحكام وأمراء .

وكان يجب على من يعتلي ويفوز بذلك المنصب (النظارة) ، أن يتحلى بكفاءة ممتازة ، ويتمتع بثقة عظيمة ، ويتصف بالأخلاق الحميدة من ورع ، وتقوى ، وأمانة ، وإخلاص ، وصدق ، ونزاهة ، وكفاءة ، وخبرة ودراية ، وثقافة ممتازة ، يحب مساعدة الناس ، لا يفرق بين أحد منهم في المعاملة ، سواء كان ثرياً أو فقيراً ، قوياً أو ضعيفاً ، متأهلاً أو غريباً . فلا يقدم أحداً على آخر في المعاملة وتصريف الأمور .

وقد كان للناظر الذي يتولى نظارة البيمارستان سلطة قوية ، وأهمية كبيرة .

ومن سلطات الناظر ، تقدير أرزاق الأطباء والمستخدمين ورواتبهم ، والنظر في حاجات البيمارستان من أدوية ومعدات وأطباء ، وموظفين مثل

الكتّاب والخزنة والمشرفين على الأعمال ، والطباخين ، والخدم والفراشين وغيرهم .

كذلك من سلطات الناظر أن يراقب اصلاح وترميم أبنية ومنشآت البيمارستان ، وما تحتاجه من أثاث كأسرة ، وملاحف ، ومخدات ، ومراوح خوص وزيت وقود ، وأدوية ، وأطعمة ، ومعدات ، ولوازم لتكفين من يموت في البيمارستان طبقاً للشريعة الإسلامية .

علاوة على ذلك فالناظر له الحق بمراقبة مقبوضات ومصروفات المستشفى ، وتثمير ريع أوقافه ، وملاحظة أحوال من فيه ، ملاحظة تذهب عنهم البأس ، والمحافظة على الأثاث والمؤن ، والأدوية وصرفها لمن يستحقها بدون إجحاف ، والإشراف على نظام وإدارة البيمارستان في كل أموره ، كالصرف على من يقوم بمصالح المرضى من الأطباء .

وكذلك الصرف على صانعي الأدوية ، والفراشين ، رجالاً ونساء ، والقومة ، والخزّان في المخازن والمباشرين ، وعلى من يقوم بإطعام المرضى .

كذلك الصرف على ما تدعو حاجة المرضى إليه من مشموم في كل يوم ، وزبادي ، وأقداح زجاج وأباريق فخار خاصة لكل مريض دون أن يستعملها سواه ، وكذلك مراوح خوص لاستعمالها في الحر ، ومكبات خوص لتغطية غذاء كل مريض عند صرفها إليه .

ويباشر الناظر ما يطبخ به للمرضى ، ويُنصّب من الأطباء على مختلف اختصاصاتهم بحسب ما تقتضيه حاجة المرضى ، وهو مخيّر في تقدير الجامكيات لهم .

ولأهمية وعظمة وظيفة الناظر فقد كان يُعيّن لاعتلاء منصبه وسط احتفالات ومراسم كبيرة ، فسلطته كانت كبيرة هامة حتى أن أعوانه كان يبلغ

عددهم في بعض الأحيان حوالي عشرين حاجبا .

وكان السلطان أو الخليفة يقوم بنفسه ليتفقد سير الأعمال في المستشفى وإدارتها فهاكم السلطان أحمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية الإسلامية في مصر وسورية (والتي حكمت من ٨٦٨ ـ ٩٠٤م) كان يقوم بنفسه متفقداً البيمارستان وأحوال المرضى حتى أنه كان يسأل المجانين عن أحوالهم بنفسه ، وبهذا الصدد فقد جاء في كتاب (تاريخ البيمارستانات في الإسلام) في وصف أحوال البيمارستان الأعلى ـ العتيق ـ الذي بناه السلطان أحمد بن طولون ما يلي :

(. . . بلغ ما أُنفق على المارستان ومستغله ستون ألف دينار ، فكان يركب بنفسه في كل يوم جمعة ، ويتفقد خزائن المارستان ، وما فيها من الأطباء ، وينظر إلى المرضى ، وسائر المعلولين ، والمحبوسين من المجانين . دخل مرة حتى وقف عند المجانين فناداه واحد منهم مغلول : (أيها الأمير اسمع كلامي ، ما أنا بمجنون ، وإنما عملت عليَّ حيلة ، وفي نفسي شهوة رمّانة عريشيّة أكبر ما يكون) فأمر له بها من ساعته ، ففرح بها وهزّها في يده ورازها ثم غافل أحمد بن طولون في صدره فنضحت على ثيابه ، ولو تمكنت منه لأتت على صدره ، فأمرهم أن يحتفظوا به . . .) .

ويقول الدكتور مصطفى السباعي في كتابه[1] : (. . . . ولكل مستشفى مفتشون على النظافة ، ومراقبون للقيود المالية ، وكثيراً ما كان للخليفة أو الأمير يتفقد بنفسه المرضى ويشرف على حسن معاملتهم . . . . .) .

وكان المسؤولون حريصين على إدارة شؤون المستشفيات فيختارون أُناساً

---

(١) من روائع حضارتنا ـ ص ١٤٣ .

قديرين على إدارتها ، ليتولوا النظر في شؤونها . وكان منهم الأمراء يذهبون ليتفقدوا أحوال المرضى والمستشفيات . وبهذا الصدد يقول الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه (تاريخ البيمارستانات[1] في الإسلام) ما يلي :

(وقال الفيومي : (كان الأمير الكبير جمال الدين آقوش الأشرفي في أثناء توليته نظر البيمارستان المنصوري ، يحسن إلى المرضى ، ويتفقد أحوالهم في الليل ويتنكر ويدخل إليهم قبل الفجر ويسأل الضعفاء عن سائر أحوالهم حتى عن الفرّاش والطبيب . ويدخل إلى مارستان المجانين ويباشر أحوالهم بنفسه ويتحدث معهم ولا يغفل عن مصلحة تتعلق بمباشرته) .

ويستطرد ويقول المصدر[2] السابق عن البيمارستان المنصوري : (. . . وقد رتب على ذلك كله من الأطباء الماهرين والشهود المبرزين والنظار العارفين والخدام والمتصرفين وكل من هو في معالجته موثوق بعدالته ، مسلَّم له في معرفته غير مقصر في تصرفه وخدمته . . .) . وكان لكل ريع وقف مكانه الخاص به للإنفاق ولا يحيد عنه . ويصرف على ما خصص له .

وبهذا الصدد يستطرد ويقول المصدر[3] السابق : (. . . وفي يوم الخميس ١١ ربيع الأول سنة ٧٤٣ وقعت منازعة بين الأمير جنكلي بن البابا ، وبين الضياء المحتسب بسبب وقف الملك المنصور على القبة المنصورية ، فإنه أراد اضافته إلى البيمارستان وصرف متحصله في مصارف المارستان فلم يوافقه الضياء ، وأحتج بأن لهذا مصرفاً عينه واقفه لقراء وخدّام ووافقه القضاة على ذلك ، وفي المحرم من سنة ٤٤٧ خلع على الأمير أرغون العلائي واستقر في نظر البيمارستان المنصوري عوضاً عن الأمير جنكلي بن البابا . . .) .

---

(١) ص ٩٥ .

(٢) ص ٩٦ .

(٣) ص ٩٧ تاريخ البيمارستانات في الاسلام .

وكان من شروط الناظر وصفاته أن يكون وفياً أميناً عالماً بالحساب وعارفاً الكتابة والقراءة ومخلصاً في عمله ، مسؤولاً عن أحوال المرضى وما يحتاجونه من أثاث وفرش وملابس ، وكذلك كان مسؤولاً عن تفقد أحوال المستشفى من الناحية العمرانية وعمارته وتصليحه . وكان الأمير أو السلطان يتفقد المرضى والمستشفى بنفسه وإليكم ما يقول الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه (تاريخ[1] البيمارستانات) عن البيمارستان المنصوري بهذا الصدد :

(. . . فنزل إليه الأمير صرغتمش فدار فيه على المرضى فساءه ما رأى من ضياعهم وقلة العناية بهم ، فأستدعى القاضي ضياء الدين يوسف بن أبي بكر محمد بنِ خطيب بيت الأبار الشامي وعرض عليه التحدث في المارستان كما كان عوضاً عن ابن الأطروس . . . فما زال به حتى أجاب وركب إلى أوقاف المارستان بالمهندسين لكشف ما يحتاج إليه من العمارة ، فكتب تقدير المصروفات ثلاثمائة ألف درهم ومنع من يتعرض لهم وأنصلحت أحوال المرضى أيضاً . . .)

وكان للبيمارستان عادة كتّاب وقف ودفاتر يسجل فيها كل كبيرة وصغيرة من مصاريف ونفقات وأعمال ادارية ومالية وغير ذلك من أعمال . وكانت تحفظ تلك الوقفيات في خزائن خاصة لها . وكان لكل بيمارستان وقف كافٍ للصرف عليه .

فمثلاً كان وقف البيمارستان المنصوري يشتمل على وقفيات عديدة منها وقف الملك المنصور قلاوون ، ووقف ولده الملك الناصر محمد بن قلاوون ووقف ابن الناصر أبي الفداء إسماعيل ، وغير ذلك من وقفيات . . . ومن ريع تلك الوقفيات كانت تسد مصاريف البيمارستان حتى قيل ، كما جاء في

---

(١) ص ٩٩ .

كتاب تاريخ البيمارستانات[1] في الإسلام : (... ويُقال إن كل مريض كانت نفقاته في كل يوم ديناراً ، وكان له شخصان يقومان بخدمته) . وهذا ما كان يحدث في البيمارستان المنصوري بالقاهرة .

وقيل[2] أيضاً : (وكان يعطى لكل مريض حين خروجه من المارستان خمس قطع من الذهب حتى لا يضطر إلى الالتجاء إلى العمل الشاق في الحال) .

وكان الناظر على المستشفى له مركزه الهام ومكانته العظمى ووظيفته من الوظائف المهمة الكبيرة وبهذا الصدد يقول الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه[3] : (... وقد كان للبيمارستان الكبير النوري من المكانة بحيث كان النظر عليه لنائب السلطنة بدمشق .

قال القلقشندي : ومن الوظائف الديوانية الكبيرة بدمشق نظر البيمارستان الكبير النوري وقد صار معروفاً بالنائب (أي نائب السلطنة) يفوض التحدث فيه إلى من يختاره من أرباب الأقلام وكذلك يكون معه نظر الجامع الأموي بدمشق .) .

ويستطرد ويقول المصدر[4] السابق : (... ولبيان حال هذا المارستان في العصور المتأخرة وما كان عليه من الأهمية والمكانة ننقل هنا ما ذكره المحبي بصدده قال : (إن حسن باشا بن عبدالله الأمين المعروف بشوريزه حسن أحد صدور دمشق وأعيانها المتوفى سنة ١٠٢٧ هـ وُلي وقف البيمارستان الكبير النوري ...) .

---

(١) ص ١٠٢ .
(٢) المصدر السابق ص ١٠٢ .
(٣) تاريخ البيمارستانات في الاسلام ص ٢١٢ .
(٤) ص ٢١٢ .

ناظر الوقف

علاوة عن ناظر البيمارستان كان يوجد للبيمارستان ناظر الوقف ، الذي يلي ناظر البيمارستان في المرتبة .

وقد كانت وظيفة ناظر الوقف ، إدارة أوقاف المستشفى الكثيرة ، ويشرف عليها ويؤجرها بدون إجحاف أو مغالاة مراعياً بذلك تعاليم الشريعة الإسلامية ، ومحصلاً ما تدر من ريع حيثما كانت وفي كل وقت .

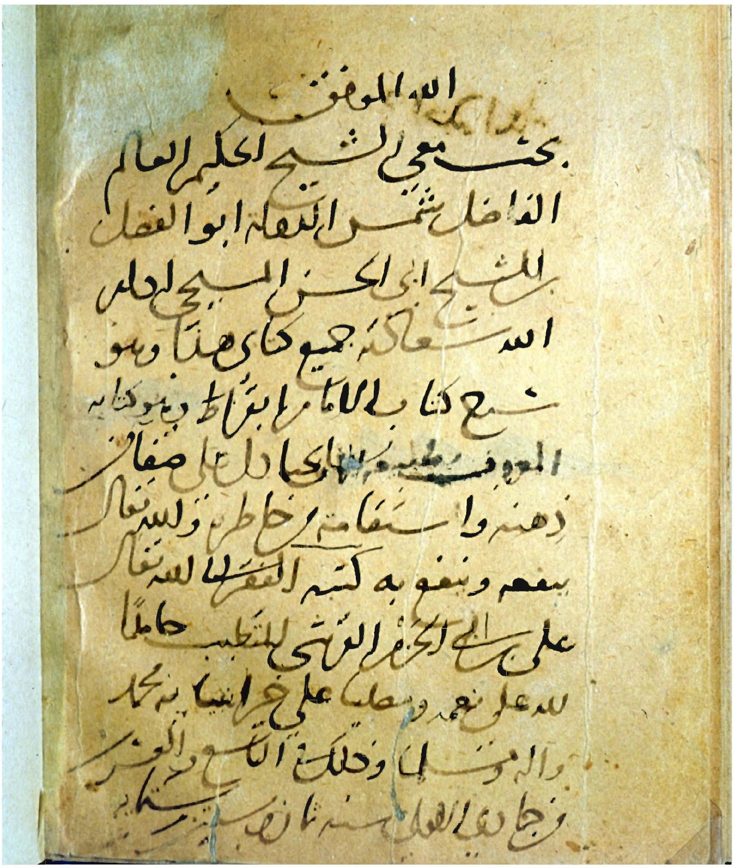
وبهذا الصدد فقد جاء في ديباجة وقفية السلطان الملك المنصور قلاوون التي تختص بمستشفاه المنصوري في القاهرة كما ذكر ذلك الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه[1] : (. . . إن الناظر في هذا الوقف والمتولي عليه يؤجر العقار من هذا الوقف المذكور وما شاء منه بنفسه أو بنائبه مدة ثلاث سنين فما دونها بأجرة المثل فما فوقها ، ويؤجر الأراضي مدة ثلاث سنين فما دونها بأجرة المثل فما فوقها ، ولا يدخل عقداً على عقد ولا يؤجره لمتشرد ولا لمتعزز ولا لمن تخشى سطوته ، ولا لمن ينسى الوقف في يده ، ويبدأ من ذلك بعمارة ما يجب عمارته في الوقف والبيمارستان المذكور ذلك فيه من إصلاح وترميم ، أو بناء هديم ، على وجه لا ضرر فيه ولا ضرار ، ولا إجحاف بأحد في جد ولا إصرار ويتخيّر الناظر في تحصيل هذا الوقف وحسن الحال على حسب الإمكان ، ويطلب ذلك حيث كان في كل جهة ومكان ، بحيث لا يُفرَّط ولا يُفرِّطْ ولا يخرج في سلوكه عن السنين المتوسطة ، ولا يهمل حقاً معيناً ، ولا

---

(١) تاريخ البيمارستانات في الاسلام ص ١٤٠ .

يغفل عن أمر يكون صلاحه بيّناً لتكون هذه الصدقة طيبة مقبولة ، وهذا السعي يرجو مولانا السلطان الملك المنصور ـ خلد الله ملكه ـ به من ربه قبوله .

ولا يولي الناظر في هذا الوقف يهودياً ولا نصرانياً ولا يمكنه من مباشرة شيء من هذا الوقف بل يكون المتولي مسلماً ظاهر الأمانة ، عارفاً بأنواع الكتابة ، كافياً فيما يتولاه ، موصوفاً بدينه ودرايته وخبرته ويصرف الناظر من ريع هذا الوقف ثمن ما تدعو حاجة المرضى إليه .


الله الموفق
بحث معي الشيخ الحكيم العالم
الفاضل شمس الدولة أبو الفضل
ابن الشيخ أبي الحسن المسيحي أدام
الله سعادته جميع كتاب [illegible] وهو
شرح كتاب الإمام أبقراط [illegible]
المعروف [illegible] دل على صفاء
ذهنه واستقامة خاطره والله تعالى
ينفعه وينفع به كتبه الفقير إلى الله تعالى
علي [illegible] القرشي المتطبب حامداً
لله على نعمه ومصلياً على خير أنبيائه محمد
وآله ومسلماً وذلك في التاسع والعشرين
من جمادى الأولى سنة [illegible]

وثيقه يجيز فيها إبن ألنفيس طالب ألطب ألنصراني شمس ألدوله

المُحْتَسِب ونظام الحِسْبَة

الحِسْبَة وظيفة جليلة رفيعة الشأن تشبه إلى حد كبير ما نعرفه اليوم بالتفتيش والمراقبة على الأطباء والصيادلة .

وهي من الوظائف الدينية المشهورة الكبيرة ولعظمتها فقد كان يُقرأ سِجلُّ المُحتَسِب على المنبر عندما كان يُعيّن في منصبه .

والمُحَتَسِبُ كما قال النحاس[1] : (وحقيقة المُحَتَسِبُ في اللغة المجتهد في كفاية المسلمين ومنفعتهم ، إذ حقيقة افتعل عند الخليل وسيبويه بمعنى اجتهد . . .) .

لقد كان المحتسب يراقب مراقبة مشددة ودقيقة الأطباء ، والصيادلة ، والموظفين والممرضين والخدم . وكذلك يراقب أحوال المرضى وما يشتكون منه ، وما يحتاجون إليه من طعام وأدوية وغير ذلك . . .

وكان المحتسب من وجوه العدول وأعيانهم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويأخذ على يد من يخرج عن الطريق المستقيم والصلاح في مهنته ، وصناعته ومعيشته .

---

(١) نقلاً عن كتاب تاريخ البيمارستانات في الاسلام تأليف الدكتور أحمد عيسى بك ص ٥١ .

وكان للمحتسب أعوان يساعدونه لمراقبة المصالح العامة كي تسير الأمور على ما يرام في طريقها الصحيح طبقاً لحدود وتعليمات الشريعة الإسلامية .

وقد كان من صفات المحتسب كما يقول ابن خلدون[١] : (. . . يجب أن يكون المُحتسب ، رجلًا ، عفيفاً ، ورعاً ، عالماً ، غنياً ، نبيلًا ، عارفاً بالأمور ، محنكاً ، فطناً ، لا يميل ، ولا يرتشي فتسقط هيبته ويستخف به ولا يعبأ به . . . ولا يستعمل في ذلك خساس الناس ، ولا من يريد أن يأكل أموال الناس بالباطل والمهونة لأنه لا يهاب إلا من كان له مال وحسب .) .

ويقول المصدر السابق[٢] : (من خصائص النظم الاجتماعية في القرون الوسطى مراقبة المصالح العامة للتأكد من أنها تسير طبقاً للمبادىء كما جاءت في القرآن ، وفسرتها الشريعة ، وهذه المراقبة كانت تسمى الحسبة ، وهي وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بما فرض على من ولي أمور المسلمين ، فكان يجب عليه أن يعين لذلك محتسباً يراه أهلًا للقيام بهذه الوظيفة . وعلى المحتسب أن يتخذ الأعوان لمراقبة ما يجري من المنكرات وتعزيز الناس وتأديبهم وحملهم على التمسك بأهداب الشريعة وتجنب كل ما من شأنه أن يضر بمصلحة الجمهور . وليس للمحتسب إمضاء الحكم في الدعاوي مطلقاً ، بل فيما يتعلق بالغش والتدليس في المعايش وغيرها . . . وله أيضاً حمل المماطلين على الإنصاف وأمثال ذلك مما ليس فيه سماع بينه ولا إنفاذ حكم . . .)[٣]

---

(١) نقلًا عن كتاب الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب باشراف الدكتور محمد كامل حسين ص ٢١٧ .

(٢) ص ٢١٦ .

(٣) ابن خلدون ـ المقدمة ـ ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧ .

وقد كانت من وظائف المحتسب أيضاً أن يأخذ على الأطباء ، القَسَمَ الطبي المعروف بعهد أو قسم أبقراط ، الذي يدعوهم بألا يركبوا سماً لأحد ، أو دواء يسقط الأجنة للنساء ، ويقطع النسل للرجال ، وأن يغضوا الطرف عن المحارم عند دخولهم للمرضى ولا يفشوا أسرار من يعالجونه) .

كذلك كان المحتسب يقوم بالتفتيش على الأطباء دورياً ليطمئن على استيفاء جميع شروط ما تتطلبه مزاولة مهنة الطب من معدات وآلات وغير ذلك .



رسم قديم يصور ألمحتسب

الساعور

لقد كانت إدارة الأمور الفنية التي تتعلق في المعالجة والمداواة في البيمارستان منوطة إلى رئيس الأطباء الذي كان يسمى (الساعور) أي متفقد المرضى .

وكلمة الساعور كلمة سريانية تعني بالعربية متفقد المرضى .

وكان للساعور ، معاونون يساعدونه في عمله وهم رؤساء الأقسام الطبية في البيمارستان مثل رئيس الكحالين - أطباء العيون - أو رئيس الجرائحيين(الجراحون) أو الباطنيين أو الأسنانيين أو المتخصصين بأمراض النساء ، أو الصيادلة أو رئيس الممرضين أو الممرضات - الآسيات - .

مما تقدم نرى أن البيمارستانات الإسلامية كانت تسير بنظام وترتيب محكمين دقيقين . فقد كان هنالك ناظر البيمارستان ، وناظر الوقف والمُحتسب ، والساعور . وبواسطة هؤلاء كانت أحوال البيمارستانات وما يجري فيها منضبطة على ما يرام .



أوقاف البيمارستان

لقد حرص الذين أنشأوا البيمارستانات أشد الحرص على أن يكون لها موارد ثابتة ، ينفق من ريعها عليها ، حتى يضمنوا لها المال اللازم والسيولة الكافية على مرِّ الزمن .

وكانت تلك الأملاك والأعيان التي أصبحت وقفاً على البيمارستانات ، كثيرة ، ومختلفة المصادر ، فمنها الأراضي ، والأطيان ، والدور ، والأسواق ، والحمامات ، والمزارع ، والحوانيت وغير ذلك . . . إلخ .

وعلى سبيل المثال لا الحصر إليكم ما يقوله الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه[1] عن الأوقاف والأعيان التي حبست على البيمارستان الأعلى الذي شيده : (. . . البيمارستان الأعلى أنشأه أحمد بن طولون سنة ٢٥٩ هـ /٨٧٢ م وقيل ٢٦١ هـ . وذكر أن مبلغ ما أُنفق عليه وعلى مستغله ستون ألف دينار ، وحبس عليه سوق الرقيق وغيره . . .) .

ويستطرد ويقول المصدر السابق[1] : (. . . بنى أحمد بن طولون البيمارستان ، ولما فرغ منه حبس عليه دار الديوان ، ودوره في الأساكفة والقيسارية وسوق الرقيق . . . وعمل حمامين للمارستان أحدهما للرجال والآخر للنساء ، حبسهما على المارستان . . . وفي سنة ٢٦٢ هـ / ٨٧٥ م كان ما حبسه على المارستان والعين والمسجد في الجبل الذي يسمى تَنّور فرعون أعياناً كثيرة وكان بلغ ما أنفق على المارستان ومستغله ستين ألف دينار . فكان

---

(١) تاريخ البيمارستانات في الاسلام ص ٦٧ .

(٢) ص ٦٩ ـ ٧٠ .

يركب بنفسه في كل يوم جمعة ويتفقد خزائن المارستان وما فيها والأطباء وينظر إلى المرضى وسائر المعلولين والمحبوسين من المجانين . . .) .

أما ما كان وقفاً على المارستان الأسفل أو ما يسمى بيمارستان كافور الأخشيدي بالفسطاط فيقول عنه المصدر السابق(١) : (إن الأخشيد أمير مصر حبس جميع ما بناه من قيسارية ، ودور ، وحوانيت على المارستان الأسفل والميضأتين ، والسقايتين وأكفان الموتى . . .) .

أما ما أوقف على البيمارستان النوري في حلب أو ما يسمى البيمارستان العتيق الذي أنشأه نور الدين محمود بن زنكي ، يقول الدكتور أحمد عيسى(٢) بك في كتابه بهذا الصدد : (البيمارستان النوري بحلب . . . ووقفت عليه قرية معراتا ونصف مزرعة وادي العسل من جبل سمعان وخمسة أفدنة من مزرعة كفرتابا وثلث مزرعة الخالدي وطاحوناً من المطخ وثُمْن طاحون ظاهر باب الجنان وثمانية أفدنة من مزرعة أبو مرايا من غراز ، وخمسة أفدنة من مزرعة الحميرة من المطخ واثني عشر فداناً من مزرعة الغرزل من المعرّة وثلث قرية راعيل من العزبيات وعشرة دكاكين بسوق الهواء وهو الآن معروف بسوق الجمرك منها ثلاثة تمام ، والباقي شركة الجامع الكبير وأحكار ظاهر باب أنطاكية وباب الفرج وباب الجنان . . . .) .

أما بيمارستان زَرَنْج الموجود في ايران في مدينة زرنج في سجستان فيقول عن وقفه الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه(٣) ما يلي (بيمارستان زَرَنْج : ذكر الإصطخري أن عمرو بن الليث الصقّال بنى بزَرَنْج سوق عمرو ووقفه على المسجد الجامع والبيمارستان والمسجد الحرام وغلة هذا السوق في كل يوم

---

(١) تاريخ البيمارستانات في الاسلام ص ٧٤ .

(٢) تاريخ البيمارستانات في الاسلام ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥ .

(٣) تاريخ البيمارستانات في الاسلام ص ٢٦٨ .

نحو ألف درهم . . .) .

أما عن وقف المدرسة الشفائية بسيواس في الأناضول فيقول عنه المصدر[1] السابق ما يلي : (المدرسة الشفائية بسيواس بناها كَيْكاوُس بن كَيْخُسْرَو السلجوقي . . . وكتاب الوقف محفوظ بدار الأوقاف . . . ووقف الواقف المذكور . . . الضياع الخمس والحوانيت المائة والثمانية والأشقاص السبعة ، والمبقلة والرحى والهري والإسطبل المذكورة المحدودة الموصوفة بهذا الذكر بجميع حدودها وحقوقها ومرافقها وتخومها ورسومها كلها أرضها وبنائها . . . على (دار الشفاء) ومأوى المرضى والاعلاء . . .) .

وعن وقفية السلطان قلاوون على البيمارستان المنصوري فيقول الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه (تاريخ البيمارستانات في الإسلام[2]) : (من الوثائق التاريخية الثمينة التي قلّ أن يجود الزمان بمثلها لطول العهد واضطراب الأحوال وتغير الدول الوقفية التي أوقفها السلطان الملك المنصور قلاوون على تربته وبيمارستانه ومدرسته . . . وقد تفضل الاستاذ المرحوم أحمد زكي باشا فأعارنيها ضمن ما أعارني من نفائس خزانته . . .

وهذه الوقفية هي أربع وقفيات معاً ، الثلاث الأوليات منها تمت في عهد قلاوون نفسه في ثلاث سنين متتالية وهي سنوات ٦٨٤ و٦٨٥ و٦٨٦ والرابعة عملت في عهد الأمير عبد الرحمن كتخدا من أمراء المماليك الذين حكموا مصر في العهد العثماني وذلك في سنة ١١٩٠ هـ . . . .) .

وقد كانت الوقفية تنص على شروط خاصة تحتوي على أمور هامة انسانية وإدارية تتعلق بالبيمارستان وإدارته والغرض من إنشائه ، وذلك

---

(١) ص ٢٧١ .

(٢) ص ١٣١ .

إحتساباً لوجه الله لمساعدة الناس في علاجهم ولإكتساب الثواب والحسنات ورضاء الله من عمل المعروف والصدقة على الفقراء والمساكين ، وإدخال السرور عليهم ، ومداواتهم وإزالة آلامهم سواء كانوا فقراء أو أغنياء ذكوراً أو إناثاً .

وكذلك نصت الوقفية على الأراضي والأماكن الموقوفة على البيمارستان وذلك للانفاق على ما يتطلبه من جميع النواحي والمواد والموظفين ، وأدوية كأكحال وأشربة معدة للسبيل وغير ذلك مما يشفي المرضى . وإحضار أطباء أكفاء للبيمارستان .

والوقفية أيضاً فيها تحديد مكان وأوصاف البيمارستان .

وأما صلاحية الناظر والمتولي عليه فقد حددتها الوقفية كما جاء في كتاب تاريخ البيمارستانات[1] في الإسلام كما يلي : (.... الناظر في هذا الوقف ، والمتولي عليه يؤجّر العقار من هذا الوقف المذكور وما شاء منه بنفسه أو بنائبه مدة ثلاث سنين ، فما دونها بأجرة المثل فما فوقها ويؤجر الأراضي مدة ثلاث سنين فما دونها بأجرة المثل فما فوقها . ولا يدخل عقداً على عقد ولا يؤجره لمتشرد ولا لمتعزز ولا لمن تخشى سطوته ، ولا لمن ينسى الوقف في يده ، ويبدأ من ذلك بعمارة ما يجب عمارته في الوقف والبيمارستان المذكور ذلك فيه من إصلاح وترميم ، أو بناء هديم ، على وجه لا ضرر فيه ولا ضرار ، ولا إجحاف بأحد في جد ولا إصرار ، ويتخيّر الناظر في تحصيل ريع هذا الوقف وحسن الحال على حسب الإمكان ويطلب ذلك ، حيث كان في كل جهة ومكان ، بحيث لا يُفْرط ولا يُفَرِّطْ ولا يخرج في سلوكه عن السنين المتوسطة ، ولا يهمل حقاً معيناً ، ولا يغفل عن أمر يكون صلاحه بيّناً ،

---

(١) ص ١٤٠ ـ ١٤٧ .

لتكون هذه الصدقة طيبة مقبولة ، وهذا السعي يرجو مولانا السلطان الملك المنصور ـ خلد الله ملكه ـ به من ربه القبول . . . . .) .

(ثم ما فضل بعد ذلك صرف منه الناظر ما يرى صرفه لمن يتولى إنجاز ذلك ، وإستخراج أجرته وعمارته وصرف ريعه في وجوهه المشترطة فيه وتفرقة أشربته وأدويته من شدّ ، وناظر ومشارف ومشاهد وكاتب وخازن ، ويصرف لكل منهم من ريع هذا الوقف ، أجرة مثله عن تصرفه في ذلك وفعله ، ولا يولي الناظر في هذا الوقف يهودياً ولا نصرانياً ، ولا يمكنه من مباشرة شيء من هذا الوقف بل يكون المتولي مسلماً ظاهر الأمانة ، عارفاً بأنواع الكتابة ، كافياً فيما يتولاه موصوفاً بدينه ودرايته وخبرته ، ويصرف الناظر من ريع هذا الوقف ثمن ما تدعو حاجة المرضى إليه ، من سرر حديد أو خشب على ما يراه مصلحته ولحف محشوة قطناً وطراريح محشوة بالقطن أيضاً ، وملاحف قطن ومخاد طرح أو أدم محشوة على ما يراه ، ويؤدي إليه إجتهاده وهو مخير بين أن يفصل كل نوع من ذلك ويصرف أجرة خياطته وعمله وثمن حشوه ، وبين أن يشتري ذلك معمولاً مكملاً فيجعل لكل مريض من الفرش والسرر على حسب حاله ، وما يقتضيه مرضه عاملاً في حق كل منهم بتقوى الله وطاعته باذلاً جهده وغاية نصيحته ، فهم رعيته وكل مسؤول عن رعيته .

ويصرف الناس في هذا الوقف ثمن سكر يصنعه أشربة مختلفة الأنواع ، ومعاجين وثمن ما يحتاج إليه لأجل ذلك من الفواكه ، والخماير ، رسم الأشربة ، وثمن ما يحتاج إليه من أصناف الأدوية والمعاجين والعقاقير والمراهم والأكحال والشيافات والذرورات والأدهان والسفوفات والترياقات والأقراص . وغير ذلك يصنع كل صنف في وقته وأوانه ويدخره تحت يده في أوعية معدة له ، فإذا فرغ استعمل مثله من ريع هذا الوقف ، ولا يصرف من ذلك لأحد شيئاً إلا بقدر حاجته إليه ، ولا يزيده عليها ، وذلك بحسب الزمان وما تدعو الحاجة إليه . . . . ويقدم في ذلك الأحوج فالأحوج من

المرضى والمحتاجين والضعفاء والمنقطعين والفقراء والمساكين . ويصرف الناظر من ريع هذا الوقف ما تدعو حاجة المرضى إليه من مشموم في كل يوم ،وزبادي فخار برسم أغذيتهم وأقداح زجاج وغرار برسم أشربتهم وكيزان وأباريق فخار وقصارى فخار ، وزيت للوقود عليهم ، وبماء من بحر النيل المبارك برسم شربهم وأغذيتهم . . . وفي ثمن مراوح خوص لأجل استعمالهم إياها في الحر ، ويصرف الناظر ثمن ذلك من ريع هذا الوقف في غير إسراف ولا إجحاف ولا زيادة على ما يحتاج إليه ، كل ذلك بحسب ما تدعو الحاجة لزيادة الأجر والثواب .

ويصرف الناظر في هذا الوقف لرجلين مسلمين موصوفين بالديانة والأمانة يكون أحدهما خازناً لمخزن حاصل التفرقة ، يتولى تفرقة الأشربة والأكحال والأعشاب ، والمعاجين والأدهان ، والشيافات ، المأذون له في صرف ذلك من المباشرين ، ويكون الآخر أميناً ، يتسلم صبيحة كل يوم وعشيته أقداح الشراب المختصة بالمرضى والمختلين من الرجال والنساء المقيمين بهذا المارستان ، ويفرق ذلك عليهم ، ويباشر شرب كل منهم لما وصف له من ذلك .

ويباشر المطبخ بهذا المارستان وما يطبخ به للمرضى من مزاور ودجاج وفراريج ولحم وغير ذلك . . . ويصرف الناظر من ريع هذا الوقف لمن ينصبه بهذا المارستان من الأطباء المسلمين الطبائعيين والكحالين والجرائحيين بحسب ما يقتضيه الزمان وحاجة المرضى وهو مخير في العدة ، وتقرير الجامكيات ، ما لم يكن في ذلك حيف ولا شطط . . . . ويصرف الناظر من ريع هذا الوقف للقومة والفراشين ، الرجال والنساء بهذا البيمارستان ما يرى صرفه إلى كل بحسب عمله على أن كلا منهم يقوم بخدمة المرضى والمختلين الرجال والنساء بهذا البيمارستان ويغسل ثيابهم وتنظيف أماكنهم وإصلاح شؤونهم والقيام بمصالحهم على ما يراه من العدة والتقرير بحيث لا يزيد في العدة ولا في

المقادير على الحاجة إليه . . . ويصرف الناظر ما تدعو الحاجة إليه في تكفين من يموت بهذا المارستان . . . وعلى الناظر . . . أن يراعي تقوى الله سبحانه وتعالى . . . ولا يقدم صاحب جاه على ضعيف ولا قوياً على ما هو أضعف منه ولا متأهلاً على غريب بل يقدم في الصرف إليه . . .) .

ويقول الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه[1] : (عن البيمارستان الناصري في القاهرة) ما يلي : (. . . قال القاضي الفاضل في متجددات سنة ٥٧٧ هـ (١١٨١ م) : (أمر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بفتح مارستان للمرضى والضعفاء فأختير مكاناً بالقصر ، وأفرد برسم من جملة الرباع الديوانية مبلغها مائتا دينار وغلّات جهتها الفيوم واستخدم له أطباء وكحّالين وجرائحيين وشارفاً وعاملاً وخدّاماً ووجد الناس به رفقاً وبه نفعاً) .

وقد كان للبيمارستان المنصوري (مارستان قلاوون) بالقاهرة وقف كافٍ لينفق عليه من ريع ذلك فيقول المصدر[2] السابق : (. . . وجاء في الخطط : إنه كان للبيمارستان وقف كافٍ للصرف عليه وكانت له عدا ذلك مصادر أخرى متعددة للإيراد مثل : الترياق المعمول به في القاهرة فقد كان محتكراً له ومخصصاً إيراده للصرف على البيمارستان . . . .) .

ويقول المصدر[3] السابق ما يلي : (. . . وقف الملك المنصور من الأملاك بديار مصر القياس والرباع والحوانيت والحمامات والأحكار وغير ذلك ، والضياع بالشام ما يقارب ألف ألف درهم في كل سنة ، ورتب مصارف المارستان والقبة والمدرسة ومكتب الأيتام ووكل الأمير عز الدين أيبك

---

(١) تاريخ البيمارستانات الاسلامية ـ مطبوعات جمعية التمدن الاسلامي بدمشق ص ٧٧ .
(٢) ص ١٠٧ .
(٣) تاريخ البيمارستانات في الاسلام ص ٨٥ .

الأقرم الصالحي أمير جندار في وقف ما عينه من المواضع وترتيب أرباب الوظائف وغيرهم ، وجعل النظر لنفسه أيام حياته ثم من بعده لأولاده ، ثم من بعدهم لحاكم المسلمين الشافعي فضمن وقفه كتاباً تاريخه يوم الثلاثاء ثالث عشر شهر صفر سنة ٦٨٠ هـ (١٢٨١ م) ٤ يونيه . ولما تكامل ذلك ركب السلطان وشاهده وجلس بالبيمارستان ومعه الأمراء والقضاة والعلماء ، وأخبر بعض من شهد السلطان وشهد عليه أنه استدعى قدحاً من الشراب فشربه . وقال : قد وقفت هذا على مثلي فمن دوني وأوقفه السلطان على الملك والمملوك والكبير والصغير والحرّ والعبد والذكر والأنثى ، وجعل لمن يخرج منه من المرضى عند برئه كسوة ، ومن مات جهزه ، وكفن ودُفن . . . .) .

من ذلك نرى أن النظر في إدارة المستشفى الإدارية لإدارة الأموال والأوقاف كانت منوطة للسلاطين وأرباب المراتب العالية فهاكم الملك المنصور قلاوون تولى نظارة بيمارستانه بنفسه في حياته ومن بعده لأولاده فالنظارة في البيمارستانات كانت من الوظائف المهمة العالية ، وبهذا الصدد فقد جاء في كتاب (الموجز في تاريخ الطب[1] والصيدلة عند العرب) ما يلي :

(وكان للبيمارستان عادة (ناظر) يشرف على إدارة الأموال والأوقاف المخصصة له ، وكانت النظارة من وظائف الدولة السامية وكان يتولاها أحياناً السلاطين بأنفسهم أو يولون عليها أحد أمراء الدولة ، وكان تعيين الناظر يتم وسط مظاهر حافلة وكانت ادارة أقسام البيمارستان يتولاها قائم (سمي أحياناً ساعور البيمارستان أي متفقد المرضى) .

ويستطرد ويقول المصدر[2] السابق عن ديباجة وقفية السلطان الملك

(١) ص ٢٢٨ ـ تأليف مجموعة من الاطباء بإشراف الدكتور محمد كامل حسين .

(٢) تاريخ البيمارستانات في الاسلام ص ١٣٤ .

المنصور قلاوون ما يلي : (هذا كتاب وقف صحيح شرعي ، وحبس صريح مرضي ، أمر بتسطيره وإنشائه وتحريره ، مولانا وسيدنا السلطان الأعظم السيد الأجل الملك المنصور . . . . وقف وحبس وسبَّل . . . . . . بجميع ما هو له . . . . وفي يده وملكه وتصرفه وهو جميع الرَبْع الكامل المعروف بالعلمي أرضاً وبناءً الذي هو بالقاهرة المحروسة بالقرب من قيسارية جهاركس . . . . إلخ . . . . . . فتقدم أمره الشريف العالي المنيف إلى ولي دولته . . . . أن يقف عنه . . . . . جميع ما هو جارٍ في ملك مولانا الملك المنصور . . . . جميع أراضي البستان . . . . الذي ذلك بظاهر القاهرة ، خارج باب الشعرية والفتوح غربي الجامع الظاهري . . . . . .) .

أما الدكتور مصطفى السباعي فيقول في كتابه[1] : (المستشفى المنصوري الكبير . . . . أوقف عليه ما يغل عليه ألف درهم في كل سنة . . . .) .

وكان الخلفاء والمسؤولون يهتمون بشؤون المستشفيات كل الإهتمام فعندما اختلت الميزانية المالية للمستشفى المعتضدي التي كان يديرها أبو سعيد سنان بن ثابت ابن قرة الذي كان صابئاً فأسلم في زمن الخليفة العباسي التاسع عشر القاهر ؛ هرع المسؤولون لدعم ميزانيته المالية وبهذا الصدد فقد ذكر الطبيب أبو الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة في التاريخ الذي عمله وذكر فيه الحوادث التي حدثت في زمانه وذلك من سنة ٢٩٥ هـ حتى حين وفاته وذلك سنة ٣٦٣ هـ . ذكر ثابت ابن سنان كما روي ذلك ابن أبي أصيبعة في كتابه[2] .

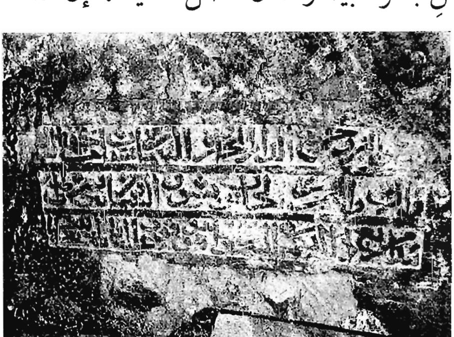
قال ثابت ابن سنان ، وكانت النفقة عن البيمارستان الذي لبدر

---

(١) من روائع حضارتنا ـ الطبعة الثانية ص (١٤٥) .

(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ـ شرح وتحقيق نزار رضا ـ طبعة ١٩٦٥ ـ ص ٣٠١ ـ ٣٠٢ .

المعتضدي بالمحرم من إرتفاع وقف سجاج أم المتوكل على الله ، وكان الوقف في يد أبي الصقر وهب بن محمد الكلوذاني ، وكان قسط من ارتفاع هذا الوقف يصرف لبني هاشم وقسط منه إلى نفقة البيمارستان ، وكان أبو الصقر يروّج على بني هاشم مالهم ، ويؤخر ما يصرف إلى نفقة البيمارستان ويضيقه فكتب والدي إلى أبي الحسن علي بن عيسى يشكو إليه هذه الحالة - وكان علي ابن عيسى هو الوزير المختص بالشؤون المالية للمستشفى - ويعرفه ما يلحق بالمرضى من الضرر بذلك وقصور ما يقام لهم من الفحم والمؤن والدثار وغير ذلك عن مقدار حاجتهم ، فوقع على ظهر رقعته إلى أبي الصقر توقيعاً نسخته : (أنت أكرمك الله ، تقف على ما ذكره وهو غلط جداً والكلام فيه معك خاصة فيما يقع منك يلزمك ، وما أحسبك تسلم من الإثم فيه . وقد حكيت . . . كيف تصرفت الأحوال في زيادة المال أو نقصانه ووفوره أو قصوره لا بد من تعديل الحال فيه ، بين أن تأخذ منه وتجعل للبيمارستان قسطاً ، بل هو أحق بالتقديم على غيره لضعف من يلجأ إليه وعظيم النفع به ، فعرفني أكرمك الله ، ما النكتة في قصور المال ونقصانه في تخلف نفقة البيمارستان هذه الشهور المتتابعة ، وفي هذا الوقت خاصة في الشتاء واشتداد البرد . فأحتل بكل حيلة لما يطلق لهم ويعجل حتى يدفأ من في البيمارستان من المرضى والممرورين بالدثار والكسوة والفحم ، ويقام لهم القوت ، ويتصل لهم العلاج والخدمة ، وأجبني بما يكون منك في ذلك . وأنفذ لي عملاً يدلني على حجتك . واعنِ بأمر البيمارستان فضل عناية ، إن شاء الله) .

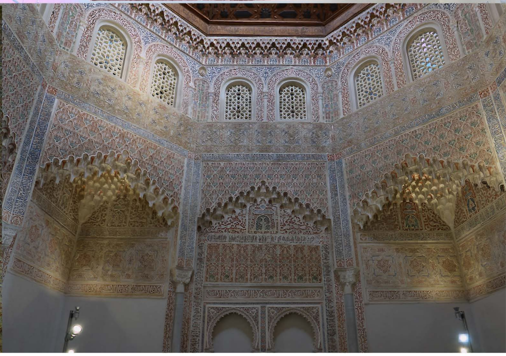


وقف بيمارستان حصن الأكراد











مدرسه غرناطه، بناها ألسلطان
يوسف ألأول ملك غرناطه عام
1349م. درّس فيها ألطب وهي
حاليا جزء من جامعه غرناطه

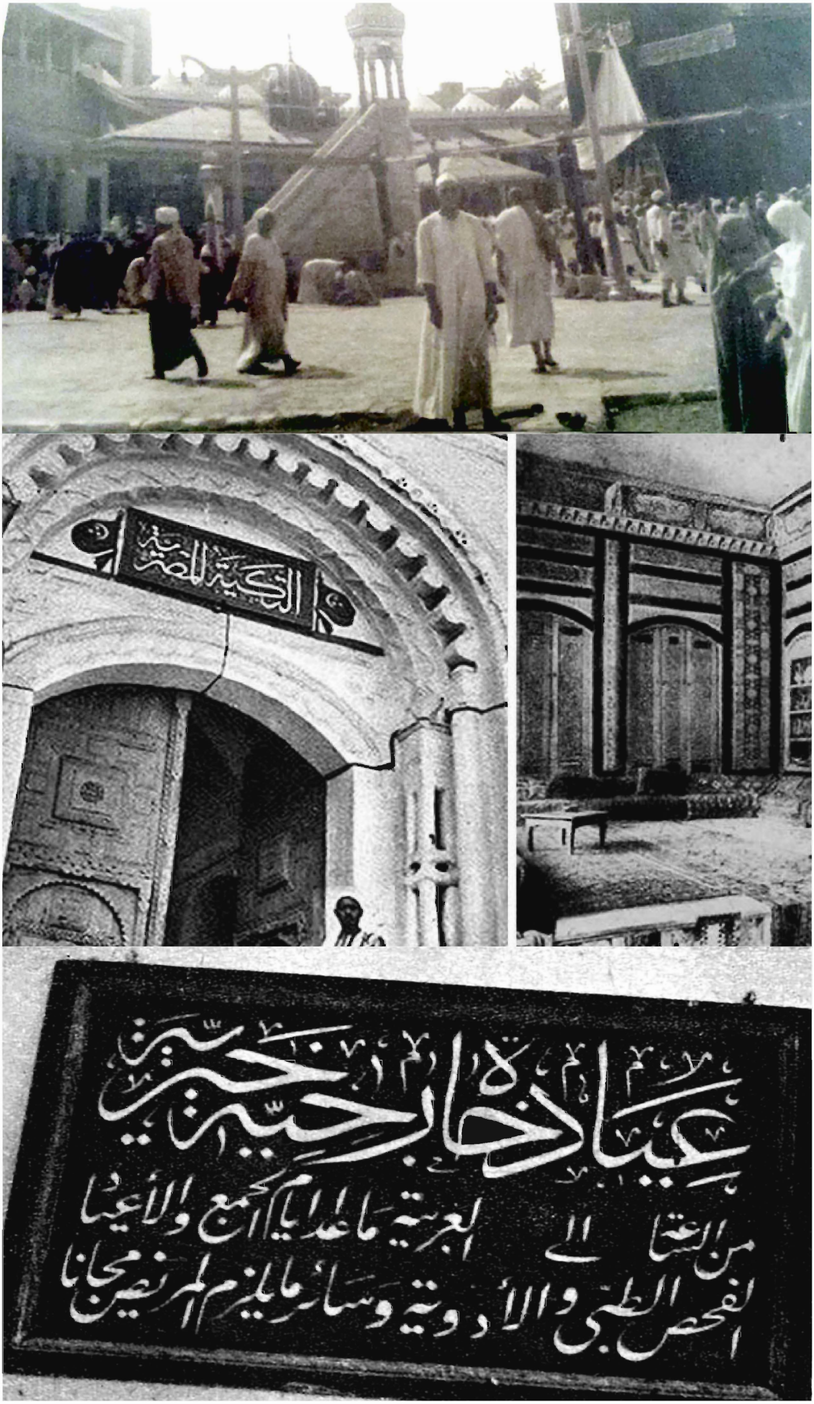
الفصل السابع

مستشفيات العصر النبوي والأموي

١ - المستشفى النبوي

٢ - بيمارستان الوليد بن عبد الملك

٣ - بيمارستان زقاق القناديل



ألتكيه ألمصريه في مكه ألمكرمه كانت تضم عياده مجانيه للحجاج

المستشفى النبوي
الحربي المتنقل

(إن نبينا وسيدنا محمد ﷺ هو أوّل من أمر بالمستشفى الحربي المتنقل . روى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت : أصيب سعد بن معاذ يوم الخندق فضرب رسول الله ﷺ خيمة في المسجد يعوده من قريب (كما ورد في الجزء الثاني من الدلالات السمعية) .

هذا ما قاله الاستاذ الدكتور محمد سعيد السيوطي في كتابه (معجزات[1] في الطب للنبي العربي محمد ﷺ) .

أما الموسوعة[2] العربية الميسرة فقد ذكرت : (رُفيدة امرأة عربية معاصرة للرسول ﷺ . . . . كانت تقوم على تمريض جرحى المسلمين ، فأعتبرت بذلك أول ممرضة للميدان في الاسلام .

والسيرة النبوية لابن هشام[3] ذكرت : (. . . وكان رسول الله ﷺ قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسْلَم (وقيل إنها أنصارية) يُقال لها

---

(١) الطبعة الثانية ـ مؤسسة الرسالة ـ ص ١١٩ .
(٢) الطبعة الثانية / ص ٨٧٣ .
(٣) الجزء الثالث / ص ٢٥٠ .

رُفَيدة ، في مسجده ، كانت تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها على خِدمة مَن كانت به ضيعة من المسلمين . وكان رسول الله ﷺ ، قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق : اجعلوه في خيمة رُفيدة حتى أعُوده من قريب) (به ضيعة : أي من كان عليلاً) .

أما كتاب (الإصابة في تمييز[1] الصحابة) تأليف ابن حَجَر العسقلاني فقد جاء فيه : (رفيدة الأنصارية أو الأسلمية . . . كانت امرأة تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كان به ضيعة من المسلمين . وقال البخاري في الأدب المفرد . . . لما أصيب أكحل سعد يوم الخندق فقيل حولوه عند امرأة يُقال لها رفيدة وكانت تداوي الجرحى وكان رسول الله ﷺ إذا مرّ به يقول : كيف أمسيت وإذا أصبح قال كيف أصبحت . . . .) .

لقد نشبت غزوة الخندق (الأحزاب) في شهر شوال سنة خمس للهجرة : (قال الزرقاني ، واختلف في تاريخها فقال موسى بن عقبة في مغازيه التي شهد مالك والشافعي بأنها أصحّ المغازي ، كانت سنة أربع ، قال الحافظ : وتابعه على ذلك الإمام مالك . . .)[2] .

أما كتاب نور اليقين[3] في سيرة خير المرسلين تأليف الأستاذ الشيخ محمد الخضري بك فقد جاء فيه : (. . . كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس من الهجرة نصّ على ذلك ابن اسحاق ، وعروة بن الزبير ، وقتادة والبيهقي . . .) .

---

(١) الطبعة الأولى ـ دار صادر ـ ج ٤ / ص ٣٠٢ ـ ٣٠٣ ـ ١٣٢٨ هـ .

(٢) هامش ص ٢٢٤ ـ الجزء الثالث ـ السيرة النبوية لابن هشام حققها وضبطها وشرحها مصطفى السقا وابراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي طبعة ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦م .

(٣) الطبعة الثانية هامش ص ١٨٢ .

وجاء في كتاب (منتقى النقول في سيرة أعظم رسول)[1] تأليف حامد محمود بن محمد بن منصور ليمور : (غزوة الخندق ـ الأحزاب ـ كانت في شوال سنة أربع من الهجرة ـ مارس ـ سنة ٦٢٦ م . . . .) .

وجاء في كتاب[2] (مُهَذَّب السيرة النبوية) تأليف الأستاذ ابراهيم الأبياري : (كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس) .

وجاء في كتاب (مختصر السيرة[3] النبوية) (اللجنة المركزية لرعاية شؤون المساجد) : (غزوة الخندق (الأحزاب) حدثت هذه الغزوة في شوال من السنة الخامسة للهجرة) .

وجاء في الموسوعة العربية[4] الميسرة : (الخندق إحدى الغزوات الكبرى . وقعت في العام الخامس للهجرة على أثر تأليب بني النضير للعرب ضد محمد (ﷺ) ودعوته ، فتجمع منهم نحو عشرة آلاف من قبائل مختلفة ، وساروا أحزاباً نحو المدينة تحت إمرة أبي سفيان . . . وبخدعة استطاعوا أن يبثوا الشقاق في نفوس الأعداء الذين أرهقهم البرد والمطر فأرتحلوا ليلاً وفكوا حصارهم للمدينة . . .) .



إحتوت ألبيمارستانات على مغاسل للموتى ومقابر ألبيمارستان للدفن

(١) الطبعة الأولى ص ٢٨٤ .

(٢) ض ٧٥ .

(٣) ص ٣٤ .

(٤) الطبعة الثانية ص ٧٦٦ .

بيمارستان الوليد بن عبد الملك

لقد كان بيمارستان الوليد بن عبد الملك الذي أصبح خليفة سنة ٨٦ هـ /٧٠٥م هو أول مستشفى بني في بلاد الشام . وبهذا الصدد يقول الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه[١] : (تاريخ البيمارستانات في الإسلام) : (. . . قال الشيخ أبو العباس أحمد القلقشندي ، إن أول من إتخذ البيمارستان بالشام للمرضى الوليد بن عبد الملك وهو سادس خلفاء بني أمية . .) . وقال رشيد الدين ابن الوطواط : أول من عمل البيمارستان وأجرى الصدقات على الزَمْنَى والمجذومين والعميان والمساكين واستخدم لهم الخدّام الوليد بن عبد الملك . وقال تقي الدين المقريزي ، أول من بنى البيمارستان في الإسلام ودار المرضى الوليد بن عبد الملك وهو أيضاً أول من عمل دار الضيافة وذلك سنة ٨٨ هـ ٧٠٦م وجعل في البيمارستان الأطباء ، وأجرى لهم الأرزاق وأمر بحبس المجذّمين لئلا يخرجوا وأجرى عليهم وعلى العميان الأرزاق ، ولم يصل إلينا أي علم أو إشارة عن المكان الذي أنشأ فيه الوليد البيمارستان) .

---

(١) ص ٢٠٣ .

بيمارستان زقاق القناديل

أنشىء هـذا البيمارستـان في عهد الـدولة الأمـوية بـالفسـطاط في مصر (بالقاهرة) .

ويقول الدكتـور بول غليـونجي في كتابـه[1] نقلاً عن ابن دقمـاق[2] ما يلي : (. . . . بيمارستان حارة القناديل . . . سميت هذه الحارة بهـذا الاسم نسبة إلى قنديل كان يشعل على باب عمرو بن العاص) .

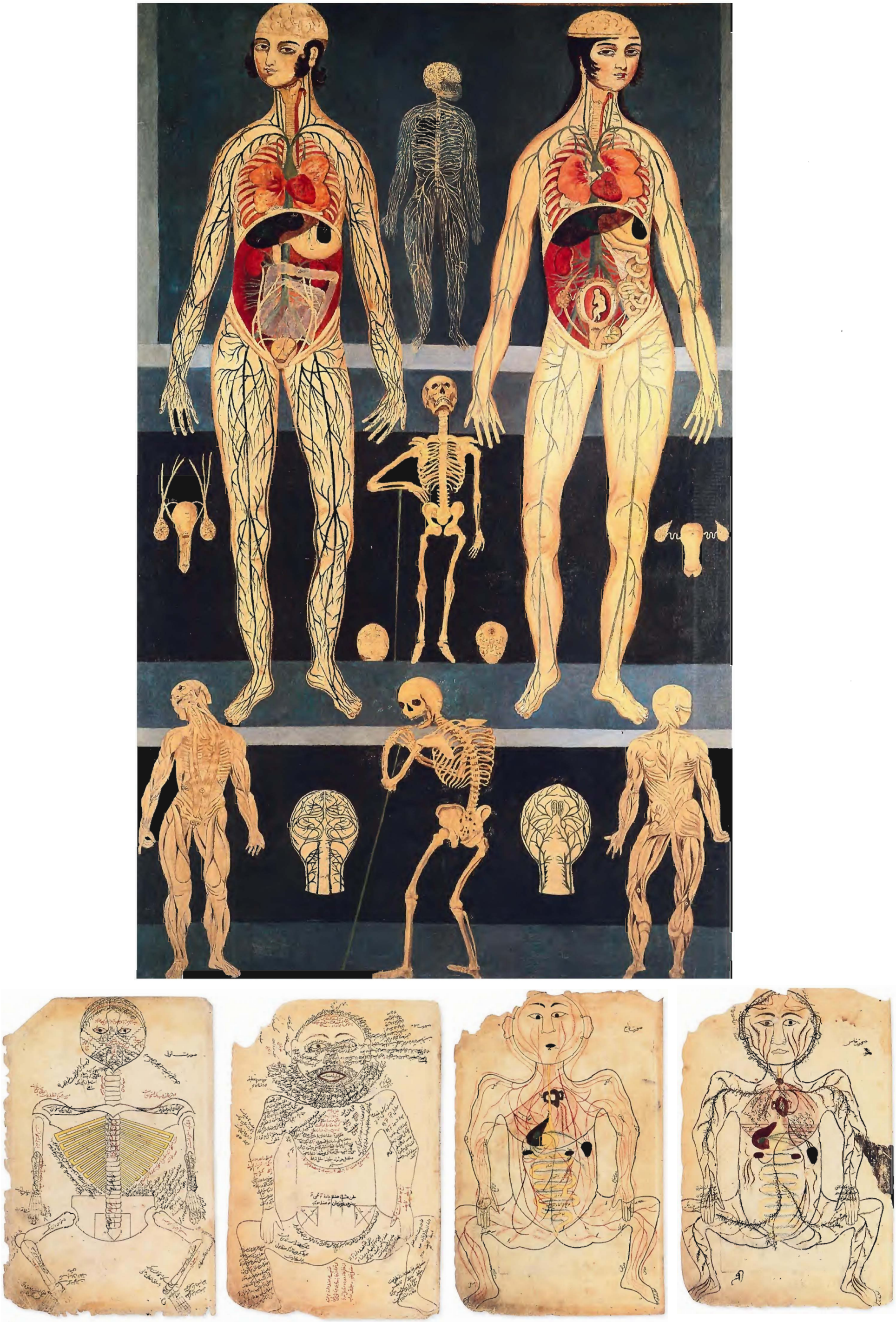
أما الدكتور أحمد عيسى بك فيقول في كتابه (تاريخ البيمـارستانـات[3] في الإسلام) ما يلي : (بيمارستان زقاق القناديل : قيـل إنه كـان في الدولـة الأموية مارستان في زقاق القناديل دار أبي زبيد . وزقاق القناديـل ـ ويُقال لـه زقاق القنديل ـ من أزقة الفسطاط . قال القضاعي إنما وسم زقاق القناديل أو القنديل لأنه كان برسم قنديل كان على باب عمرو بن العاص وفي هذا الزقاق ولد الإمام الحافظ ابن سيد الناس صاحب السيرة المتوفي سنة ٧٣٤ هـ .) .

---

(١) كتاب ابن النفيس .

(٢) نقلاً عن كتاب (الانتصار لواسـطة عقد الأمصـار) طبعة المـطبعة الأميـرية ـ القـاهرة ـ الجـزء الرابع ص ٩٩ تأليف ابراهيم محمد بن أيدم المشهور بإبن دقماق .

(٣) ص ٦٦ .



صفحات من بعض ألكتب ألطبيه ألتي كتبها ألأطباء ألمسلمون

الفصل الثامن

مستشفيات القرن الثاني الهجري (٨ م)

١ - بيمارستان الرشيد

٢ - بيمارستان البرامكة



نقش يظهر فيه عضد ألدوله وبعض مرتادي
ألبيمارستان ألعضدي ألذي بني في بغداد عام 981م

بيمارستان الرشيد

لقد أنشأ الخليفة هارون الرشيد العباسي هذا المستشفى في مدينة بغداد . وقام على إنشائه الطبيب جبريل بن جورجيس بن بختيشوع الذي خدم الخليفة هارون الرشيد ثلاثاً وعشرين سنة ومن بعده خدم الأمين والمأمون وتوفي سنة ٢١٣ هـ /٨٢٨م .

وقد أصبح الطبيب ماسويه الذي خدم في بيمارستان جنديسابور أربعين سنة رئيساً لبيمارستان هارون الرشيد بعد ترشيح من جبريل الذي تولّى رعاية البيمارستان .

وهارون الرشيد هو الخليفة العباسي الخامس ، تولى الخلافة سنة ١٧١ هـ /٧٨٦م . وهو ابن الخليفة المهدي ، وأمه الخيزران التي لعبت دوراً مهماً في السياسة وهي : (زوجة[١] المهدي العباسي وأم الهادي وهارون الرشيد . . . . ملكة متفقهة حازمة . كانت من الجواري فأعتقها المهدي وتزوجها . ولما مات وولى ابنها الهادي انفردت بتصريف الأمور الهامة وأخذ الناس يقفون ببابها . فحاول الهادي منعها وسعى في عزل أخيه ، فقيل إنها سعت في خنقه وهو مريض ، ولما وُلي ابنها الرشيد حجت وأنفقت كثيراً في

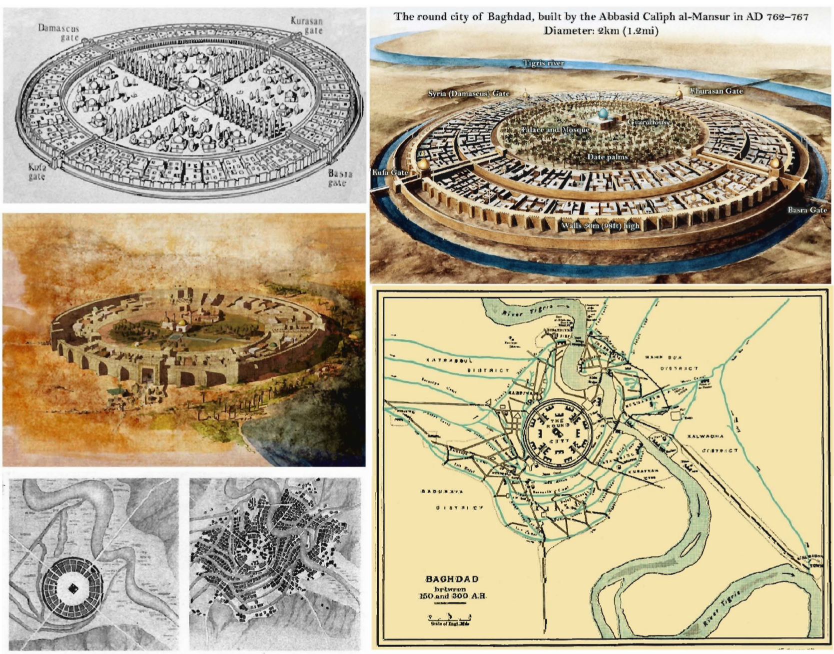
---

(١) الموسوعة العربية الميسرة ص ٧٧٠ ـ طبعة ثانية .

البر والصدقات وماتت ببغداد فحزن الرشيد عليها كثيراً ، وحمل تابوتها ودفنها بنفسه) .

ولقد ازدهرت الدولة الاسلامية في عهد الخليفة هارون الرشيد ، ووصلت إلى الأوج في عظمتها وبلغ أبواب القسطنطينية فاضطرت ايريني - وكانت حينذاك وصية على أبنها قسطنطين - أن تعقد صلحاً معه ودفعت جزية كبيرة لذلك .

وقد : (ازدهرت[١] في عهده التجارة والأدب والعلوم ولعب البرامكة دوراً هاماً قبل أن يوقع بهم سنة ٨٠٣م . توفي في طوس (إيران) قبره في المشهد الرضوي) .



خرائط تصميميه لبغداد في ألعهد ألعباسي

(١) المنجد في الاعلام - الطبعة الثانية ص ٥٣٦ - ٥٣٧

بيمارستان البرامكة

لقد أنشأ البرامكة في بغداد بيمارستاناً وبهذا الصدد يقول الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه[1] ما يلي : (جاء في كتاب الفهرست : أن من نقلة الهند والنبط ابن دهني الهندي وكان إليه بيمارستان البرامكة ونقل إلى العربي من اللسان الهندي وجاء فيه أيضاً عن كتاب ابن دهني صاحب البيمارستان ، فيهم من ذلك أنه كان للبرامكة في بغداد بيمارستان وكان ابن دهني طبيباً له) .

والبرامكة أو آل برمك[2] : (اسرة فارسية لعبت دوراً أساسياً في شؤون الدولة العباسية زمن الخلفاء الأربعة الأول (١٣٢ـ ١٩٣ هـ ـ ٧٥٠ ـ ٨٠٩م) أسسها خالد بن برمك . . . ولّى الرشيد يحيى الوزارة . . . وقرّب الرشيد الفضل وجعفر بن يحيى فولى الفضل ولايات هامة . . . . تغير الرشيد عليهم لأسباب مختلفة ، منها تعاظم نفوذهم ، وميولهم الشيعية ، ونكاية أعدائهم بهم ويورد بعض المؤرخين سبباً آخر ، هو إتصال جعفر بالعباسة أخت الرشيد نكبهم الرشيد (٨٠٢) وقتل جعفراً وصادر أموالهم . . .

---

(١) تاريخ البيمارستانات في الاسلام ص ١٧٨ .

(٢) الموسوعة العربية الميسرة ـ الطبعة الثانية ص ٣٣٨ .



رسم من ألعصور ألوسطى لمشهد تعذيب ألقديسه أبولونيا على يد ألإمبراطور فيليب ألعربي ألذي حكم في ألفتره 244م إلى 249م. يصور ألرسم أطباء عرب وهم يقتلعون بوحشيه أسنان أبولونيا.

الفصل التاسع

مستشفيات القرن الثالث الهجري (٩ م)

١ ـ بيمارستان المعافر

٢ ـ البيمارستان العتيق ـ الأعلى

٣ ـ بيمارستان الرّي









مستشفى مصطفى باشا في ألجزائر. أسسه ألوالي ألعثماني
مصطفى باشا عام 1854م ولايزال يستخدم لحد ألآن

بيمارستان المعافر

لقد أنشيء هذا البيمارستان في القاهرة والذي بناه الفتح بن خاقان في عهد المتوكل على الله الخليفة العباسي العاشر (٨٤٧ ـ ٨٦١م) . وهو ابن المعتصم من جارية فارسية وقد اغتاله القادة الأتراك سنة ٢٤٧ هـ / ٨٦١م وبموته بدأت الدولة العباسية بالانحطاط .

وكان وزير المتوكل على الله الفتح بن خاقان الذي قُتل مع الخليفة في ليلة واحدة .

وعن بيمارستان المعافر يقول الدكتور بول غليونجي في كتابه[١] : (بيمارستان حي المعافر ، مستشفى في القاهرة شُيّد في عهد المتوكل على الله (المتوفي ٢٤٧ هـ ـ ٨٦١م) .)

أما الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه[٢] ما يلي : (بيمارستان المعافر . . . كان في خطة المعافر التي موضعها ما بين العامر من مدينة مصر (الفسطاط) وبين مُصَلى خولان التي في القرافية ، بناه الفتح بن خاقان في أيام الخليفة المتوكل على الله وقد باد أثره . . .) .

---

(١) كتاب ابن النفيس نقلاً عن (المصدر) (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) الجزء الثاني ص ٤٠٦ تأليف تقي الدين المقريزي .

(٢) تاريخ البيمارستانات في الاسلام ص ٦٦ ـ ٦٧ .

البيمارستان العتيق
أو
البيمارستان الأعلى

أنشأ هذا المستشفى أحمد بن طولون سنة ٢٥٩ هـ / ٨٧٢م في الفسطاط بمصر في حي العسكر بالقرب من مسجده . وقد كلفه كما تقول بعض المصادر حوالي ستين ألف دينار . وكان يحوي مكتبة عظيمة فيها كتب عديدة قيل إنها بلغت في عددها حوالي مائة ألف مجلد .

وقد خصص أحمد بن طولون هذا للمدنيين فقط ، ومنع علاج المماليك والجنود فيه ليتيسّر للمدنيين المداواة والمعالجة اللازمة والكافية .

ومن الأطباء الذين عملوا في هذا المستشفى محمد بن عبدون الَجيلي الذي كان بارعاً بالطب ، وكذلك سعيد بن نوفل وهو نصراني النحلة .

أما الطبيب شمس الدين محمد بن عبدالله المصري كان طبيباً ماهراً وفاضلاً ومدرس الأطباء[1] بجامع ابن طولون ومات في شوال (١٧) سنة ٧٧٢هـ .

ويقول الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه (تاريخ[2] البيمارستانات في

---

(١) تاريخ البيمارستانات في الاسلام ص ٧٣ .

(٢) ص ٦٧ ـ ٦٩ .

الإسلام) ما يلي : (البيمارستان العتيق . . . ذكر أن مبلغ ما أُنفق عليه وعلى مستغله ستون ألف دينار وحبس عليه سوق الرقيق وغيره ولم يكن قبل ذلك في مصر مارستان ، وشرط ألا يُعالج فيه جندي ولا مملوك وكان يشارفه بنفسه ويركب إليه يومياً في كل أسبوع . . . بناه بالفسطاط . . . موضعه في أرض العسكر . . . تقع بين جامع ابن طولون وكوم الجارح وفيما بين قنطرة السد التي على الخليج ظاهر مدينة مصر وبين السور الذي يفصل بين القرافة ومصر . . . ولم يبق له الآن أثر . . .) .

ويستطرد ويقول المصدر(٢) السابق : (. . . وعمل حمامين للمارستان أحدهما للرجال والآخر للنساء ، حبسها على المارستان وغيره . وشرط أنه إذا جيء بعليل تنزع عنه ثيابه ونفقته وتحفظ عند أمين المارستان ثم يلبس ثياباً ويفرش له ويغذى ويراح بالأدوية والأغذية والأطباء حتى يبرأ فإذا أكل فرُّوجاً ورغيفاً أُمر بالإنصراف وأُعطي ماله وثيابه . . . وكان يركب بنفسه في كل يوم جمعة ويتفقد خزائن المارستان وما فيها من الأطباء وينظر إلى المرضى وسائر المعلولين والمحبوسين من المجانين . . . وقال السخاوي : إن أحمد بن طولون بنى إلى جانب جامعه البيمارستان . وكان في مجالس البيمارستان العتيق أي بيمارستان أحمد بن طولون خزانة كتب كان فيها ما يزيدعلى مائة ألف مجلد في سائر العلوم يطول الأمر في عدتها . . . وعمل أحمد بن طولون في مؤخرة جامعه ميضأة وخزانة شراب فيها جميع الشرابات والأدوية وعليها خدم ، وفيها طبيب جالس يوم الجمعة لحادث يحدث للحاضرين للصلاة . . .) .

---

(٢) ص ٧٠ ـ ٧٢ .

بيمارستان الرّي

الـرّي مدينـة قديمـة تقع في شمـالي ايـران نحـو الجنـوب الشـرقي من طهران ، وتبعد عن بحـر الخزر حـوالي سبعة وعشـرين فرسخـاً وعن طهران حوالي ثمانية كيلومترات . ولقد فتحها المسلمـون حوالي سنـة ٢٠ هـ في زمن خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثاني الخلفاء الراشدين (١٣ - ٢٣هـ) (٦٣٤ - ٦٤٤م) . على يد[1] نعيم بن مقرن . وُلد فيهـا هارون الـرشيد . وإليهـا ينسب فخر الـدين الرازي صـاحب (مفـاتيـح الغيب) أو (التفسـير الكبير) والذي لُقب بشيخ الإسلام (١١٤٩ - ١٢٠٩ م) .

كذلك ينسب إلى مدينة الـري الطبيب الشهـير والكيميائي النـابغة أبـو بكر محمد بن زكريا الرازي الذي كان يتولى شؤون بيمـارستان الـري ويديـره ثم مـارستان بغـداد . وقد عـاش الرازي فيـا بـين ٢٤٠ - ٣٢٠هـ (٨٥٤ - ٩٣٢م) ، ووُلـد في الري ولقـد لُقّب بـ (جالينـوس العـرب) أو (طبيب[2] المسلمين) .

ويُعتبـر الرازي أعـظم طبيب أكلينيكي لأن ملاحـظاته كـانت دقيقـة ،

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة - الطبعة الثانية ص ٩٠٤ .

(٢) المنجد في الاعلام - الطبعة الثانية ص ٢٣٢ .

يعتني بالمشاهدات والتجارب والتشخيص المقارن . وجاء في كتاب (اعلام[1] العرب والمسلمين في الطب) ما يلي : (يقول المؤلف ديفيد يوجين سمث في كتابه (تاريخ الرياضيات) المجلد الأول : (إن أبا بكر محمد بن زكريا الرازي نال شهرة مرموقة في الطب ، ولكنه قدم كذلك إنتاجاً يستحق التقدير والإشادة في علمي الهندسة والفلك) .

وقد قال عنه الدكتور غوستاف لوبون في كتابه[2] : (الرازي . . . من علماء الكيمياء ، وهو من أشهر أطباء العرب . . . واسع الاطلاع على علم التشريح . . .) .

أما الأستاذ قدري طوقان فيقول في كتابه (العلوم عند العرب[3]) ما يلي : (مما يدل على تقدير الغربيين للطب العربي ورجاله أن جامعة بريستون الأمريكية قدرت خدمات الحضارة الإسلامية وأفضالها على الانسانية والثقافة فراحت تخصص أفخم ناحية في أجمل أبنيتها لمآثر علم من أعلام الحضارة الخالدين (الرازي) .

وجاء في كتاب (روّاد[4] الطب) : (. . . وكان الرازي أحد الأطباء المسلمين . . . كانت له دراية بالطب . . . كما كان يهتم بعلوم الفلسفة والفضاء والحركة والتغذية والأرصاد الجوية والبصريات والكيمياء Alchemi . . . كان الناس يأتون لاستشارته من جميع أنحاء غرب آسيا .) .

وكان الرازي طبيباً مؤمناً مسلماً فهو الذي ألّف كتاباً سماه : (كتاب في

---

(١) ص ٨٣ ـ تأليف الدكتور علي عبدالله الدّفاع ـ طبعة أولى .
(٢) حضارة العرب ـ نقله للعربية عادل زعيتر ـ الطبعة الثالثة ص ٥٨٨ ـ ٥٨٩ .
(٣) ص ١٨ .
(٤) تأليف كاترين ب . شيبين ترجمة الدكتور م . عيسى ص ٥٧ .

أن للانسان[1] خالقاً متقناً حكيماً وفيه دلائل من التشريح ومنافع الأعضاء تدل على أن خلق الإنسان لا يمكن أن يقع بالإتفاق) .

أما مجلة دار الفكر فتقول عن الرازي[2] : (ويكفي لتبيين مدى إتساع شهرته ، وقوة تأثيره ، ورسوخ مكانته ، أن تأثر به أبو ريحان البيروني الذي يعتبر في نظر الكثيرين أعظم علماء الإسلام في العصور الوسطى ، ومع ذلك فقد كان البيروني يعتبر نفسه من أتباع الرازي وأحد تلاميذه . . . .) .

ويقول الدكتور أمين أسعد خيرالله (الأستاذ في الجراحة بجامعة بيروت الامريكية) في كتابه[3] : (والرازي كان أول من وصف الفرع الحنجري للعصب الحنجري العائد وقال عنه : إنه يكون مزدوجاً من الجهة اليمنى أحياناً . . .) .

أما الدكتور سلمان قطاية فيقول في كتابه[4] : (. . . . واكتشفت المستشرقة الألمانية فيريدرون هاو F. Hau . في مجموعة من المخطوطات رسالة الرازي حول الزكام الذي يصيب ابن زيد البلخي في الربيع عند تفتح الورود فعرفنا أنه أول من وصف الرشح التحسسي الربيعي) .

أما الدكتور كمال السامرائي رئيس قسم الأمراض النسائية والتوليد في كلية طب بغداد يقول في كتابه[5] ما يلي : (أبو بكر محمد الرازي . . . والرازي أعظم طبيب سريري . . . ومن أعلام الطب على مدى عصور

---

(١) طبقات الأطباء تأليف ابن أبي أصيبعة ص ٤٢١ .

(٢) المجلد التاسع ص ٨ ـ ٩ العدد الأول (إبريل ـ مايو ـ يونيو ١٩٧٨) مجلة دورية تصدر كل ثلاثة أشهر عن وزارة الاعلام الكويتية .

(٣) الطب العربي ص ١٦٩ .

(٤) كتاب ابن النفيس ـ الطبعة الأولى ص ١٧

(٥) بكتاب (الأمراض النسائية في التاريخ القديم وأخبارها في العراق الحديث) ص ٣٩ .

التاريخ . له ما يزيد على الخمسين كتاباً في الطب ، اضافة إلى الكتب الأخرى في الكيمياء والطبيعيات والفلسفة ، وأشهر كتبه عموماً (كتاب الحاوي في الطب) وهو موسوعة ضخمة بثلاث وعشرين جزءاً في مختلف فروع الطب . . .) .

أما الدكتور ناصر حسين صفر فيقول في كتابه[١] عن الرازي ما يلي : (. . . وكان الرازي خبيراً بالنبات كعلاج لبعض الأمراض . . .) .

وقد اهتم الرازي بمنافع الأغذية فيقول في كتابه[٢] : (. . . رأيت أن أؤلف كتاباً في دفع مضار الأغذية مستقصىً أبلغ وأشرح مما عمله الفاضل جالينوس فإنه سها وغلط في كثير من كتابه في هذا المعنى ولم يستقص في كثير منه) .

وينصح الرازي في معالجة المرض منذ البداية فهو أسهل للعلاج فيقول في كتابه (الحاوي[٣]) : (. . . ويبادر بعلاجه لأنه في ابتدائه أسهل ما يكون ويعسر ما يكون إذا استحكم . . .) .

وقد كان الرازي في تشخيصه يتبع العقل والتفكير والمشاهدات والتجربة والاستقصاء فيقول[٤] : (. . . من الأعضاء الآلمة قد ترى التشنج يعرض في الشفتين وفي العينين وجلدة الجبهة وجملة الجفن ، كما يعرض ذلك في أصل اللسان والعصب الجائي إلى هذه من الدماغ فيعلم عند ذلك أن الآفة حالة بالدماغ . . .)

---

(١) كتاب (النباتات الطبية عند العرب) ص ٣٨ .
(٢) الطبعة الأولى (منافع الأغذية ودفع مضارها) ص ٩ .
(٣) ص ٧٦ ـ الجزء الأول ـ الطبعة الأولى ـ مطبعة مجلس دائرة المعارف بحيدرآباد ـ الهند ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م .
(٤) المصدر السابق ـ الجزء الأول ـ ص ١٠٣ .

لقد كان هذا الطبيب البارع النطاسيّ مديراً ومتولياً ومتدبراً أمور بيمارستان الري : (دبّر[1] البيمارستان في الري وفي بغداد . . .) .

ويقول الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه (تاريخ [2] البيمارستانات في الإسلام) عن بيمارستان الري : (قال ياقوت في كلامه عن مدينة الرَيّ : أنشأ المسلمون في هذه المدينة بيمارستاناً ، ولم أهتد إلى من أنشأه . وقال ابن القفطي ذكر ابن جلجل الأندلسي في كتابه قال : (أبو بكر محمد بن زكريا الرازي مسلم النحلة . أديب طبيب مارستاني دبّر مارستان الرَّي ثم مارستان بغداد . . . .) .

وتقول الدكتورة زيغريد في كتابها : (أبو بكر محمد بن زكريا ولد في مدينة الري في خراسان شرقي مدينة طهران حالياً . . . انطلق إلى مدينة الشفاء ، ومدينة السلام ، إلى بغداد عاصمة الدنيا . . . اندفع في دراسة الطب . . . وعب منه عباً . . . حتى إذا ما ارتوى قفل راجعاً إلى بلدته الأم ليعمل كمدير للمستشفى هناك ولكن ليس لمدة طويلة . إذ ما لبث أن سعى إلى الحصول على منصب رئيس الطبابة في المستشفى الكبير في العاصمة) .



طبيب أوروبي من ألقرون ألوسطى يقوم بعمليه جراحيه

---

(١) المنجد في الاعلام ـ الطبعة الثانية ص ٢٣٢ .

(٢) ص ٢٦٦ .

الفصل العاشر

مستشفيات القرن الرابع الهجري (١٠ م)

١ ـ البيمارستان الأسفل ـ بيمارستان كافور الإخشيدي .

٢ ـ بيمارستان السيدة

٣ ـ البيمارستان المقتدري

٤ ـ بيمارستان معز الدولة بن بويه

٥ ـ البيمارستان العضدي

٦ ـ بيمارستان أبي الحسن علي بن عيسى

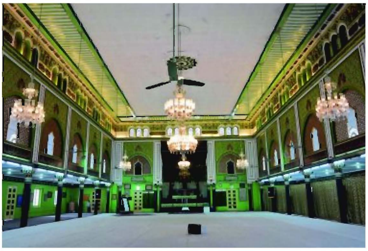












مستشفى (شفخانه) دار ألشفاء في حيدرأباد. أسسها ألسلطان محمد كولي قطب شاه عام 1595م وتضم مسجد. تعتبر دار ألشفاء أول مستشفى في ألهند .أسس ملوك ألهند ألمسلمون كثيرا من ألمستشفيات.

البيمارستان الأسفل بالفسطاط
أو
بيمارستان كافور الإخشيدي

بنى هذا البيمارستان كافور الإخشيدي سنة ٣٤٦ هـ ، أي ما يوافق ٩٥٧ م وبهذا الصدد يقول الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه (تاريخ البيمارستانات[١] في الإسلام) : (... قال تقي الدين المقريزي هذا المارستان بناه كافور الإخشيدي وهو قائم بتدبير دولة الأمير أبي القاسم أنوجور ابن محمد الأخشيد بمدينة مصر في سنة ٣٤٦ هـ / ٩٥٧م .) .

ويستطرد ويقول المصدر السابق : (إن الأخشيد أمير مصر حبس جميع من بناه من قيسارية ودور وحوانيت على المارستان الأسفل والميضأتين والسقايتين وأكفان الموتى) . وذكر شيوخ مصر أن هذا المارستان كان فيه من الأزيار الصيني الكبار والبراني والقدور النحاس والهواوين والطسوت وغير ذلك ما يساوي ثلاثة آلاف دينار ...) .

وكافور الاخشيدي كان عبداً حبشياً اشتراه عاهل مصر المسمى الاخشيد فلذلك نسب إلى من اشتراه . ويسمى كافور أبا المسك الاخشيدي ويقول عنه كتاب (المنجد في[٢] الاعلام) (كافور ... وُلد في النوبة بين

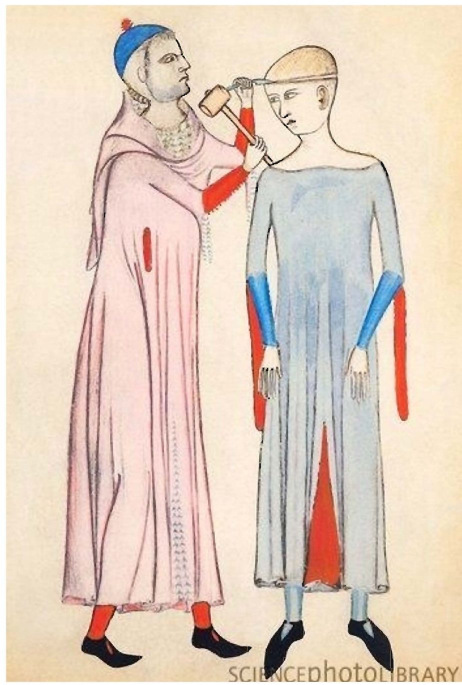
(١) ص ٧٤ .
(٢) الطبعة الثانية ـ دار المشرق ـ ص ٤٢٧ .

(٩٠٤ - ٩٢٠) سلطان مصر وسورية . مملوك توصل إلى الإستيلاء على الحكم وصمد في وجه الزحف الفاطمي حافظ على الدولة الاخشيدية مدة عشرين سنة جمع حوله الأدباء والشعراء توفي ٩٦٨ . مدحه المتنبي ثم هجاه في قصيدة شهيرة جاء فيها :

لا تشترِ العبد إلا والعصا معه   إنِ العبيد لأنجاس مناكيد)

لقد رعى كافور الشاعر المتنبي مدة ثم أهمله فلذلك هجاه . وقد توفي كافور سنة ٩٦٨م . وينسب الاخشيديون إلى الاخشيد وهو لقب منحه الخليفة العباسي الراضي بالله لمحمد بن طَغَج الذي تولى الحكم سنة ٩٣٥م ويُقال إن معنى كلمة الأخشيد بلغة إقليم فرغانة (ملك الملوك) .





أزياء كان يرتديها و طرق علاج كان يستعملها أطباء أوروبا في ألقرون ألوسطى

بيمارستان السيّدة

كـانت السيدة شَغَب الملقبـة بالسيـدة ، وهـي أم الخليفـة المقتـدر بـالله وجارية الخليفة المعتضد ، صـالحة تقيـة تتصدق عـلى الفقراء ، وتحب أعمـال الخير ، وترسل الزاد والبعثات الطبية مع الحجيج . وكان ريـع أملاكهـا ألف ألف دينار سنوياً .

وقـد أنشأت السيـدة بيمارستـاناً وذلـك في أول المحـرم سنـة ٣٠٦ هـ والذي افتتحه طبيب ابنها الخليفة المقتدر واسمه الـطبيب أبو سعيـد سنان بن ثابت .

بني البيمـارستان بسـوق يحيى على نهر دجلة وقـد جلس فيـه سنـان بن ثابت وعينّ فيه الأطباء . ويقول الدكتـور أحمد عيسى بـك في كتابـه (تاريـخ البيمارستانات في الإسلام[١]) : (وكـانت النفقة عليـه في كل شهـر ستمائـة دينـار على يـدي يوسف بن يحيى المنجم لأن سنـان لم يدخـل يده في شيء من نفقات البيمارستان . وقال ابن تغري بردى : كان مبلغ النفقة عليـه في العام سبعة آلاف دينار . .) .



رسم لدرس في ألتشريح أُعطي في بيمارستان في ألقاهره عام 1829م

(١) ص ١٨٣ .

البيمارستان المقتدري

لقد أنشأ الخليفة المقتدر بالله جعفر بن المعتضد بيمارستاناً في باب الشام بالجانب الغربي من بغداد وذلك سنة ٣٠٦ هـ ، بعد أن أشار على الخليفة الطبيب سنان بن ثابت بإنشاء ذلك . وقد سُمي هذا البيمارستان بالبيمارستان المقتدري نسبة للخليفة المقتدر وكان ينفق عليه مائتي دينار شهرياً .

والخليفة المقتدر بالله ، هو الخليفة الثامن عشر من الخلفاء العباسيين . تولى الخلافة سنة ٩٠٨ م حتى سنة ٩٣٢م . وفي عهده ظهرت الدولة الفاطمية في شمال أفريقيا وذلك سنة ٩٠٩ م ، ودولة الأمويين في قرطبة سنة ٩٢٩م ، وأغار القرامطة على العراق ، وأحتلوا مكة سنة ٩٣٠م ونقلوا الحجر الأسود إلى الإحساء .

وتقول الموسوعة[1] العربية الميسرة : (المقتدر بالله توفي ٩٣٢ . خليفة عباسي ، تولى الخلافة ٩٠٨ . نشبت الفتن في أيامه ، وأسس الفواطم دولتهم في المغرب ومصر وخرج قرمط بالبحرين ، انحطت الدولة العباسية في أثناء حكمه . . .) .

لقد كان طبيب المقتدر بالله أبو سعيد سنان بن ثابت بن قرة المتوفي سنة ٩٤٣ م ، وبعد وفاة الخليفة المقتدر خدم سنان الخليفة القاهر الذي حكم من سنة ٩٣٢م حتى ٩٣٤ م .

---

(١) الطبعة الثانية ص ١٧٣٠ .

وعلاوة عن نبوغ سنان بالطب كان مهتماً بالعلوم الهندسية والفلكية والفلسفية . وقد أشار الوزير علي بن عيسى على الطبيب سنان بأن يهتم بحالة المسجونين وكذلك بحالة الناس الذين يعيشون بالقرى النائية .

وقد طلب الخليفة المقتدر من سنان بن ثابت رئاسة الطبابة في بغداد وإمتحان الأطباء وعدم السماح لمن لا ينجح بالإمتحان بمزاولة صناعة الطب .

وقد ألّف سنان بن ثابت العديد من الكتب ومنها : رسالة في الإستواء ، ورسالة في تاريخ ملوك السريانيين ، ورسالة في شرح مذهب الصائبين . . .

وسنان بن ثابت من أصل حرّاني : (خدم[1] الخليفتين المقتدر والقاهر ، وأنشأ للأول البيمارستان الذي عرف باسمه والبيمارستان الذي عُرف باسم والدته . . .)

ويقول الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه (تاريخ البيمارستانات في الإسلام[2]) ما يلي : (الأطباء الذين خدموا البيمارستان المقتدري : ١ ـ يوسف الواسطي كان ملازماً لبيمارستان المقتدر وقرأ عليه جبريل بن بختيشوع .

٢ ـ جبريل بن عبيدالله بن بختيشوع . كان عالماً فاضلاً متقناً لصناعة الطب كان من أطباء المقتدر ولازم البيمارستان والعلم والدرس . أقام ببغداد ثلاثين سنة ثم دخل إلى مَيّافارقين عند الأمير مُمَهِّد الدولة وتوفي يوم الجمعة ثامن رجب سنة ٣٩٦ وكان عمره ٨٥ .) .

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة ص ١٠١٨ ـ طبعة ثانية .

(٢) ص ١٨٤ .

بيمارستان
معز الدولة بن بويه في بغداد

بنى هذا البيمارستان معز الدولة الأمير البويهي سنة ٣٥٥ هـ في مدينة بغداد مكان السجن المعروف بالجديد .

ومعز الدولة كما جاء في كتاب (المنجد[١] في الأعلام) : (معز الدولة (أبو الحسين أحمد (٩١٥ ـ ٩٦٧) أمير بويهي ، احتل كرمان وأخضع البريدي حاكم الأهواز استولى على واسط بعد عدة محاولات ثم دخل بغداد العاصمة العباسية سنة ٩٤٥ خلع عليه المستكفي لقب (أمير الأمراء ، حارب الحمدانيين في الموصل) .

والبويهيون (أسرة[٢] فارسية من أصل ديلمي حكمت من سنة ٩٣٢ م حتى ١٠٥٥ وأسسها أبو شجاع بويه استولى ابناؤه علي والحسن وأحمد على أصفهان وشيراز وكرمان وبغداد (٩٤٥) ولقِّبوا بلقب معز الدولة وعماد الدولة وركن الدولة . على عهدهم غدا أمير المؤمنين ألعوبة في أيدي البويهيين إلى أن غلبهم طغرل بك السلجوقي ١٠٥٥) .

---

(١) ٤٩٣ ـ طبعة ثانية .

(٢) المصدر السابق ص ١١٤ .

وجاء في كتاب (تاريخ البيمارستانات[1] في الإسلام) : (في المرآة (لسبط بن الجوزي) : أنه في سنة ٣٥٥ أمر معز الدولة أن يبنى موضع السجن المعروف بالجديد ببغداد مارستاناً وأمر أن يوقف عليه الأوقاف وأن يكون مغلّ الضياع الموقوفة عليه في كل سنة خمسة آلاف دينار فمات قبل أن يتم . . .) .



معدات طبيه كانت تستخدم في ألمستشفيات ألإسلاميه



حقيبه أدوات جراحيه من مستشفى إسلامي موجوده في متحف نابولي

(١) تأليف الدكتور أحمد عيسى بك ص ١٨٦ .

البيمارستان العضدي

بناه السلطان عضد الدولة (٩٣٦ ـ ٩٨٣م) في سنة ٣٧٢ هـ . في شهر صفر وذلك في مدينة بغداد في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) .

وُلد السلطان عضد الدولة في أصفهان ، وأصبح سلطاناً في الدولة البويهية وهزم الأتراك في واسط ودخل بغداد وأستولى على طبرستان وجرجان والعراق ولقبه الخليفة بشاهنشاه . وتوفي في بغداد . وقد ضمّ العراق وفارس في دولة موحدة .

كان عضد الدولة يحب العلم والعلماء ويحسن كثيراً للمعوزين والفقراء . وكان الخليفة ألعوبة بين يديه ولم يكن له كلمة نافذة .

والبويهيون أسرة فارسية حكمت من سنة ٩٣٢ حتى عام ١٠٥٥ عندما غلبهم طغرل بك السلطان السلجوقي . وفي عصر عضد الدولة ظهرت جماعة أطلقت على نفسها إسم إخوان الصفا وهي جمعية سرية لعبت دوراً هاماً في نشر العلوم وقد كانوا ينشرون رسائلهم ويوزعونها في أنحاء العالم الإسلامي وكانت تبحث تلك الرسائل التي سميت (رسائل إخوان الصفا) في الشؤون العلمية والدينية والسياسية .

وقد كان المستشفى يقوم بمعالجة مرضاه مجاناً وينفق عليهم ما يلزمهم

من علاج وكساء وغذاء من الأموال التي كانت تُجنى من أوقافه وإن حدث يوماً وقلّ دخل المستشفى المالي من الأوقاف التي يملكها ، هرع المسؤولون بإرسال الأموال اللازمة حثيثاً كي تنفق على المرضى وعلاجهم وراحتهم بدون أن يدفعوا شيئاً .

لقد شيد عضد الدولة المستشفى العضدي سنة ٣٧١ هـ الموافقة لعام ٩٨١م .

وكان هذا المستشفى يشبه القصور الفاخرة ففيه فرش ممتازة ، وغرف عديدة وكثير من القاعات والأجنحة ، وفي هذا الصدد يقول الدكتور أمين أسعد خيرالله أستاذ الجراحة بالجامعة الأمريكية ببيروت في كتابه (الطب العربي) الذي وضعه بالانكليزية وترجمه للعربية الدكتور مصطفى أبو عز الدين يقول ص ٨٣ نقلاً عن كتاب (رحلة ابن جبير وجه ٢٠٤) :

(زار ابن جبير الرحالة المشهور بغداد عام ١١٨٤ م ووصف هذا المستشفى بأنه شبيه بالقصور يحتوي على عدة أجنحة وعدد كبير من الغرف وكان فرشه من أجود الفرش ، والراحة متوفرة فيه توفرها في القصور ، وفي كل قسم منه ماء جارٍ من مياه دجلة .)

وجاء في كتاب (تاريخ[1] البيمارستانات في الإسلام) : (وأنظر على سبيل المثال ما أعد من وسائل الراحة في البيمارستان العضدي . . . فإن ناظره في سنة ٤٤٩ هـ . . . (جمع فيه من الأشربة والأدوية والعقاقير التي يعز وجودها شيئاً كثيراً ، وأقام الفرش واللحف للمرضى ، والأراييج الطيبة والأسرة والثلج والمستخدمين والأطباء والفراشين . وكان فيه ثمانية وعشرون طبيباً ونساء طباخات وبوابون وحراس ، والحمام والبستان إلى جانبه فيه أنواع

---

(١) ص (و) تأليف الدكتور أحمد عيسى بك وأيضاً ص ١٩٠ .

الثمار والبقول ، والسفن على مائه تنقل الضعفاء والفقراء ، والأطباء يتناوبونهم بكرة وعشية ويبيتون عندهم بالنوبة ، وكان فيه عدة خواب فيها السكر الطبرزد ، والأبلوج ، واللوز والمشمش والخشخاش وسائر الحبوب والبراني الصينية فيها العقاقير ، وأربع قواصر فيها الأهليج الأصفر والكابلي والهندي وأربع قواصر تمر هندي وزنجبيل وعود وند ومسك وعنبر والراوند الصيني في البراني والترياق الفاروقي وجميع الأفاوية وصناديق فيها أكفان وقدور كبار وصغار وآلات وأربعة وعشرين فراشاً . . . وذكر ابن صابي أشياء ما يوجد في دور الخلفاء مثلها . . .) .

ويقول المصدر[1] السابق عن الأطباء الذين عملوا بالبيمارستان العضدي : (. . . الأطباء الذين عملوا بالبيمارستان العضدي كثيرون نذكر منهم : (جبريل بن عبيدالله بن بختيشوع . . . أبو الحسن علي بن ابراهيم . . . أبو الحسن علي بن كشكرايا . . . أبو يعقوب الأهوازي . . . أبو الحسن بن تفاح : جرائحي . . . الصلت من المجبرين . . . أبو نصر الدحني من الكحالين . . . أبو الحسن بن سنان بن ثابت بن قرة الصابي وكان ساعور البيمارستان . . . أبو الحسن علي بن هبة الله . . . أمين الدولة بن التلميذ انتهت إليه رياسة الصناعة ببغداد وكان ساعور البيمارستان العضدي . . .) وغيرهم كثيرون .

ويقول الدكتور مصطفى السباعي في كتابه[2] (من روائع حضارتنا) : (المستشفى العضدي ببغداد بناه عضد الدولة بن بويه عام ٣٧١ هـ . . أقيم المستشفى وأنفق عليه مالاً عظيماً . وجمع له من الأطباء أربعة وعشرين طبيباً ، وألحق به كل ما يحتاج إليه من مكتبة علمية وصيدلية ومطابخ ومخازن

---

(١) ص ١٩٣ ـ ١٩٧ .

(٢) ص ١٤٣ ـ ١٤٤ .

وفي عام ٤٤٩ هـ جدد الخليفة القائم بأمر الله هذا المستشفى . وجمع فيه من الأشربة والأدوية والعقاقير التي يعز وجودها كثيراً ، وأقام الفرش واللحف للمرضى ، والعطورات الطيبة والأسرة والثلج والمستخدمين والأطباء والفراشين ، وله بوابون وحرّاس ، وفيه حمام ، وبجانبه بستان قد حوى كل أنواع الثمار والبقول والسفن على مائه تنقل الضعفاء والفقراء ، والأطباء يتناوبونهم بكرة وعشية ، ويبيتون عندهم بالنوبة .

ويقول الدكتور مصطفى السباعي (المستشفى العضدي ببغداد : بناه عضد الدولة بن بويه عام ٣٧١ هـ بعد أن أختار الرازي الطبيب المشهور مكانه بأن وضع أربع قطع لحم في أربعة أنحاء بغداد ليلاً ، فلما أصبح وجد أحسنها رائحة في المكان الذي أقيم عليه المستشفى فيما بعد ، فأقيم المستشفى وأُنفق عليه مالاً عظيم . . .)

وأعتقد أن الرازي لم يكن حياً بل كان ميّتاً عندما أنشيء البيمارستان العضدي سنة ٣٧١ هـ - كما ذكر ذلك الاستاذ الدكتور مصطفى السباعي في كتابه السابق الذكر . لأن المصادر تذكر أن الرازي توفي حوالي سنة ٣٢٠ هـ الموافقة ٩٣٢م . فهاكم كتاب (الموجز في تاريخ(١) الطب والصيدلة) يقول ما يلي :

(الرازي المتوفى حوالي سنة ٣٢٠ هـ - ٩٣٢م . أما كتاب (اعلام(٢) العرب والمسلمين في الطب) فقد ذكر : (الرازي . . . عاش فيها بين ٢٤٠ - ٣٢٠ هجرية (٨٥٤ - ٩٣٢م) . و(الموسوعة(٣) العربية الميسرة) تقول :

---

(١) ص ٢٦٠ تأليف مجموعة من الاطباء بإشراف الدكتور محمد كامل حسين .

(٢) ص ٨٣ تأليف الدكتور علي عبدالله الدّفاع .

(٣) ص ٨٥٢ تأليف دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر - الطبعة الثانية ١٩٧٢ .

(الـرازي : أبـو بكـر محمـد (٨٦٥ ـ ٩٢٥م) . وكتـاب (المنجـد في[1] الاعلام) يقول : (الرازي : أبو بكر محمد بن زكريا ٨٦٤ ـ ٩٣٢) .

وجاء في كتاب (تاريخ البيمارستانات[2] في الإسلام) : (قال عبيدالله ابن جبريل إنه لما عمّر عضد الدولة البيمارستان الجديد الذي على طرف الجسر من الجانب الغربي من بغداد كان من الذين جمعهم فيه من كل موضع وأمر الراتب منه أربعة وعشرون طبيباً . . . وكان منهم . . . جماعة طبائعيين . قال : وكان والدي جبريل قد أصعد على عضد الدولة من شيراز ، ورتب في جملة الطبائعيين في البيمارستان ، وفي جملة الأطباء الخواص ، قال : فكان في البيمارستان مع هؤلاء من الكحالين الفضلاء أبو النصر الدّحني ، ومن الجرائحيين أبو الخير و أبو الحسن بن تفاح ، ومن المجبرين المشار إليهم أبو الصلت .

قال ابن خلكان : (والبيمارستان العضدي ببغداد هو في الجانب الغربي وغرم عليه مالاً عظيماً وليس في الدنيا مثل ترتيبه وفرغ من بنائه سنة ٣٦٨ هـ ـ ٩٧٨ م ، وأعدّ له من الآلات ما يقصر الشرح عن وصفه) .

ويستطرد ويقول المصدر[3] السابق : (. . . المارستان الشهير ببغداد وهو على دجلة ، وتتفقده الأطباء كل يوم اثنين وخميس ويطالعون أحوال المرضى به ، ويرتبون لهم أخذ ما يحتاجون إليه وبين أيديهم قَوَمة يتناولون طبخ الأدوية ، وجميع مرافق المساكن الملوكية ، والماء يدخل إليه من دجلة . . .) .

---

(١) ص ٢٣٢ ـ دار المشرق ـ بيروت ـ الطبعة الثانية .

(٢) ص ١٨٧ ـ ١٨٩ تأليف الدكتور أحمد عيسى بك .

(٣) ص ١٩٢ ـ تاريخ البيمارستانات في الاسلام .

بيمارستان أبي الحسن علي بن عيسى في بغداد

بنى الوزير أبو الحسن علي بن عيسى بيمارستاناً في بغداد سنة ٣٠٢ هـ أي ما يوافق ٩١٤ م ، وأنفق عليه من أمواله ووضع عليه الطبيب أبا عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقي .

لقد كان أبو الحسن علي بن عيسى وزيراً للخليفة المقتدر الذي حكم من سنة ٩٠٨ حتى ٩٣٢م ثم صار وزيراً للخليفة القاهر بالله الذي حكم من سنة ٩٣٢ م حتى ٩٣٤م .

وكان أبو الحسن تقياً، ورعاً، زاهداً، حافظاً للقرآن الكريم ،ويقول عنه الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه[1] : (. . . كان دخل علي بن عيسى من ضياعه في كل سنة نيفاً وثمانين ألف دينار ينفق نصفها على الفقراء والضعفاء ونصفها على نفسه وعياله وأصحابه ، وقف وقوفاً كثيرة من ضياع السلطان وأفرد لها ديواناً سماه ديوان البر جعل حاصله لإصلاح الثغور وللحرمين الشريفين وكان يجلس لرد المظالم من الفجر إلى العصر واقتصر على أقلّ الطعام وأخشن الملبوس توفي يوم الجمعة من شهر ذي الحجة سنة ٣٣٤ هـ وقيل سنة ٣٣٥ وله مؤلفات عظيمة مثل : كتاب (جامع الدعا) ، وكتاب (معاني القرآن وتفسيره) ، وكتاب (الكتاب) و(سياسة المملكة، وسيرة الخلفاء)) .

---

(١) تاريخ البيمارستانات في الاسلام ـ هامش ص ١٧٩ .



يعتبر بيمارستان العزّافين الذي كان يقع بسوق النحاس أقدم مستشفى بمدينة تونس إذ يعود إلى العهد المرادي بتاريخ 1662. أصبح يسمى المستشفى الصادقيّ تخليدا لاسم محمد الصادق



Sadiqi hospital. (a) exterior; (b) interior

الفصل الحادي عشر

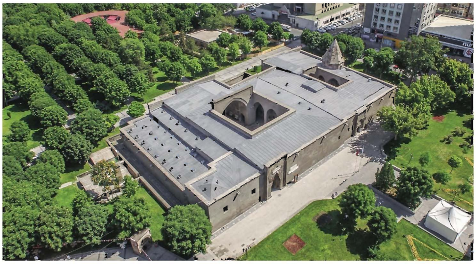
مستشفيات القرن الخامس الهجري (١١ م)

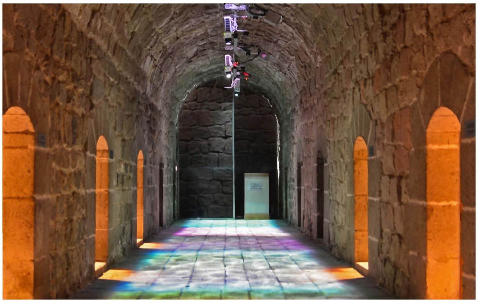
١ ـ بيمارستان واسط

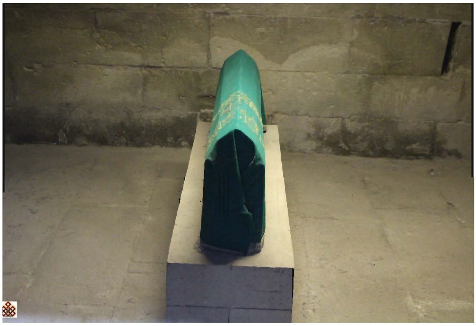
٢ ـ بيمارستان أنطاكية

٣ ـ بيمارستان نيسابور

٤ ـ البيمارستان الدّقاني




بيمارستان ومدرسه طب جعفر نسبي (gevher nesibe) أسسهاألسلطان ألسلجوقي جعفر نسبي عام 1206م وتقع في بلده قيصريه بألأناظول. تعتبر أول بيمارستان في ألأناظول وأوروبا

بيمارستان واسط

لقد أنشأ هذا البيمارستان في واسط الوزير مؤيد الملك أبو علي الحسن ابن الحسن الرخجي الذي استوزره في سنة ٤١٣ هـ مدير دولة الخليفة القادر بالله وهو شرف الدولة بن بهاء الدولة والقادر بالله هو الخليفة الخامس والعشرون العباسي (٩٩١ - ١٠٣١ م) . لقد كان الوزير مؤيد الملك ذا مكانة سامية وجاه عظيم وظل في الوزارة سنتين . وعاش حوالي ثمانين عاماً وتوفي سنة ٤٣٠ هـ .

ومدينة واسط تقع بين البصرة والكوفة في العراق وقد أنشأها الحجاج ابن يوسف الثقفي (٧٠٢ - ٧٠٥م) وكانت لها أهمية كبرى في عهد الأمويين وقاعدة مهمة .

وجاء في كتاب (تاريخ[1] البيمارستانات في الإسلام) : (بيمارستان واسط : في سنة ٤١٣ هـ أنشأ مؤيد الملك . . . بيمارستاناً بواسط وأكثر فيه من الأدوية والأشربة والعقاقير ورتب له الخُزّان والأطباء وغير ذلك مما يحتاج إليه ووقف عليه الوقوف الكثيرة) .

---

(١) ص ١٩٨ .

بيمارستان أنطاكية

يُقال إن الذي أنشأ هذا البيمارستان المختار بن الحسن بن بطلان : (القرن[1] ١١ م . طبيب وفيلسوف نصراني من أهل بغداد ، عاش في مصر والقسطنطينية وصنّف ما ينيف على خمسين مجلداً . من مؤلفاته : (دعوة الأطباء) طبع في الاسكندرية (١٩٠١) و(خمس رسائل) (القاهرة ١٩٣٧) .

أما الدكتورة زيغريد هونكه فتقول في كتابها[2] عن ابن بطلان : (هو الحكيم أبو الحسن الطبيب البغدادي المعروف بابن بطلان ، طبيب منطقي نصراني من أهل بغداد ، قرأ على علماء زمانه من نصارى الكَرْخ ، وكان مشوَّه الخِلقة غير صحيحها كما شاء الله فيه . . . وخرج عن بغداد إلى الجزيرة والموصل وديار بكر ودخل حلب وأقام بها مدة . . . وخرج عنها إلى مصر وأقام مدّة قريبة واجتمع فيها بابن رضوان المصري الفيلسوف في وقته ، وجرت بينهما منافرة أحدثتها المغالبة في المناظرة ، وخرج ابن بطلان عن مصر مُغضباً على ابن رضوان، وورد انطاكية راجعاً عن مصر ، وأقام بها وقد سئم

(١) المنجد في الاعلام ـ الطبعة الثانية ص ٩٦ .

(٢) ص ٣٤٧ ـ ٣٤٨ ـ شمس العرب تسطع على الغرب نقله عن الألمانية فاروق بيضون وكمال الدسوقي الطبعة السادسة ١٩٨١ .

كثرة الأسفار فغلب على خاطره الانقطاع فنزل بعض أديرة أنطاكية ، وترهب وانقطع إلى العبادة إلى أن توفي في شهور سنة أربع وأربعين وأربعمائة هـ . ومن مؤلفاته: (دعوة الأطباء) . و(كنائس الأديرة) ، و(مداخل الطب) .)

وجاء في كتاب (تاريخ البيمارستانات[(١)] في الإسلام) ما يلي : (جاء في كتاب كنوز الذهب في تاريخ حلب عن المختار ابن الحسن بن بُطلان : أنه هو الذي بنى البيمارستان بأنطاكية وقال : وقفت على مقالة وضعها ابن بطلان في علة نقل الأطباء تدبير الأمراض . . . صنفها سنة ٤٥٥ هـ ١٠٦٣ م بأنطاكية قال في آخرها : قال المختار بن الحسن : صنفت هذه المقالة لصديق لي وأنا يومئذٍ مكدود الجسم منقسم الفكر في جمع الآلات لبناء بيمارستان أنطاكية . . .) . . . . وتوفي سنة ٤٥٥ هـ وقيل ٤٥٨ هـ .) .



ألبيمارستن ألمؤيدي بناه ألسلطان ألمؤيد شيخ عام 1418م بألقاهره

---

(١) ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥ .

بيمارستان نيسابور
أو
دار المرضى بنيسابور

أنشأ هذا البيمارستان عبد الملك بن أبي عثمان محمد بن إبراهيم أبا سعيد النيسابوري والذي يُلقب به (الخركوش) .

كان عبد الملك ، فقيهاً ، متعبداً ، زاهداً ، ذهب إلى مكة المكرمة من وطنه نيسابور للمجاورة بمكة المكرمة بالمسجد الحرام المبارك . وبعد رجوعه أنشأ دار المرضى وجعل عليها الأوقاف ومكتبة جيّدة .

وقد توفي الخركوش سنة ٤٠٧ هـ . علاوة على هذه الدار فقد أنشأ بيمارستاناً في نيسابور وأنشأه الوزير السلجوقي الحسن بن علي بن إسحاق وبهذا الصدد فقد جاء في كتاب (تاريخ البيمارستانات في[1] الاسلام) ما يلي : (. . . وذكر ابن الملقن الأندلسي أن الحسن بن علي بن إسحاق الوزير نظام الملك من وزراء السلجوقية بنى بيمارستاناً بنيسابور ، ويُقال إنه كان يتصدق في بكرة كل يوم بألف دينار وتوفي في رمضان سنة ٤٨٥ هـ .) .

ومدينة نيسابور أو شابور كما تسمى أحياناً ، كانت عاصمة لمقاطعة خراسان وفيها وُلد عمر الخيام ، العالم الشاعر ، الذي قد ساهم في إصلاح

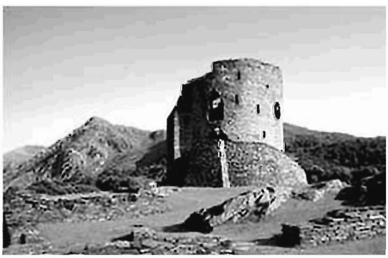
---

(١) ص ٢٦٨ .

الحساب السنوي وله من المصنفات : (مشكلات الحساب) و(رباعيات الخيام) وتوفي سنة ١١٣٢ م .

كانت نيسابور من أعظم المدن الإسلامية في القرون الوسطى .

ويقول العلّامة ياقوت الحموي عن نيسابور في كتابه[١] : (نَيْسابور : بفتح أوله ، والعامة يسمونه نَشَاوور ، وهي مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة معدن الفضلاء ، ومنبع العلماء لم أرَ فيها طَوَّفت من البلاد مدينة كانت مثلها . قال بعضهم : إنما سميت بذلك لأنّ سابور مرّ بها وفيها قصب كثير فقال : يصلح أن يكون ههنا مدينة . . . وقيل في تسمية نيسابور . . . . إن سابور لما فقدوه حين خرج من مملكته . . . خرج أصحابه يطلبونه فبلغوا نيسابور فلم يجدوه فقالوا : نيست سابور أي ليس سابور . . . وقد خرج منها من أئمة العلم ما لا يحصى منهم : الحافظ الإمام أبو علي الحسين بن علي بن داود بن يزيد النيسابوري . . . وأبو عبدالله بن منده . . .) .



بقايا بيمارستان نيسابور

---

(١) معجم البلدان ص ٣٣١ ـ ٣٣٣ .

البيمارستان الدَّقاني

تقول بعض المصادر إن هذا البيمارستان أنشأه دّقان بن تُتُش السلجوقي الذي كان حاكماً على دمشق في عهد السلجوقيين .

والسلاجقة ، أُمراء من التركمان ، ينسبون إلى عشيرة الغز التركية وظهروا في إيران واعتنقوا الإسلام ، وينسبون إلى جدّهم سلجوق . ومؤسس دولة السلاجقة هو ركن الدين أبو طالب طُغُرل بك الذي دخل بغداد وقضى على البويهيين سنة ١٠٥٥ ، فأعترف به الخليفة العباسي وخلع عليه لقب السلطان وملك الشرق والغرب . وبقيادة ألب أرسلان ابن أخي طغرل بك فتحوا أرمينيا وقسماً كبيراً من آسيا الصغرى والشام . وفي القرن الثاني عشر تقسمت الدولة السلجوقية ، وخلفتها دول متعددة منها : الدولة الزنكية ، وأمبراطورية خوارزم ، وسلطنة الروم .

ولقد حكم دَقان السلجوقي دمشق من سنة ٤٨٩ ـ ٤٩٧ هـ (١٠٩٥ ـ ١١٠٣م) .

ويقول الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه[1] ما يلي : (البيمارستان الدَّقاني منسوب إلى دَقان بن تُتُش السلجوقي أحد حكام دمشق في عصر

---

(١) تاريخ البيمارستانات في الاسلام ص ٢٥٩

السلاجقة ، قال ابن كثير : في ليلة الجمعة الحادي والعشرين من صفر ٧٦٤ عملت خيمة حافلة بالبيمارستان الدَّقاني جوار الجامع بدمشق بسبب تكامل تجديده . . . وجعل في أعاليه قمريات كبار مضيئة ، وفتق في قبلته إيواناً حسناً زاد في أعماقه أضعاف ما كان . . . وجددت فيه خزائن ومصالح وفُرُش ولحف جدد وأشياء حسنة . . . ولما كانت الجمعة الأخرى دخله نائب السلطنة بعد الصلاة فأعجبه ما شاهده من العمارة وأخبره عما كان حاله قبل هذه العمارة ، فأستجاد ذلك من صنيع الناظر وهو الصاحب تقي الدين بن مراجل وذلك في سنة ٧٦٤ هـ والسلطان بالديار المصرية والشامية والحجازية الملك المنصور صلاح الدين محمد بن الملك المظفر حاجي ابن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاون الصالحي . . . .) .



مجمع ألسلطان قلاوون بناه ألمنصور قلاوون عام 1284م في ألقاهره وهو يضم مسجد ومدرسه وبيمارستان.

الفصل الثاني عشر
مستشفيات القرن السادس الهجري (١٢ م)

١ ـ البيمارستان الصلاحي في القاهرة

٢ ـ بيمارستان الاسكندرية

٣ ـ بيمارستان الموصل

٤ ـ البيمارستان النوري في دمشق

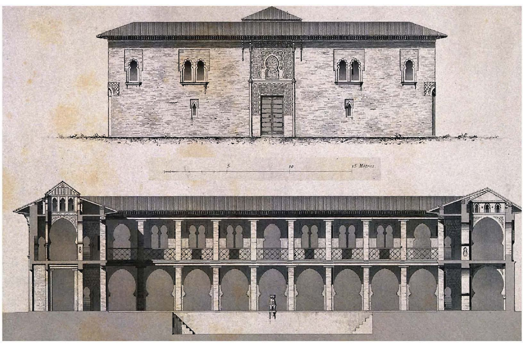
٥ ـ البيمارستان النوري في حلب

٦ ـ البيمارستان الصلاحي في القدس الشريف

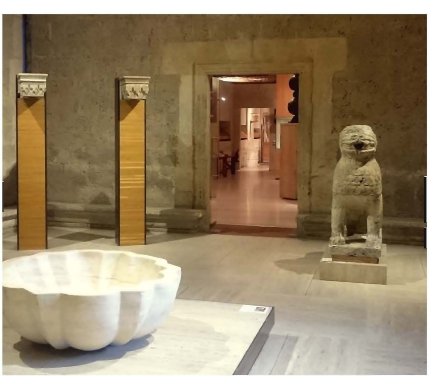
٧ ـ بيمارستان عكا

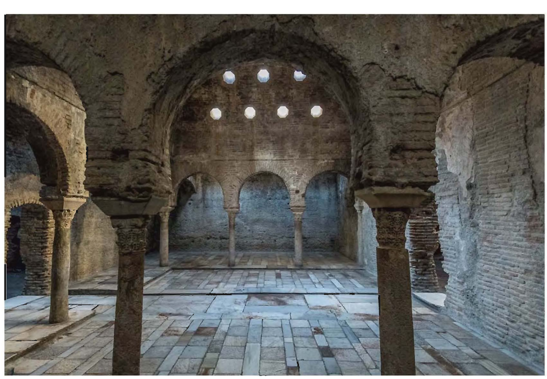
٨ ـ بيمارستان مراكش



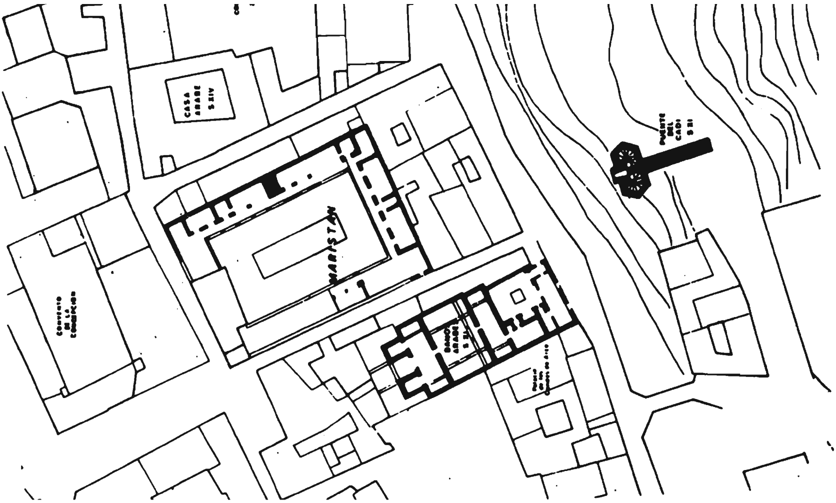








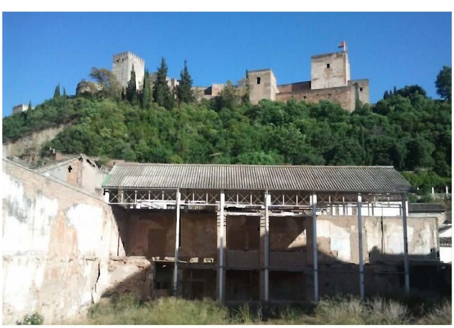
بيمارستان غرناطه. أنشأه ألسلطان محمد ألخامس عام 1365م وتم تدميره
عام 1495م عندما سُلّمت غرناطه لفردناند وإزابيلا



موقع ألبيمارستان بألنسبه للمباني ألمجاوره



صوره تصوريه للبيمارستان



صوره واقعيه للبيمارستان



ألحجر ألتأسيسي للبيمارستان

البيمارستان الناصري أو الصلاحي

شيّد هذه المستشفى السلطان صلاح الدين الأيوبي في القاهرة وهو مؤسس الدولة الأيوبية في مصر ، وهي أسرة كردية من أقوى الأسرات الاسلامية في الشرق العربي حكمت مصر والشام واليمن من سنة ١١٦٩ - ١٢٥٠ م ، وآخر سلاطينها هو الموحد تقي الدين عبدالله بن توران شاه (١٢٤٩م) .

حكم صلاح الدين مصر سنة ١١٦٩م وخلفه بعد موته العزيز عثمان ابن صلاح الدين سنة ١١٩٣م . وفي سنة ١١٣٧ م وُلد صلاح الدين في تكريت ، وعاش عشرة سنوات في دمشق في بلاط نور الدين زنكي وبعد أن رافق آخر حملة بقيادة عمه شيركوه التي أرسلها نور الدين زنكي ضد الفاطميين بمصر وذلك سنة ١١٦٨ م وجعل شيركوه نفسه وزيراً في مصر أصبح صلاح الدين وزيراً بعد موت عمه شيركوه سنة ١١٦٩م وأسس دولة الأيوبيين . في مصر وامتد حكمها للشام واليمن بعد أن فتح صلاح الدين فلسطين واليمن واستولى على دمشق والموصل وحلب سنة ١١٧٤م ، وهزم الصليبيين في معركة حطين سنة ١١٨٧م ، ومات صلاح الدين سنة ١١٩٣م ، ودُفن بدمشق .

كان صلاح الدين رجلاً عالماً مثقفاً يحب العلم والعلماء ويشجعهم في طلب العلم .

لقد بنى صلاح الدين المستشفى الناصري في القاهرة ، والمستشفى الصلاحي في القدس الشريف وعدة مدارس في مصر وسورية وبلغت العلوم في زمنه في مصر وسورية مستوى رفيعاً .

وتقول الدكتورة زيغريد هونكه في كتابها (شمس العرب تسطع على الغرب) ص ٢٢٩ : (وأما السلطان صلاح الدين في القاهرة فلقد أختار أحد قصوره الفخمة وحوّله إلى مستشفى ضخم كبير ، المستشفى الناصري ، وانتقى في اختياره ذاك قصراً بعيداً عن الضوضاء) .

ويقول الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه (تاريخ[1] البيمارستانات في الإسلام) : (البيمارستان الناصري أو الصلاحي أو بيمارستان صلاح الدين : لما ملك السلطان صلاح الدين الديار المصرية (سنة ٥٦٧ هـ/١١٧١م وأستولى على القصر ، قصر الفاطميين كان في القصر قاعة بناها العزيز بالله في سنة ٣٨٤ هـ /٩٩٤م ، فجعلها السلطان صلاح الدين بيمارستاناً وهو البيمارستان العتيق داخل القصر . . . ويُقال إن فيها أي القاعة طِلَّسْماً لا يدخلها نمل ، وإن ذلك هو السبب الموجب لجعلها بيمارستاناً . . . . قال القاضي الفاضل في متجددات سنة ٥٧٧ هـ / ١١٨١م ، (أمر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بفتح مارستان للمرضى والضعفاء فأختير مكاناً بالقصر ، وأفرد برسم من جملة الرباع الديوانية ، مشاهرة مبلغها مائتا دينار وغلّات جهتها الفيوم واستخدم له أطباء وكحّالين وجرائحيين وشارفاً وعاملاً وخدّاماً ووجد الناس به رفقاً وبه نفعاً) .

وكان المستشفى الناصري مؤثثاً بأثاث جيد ممتاز وهو من القصر الرائعة وفيه كل ما يحتاجه المريض لمداواته وراحته وبهذا الصدد فقد جاء في كتاب (الطب العربي) الذي وضعه بالانكليزية الدكتور أمين أسعد خيرالله -

(١) ص ٧٦ - ٧٧ .

الجامعة الامريكية بيروت ـ وترجمه للعربية الدكتور مصطفى أبو عز الدين . جاء في ص ٧٤ : (وهاك ما قاله ابن جبير يصف المستشفى الذي بناه صلاح الدين في القاهرة قال : (ومما شاهدناه من مفاخر هذا السلطان المارستان الذي بمدينة القاهرة وهو قصر من القصور الرائعة حسناً وإتساعاً . أبرزه لهذه الفضيلة تأجراً وإحتساباً . وعيّن قيماً من أهل المعرفة وضع لديه خزائن العقاقير ومكّنه من إستعمال الأشربة وإقامتها على اختلاف أنواعها . ووضعت في مقاصير ذلك القصر أسرّة يتخذها المرضى مضاجع كاملة الكسي . وبين يدي ذلك القيم خدمة يتكلفون بتفقد المرضى بكرة وعشية ، فيقابلون من الأغذية والأشربة بما يليق بهم . وبإزاء هذا الموضع موضع مقتطع للنساء المرضى ، ولهن أيضاً من يكفلهن . ويتصل بالموضعين المذكورين موضع آخر متسع الفناء فيه مقاصير عليها شبابيك من الحديد إتخذت مجالس للمجانين . ولهم أيضاً من يتفقد كل يوم أحوالهم ويقابلها بما يصلح لها . والسلطان يتطلع هذه الأحوال كلها بالبحث والسؤال ويؤكد في الاعتناء والمثابرة عليها غاية التأكيد) . (عن رحلة ابن جبير وجه ٥١) .

أما الدكتور أحمد عيسى بك فيقول في كتابه[1] : (وقال علي مبارك باشا : (لما تولى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب السلطنة وفرق أماكن قصر الخلافة على أمرائه ليسكنوا فيها جعل موضعاً منها مارستاناً . وهو المارستان المشهور بالعتيق وجعل بابه من حارة ملوخية ، وهي حارة قائد القواد قديماً وموضعه الآن الدار المعروفة بدار غمري الحصري مع ما جاورها من الدور كما وجدنا ذلك في حجج الأملاك وهو بآخر الحارة من جهة بابها الصغير الذي من جهة قصر الشوك ويدخل منه إلى البيمارستان العتيق . . . .) .

---

(١) تاريخ البيمارستانات في الاسلام ص ٧٩ .

أما عن الأطباء الذين عملوا في البيمارستان الناصري فيقول عنهم المصدر[1] السابق :

(١) رضي الدين الرحبي مولده سنة ٥٣٤ هـ (١١٣٩م) . .

(٢) إبراهيم بن الرئيس ميمون . . . منشؤه فسطاط مصر . . . توفي سنة نيف وثلاثين وستمائة وعاش ٨٦ سنة . . .

(٣) ابن أبي أصيبعة . . . توفي سنة ٦٨٨ هـ / ١٢٦٩ م . . .

(٤) الشيخ السديد بن أبي البيان . . مولده سنة ٥٥٦ هـ / ١١٦٠ م بالقاهرة . . .

(٥) القاضي نفيس الدين بن الزبير . . . وتوفي سنة ٦٣٦ هـ (١٢٣٨ م) .



إعتمد أطباء المسلمين بشكل كبير على الأعشاب والعسل والمواد ذات المنشأ الطبيعي في تصنيع الأدويه.

---

(١) تاريخ البيمارستانات في الاسلام تأليف الدكتور أحمد عيسى بك ص ٧٩ ـ ٨٢ .

بيمارستان الإسكندرية

بنى هذا البيمارستان السلطان صلاح الدين الأيوبي وذلك عندما دخل الاسكندرية سنة ٥٧٧ هـ . وبهذا الصدد يقول الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه (تاريخ البيمارستانات[1] في الإسلام) ما يلي : (بيمارستان الاسكندرية : قال تقي الدين المقريزي ـ كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك : في السابع عشر من شوال سنة ٥٧٧ هـ سار السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب إلى الإسكندرية فدخلها في الخامس والعشرين من شهر شوال وشرع في قراءة الموطأ ، وأنشأ بها مارستاناً وداراً للمغاربة ومدرسة على ضريح المعظم توران شاه .) .

وتوران[2] شاه : (الملك المعظم : أخو صلاح الدين الأيوبي ، حكم النوبة ثم أرسل في حملة إلى اليمن فأحتل زبيد ١١٧٤ وعدن وصنعاء . حكم سورية ثلاث سنوات توفي في الإسكندرية ١١٨٠) .

---

(١) ص ٨٢ .

(٢) المنجد في الاعلام ـ طبعة ثانية ص ١٥٦ .

بيمارستان الموصل

بنى الأمير مجاهد الدين قايماز مجمعاً من الأبنية بجوار بعضها البعض في مدينة الموصل على نهر دجلة .

وكانت هذه الأبنية عبارة عن رباط ومدرسة وبيمارستان وبنيت سنة ٥٧٢ هـ .

وكان الأمير مجاهد رجلاً ورعاً وتقياً كثير الصدقات ، وبهذا الصدد يقول الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه (تاريخ البيمارستانات في[1] الإسلام) ما يلي : (الأمير مجاهد الدين . . . مات سنة ٥٩٥ هـ . . . وكان دَيّناً ، صالحاً يتصدق كل يوم خارجاً عن الرواتب بمائة دينار وكان يصوم في السنة ستة شهور . . . وبنى بالموصل الجامع والمدرسة والرباط والمارستان (تاريخ الاسلام للذهبي ، وشذرات الذهب لابن العماد ، والبداية والنهاية .) .

وقد تولى الأمير مجاهد نيابة قلعة الموصل وهو من أصل رومي جاء للموصل سنة ٥٧١ هـ ، وفوض إليه صاحب الموصل أمورها .

---

(١) هامش ص ٢٠٠ .

البيمارستان النوري

كان المستشفى النوري من أهم المستشفيات التي شيّدت في مدينة دمشق ، وذلك في القرن الثاني عشر حوالي سنة ١١٥٤ م تقريباً . وقد بنى هذا المستشفى نور الدين محمود ، ويُلقب بالملك العادل . وقد ملك دمشق سنة ٥٤٩ هـ /١١٥٤م . وهو ابن عماد الدين زنكي الذي أسس الأسرة النورية أو الزنكيين التي حكمت سورية من سنة ١١٢٧ م حتى ١٢٦٢م . وعماد الدين وحّد شمال سورية والجزيرة وذاق الصليبيون منه الويلات فهزمهم في معارك عديدة وأخضع الموصل والجزيرة الفراتية سنة ١١٢٧ م وأحتل مدينة الرها من الصليبين سنة ١١٤٤ م الذين حكموها حوالي خمسين سنة وقد اغتيل عماد الدين في حصار قلعة جعبر ١١٤٦م فخلفه ابنه نور الدين زنكي الذي حكم سورية من سنة ١١٤٦ حتى ١١٧٤م وقد حرر الكثير من مدن سورية وفلسطين من الصليبيين وأحتل بانياس منهم سنة ١١٦٤م . وكان عصر نور الدين بداية نهاية الصليبيين في الشرق العربي وفي عصره أيضاً انتعشت العلوم والفنون وشيد العديد من الحصون والمساجد . لقد مات فدفن في مدرسة دمشق ، وكان قائد جيوش نور الدين زنكي هو صلاح الدين الأيوبي الذي استولى بعد وفاة نور الدين سنة ١١٧٤م على دمشق والموصل وحلب وكان قد أسس صلاح الدين الأسرة الأيوبية في مصر سنة ١١٧١م ، ونصب نفسه سلطاناً على مصر . وكان صلاح الدين مع عمه

الأمير شيركوه في الحملة التي أرسلها نور الدين ضد الفاطميين في مصر سنة ١١٦٤ ثم في حملة سنة ١١٦٧ و١١٦٨ . وقد جعل شيركوه نفسه وزيراً في مصر ولما مات سنة ١١٦٩ خلفه صلاح الدين الذي أسس الدولة الأيوبية في مصر . وهزم الصليبيين في معركة حامية الوطيس سنة ١١٨٧ وهي معركة حطين الفاصلة وسقط بيت المقدس بيده على أثر تلك المعركة .

وفي عام ٥٤٩هـ / ١١٥٤م بنى نور الدين زنكي المستشفى النوري في دمشق وكان رئيسها الطبيب الشهير أبو الحكم .

وقد جاء في كتاب (الطب العربي) للدكتور أمين أسعد خيرالله[1] : (المستشفى النوري . . . يُقال إن المال الذي أُنفق على بنائه كان فدية أحد أمراء الأفرنج الصليبيين الذي أطلق زنكي سراحه (المقريزي ج ٢ ص ٤٠٨) . وقد أشترى بدر الدين ابن قاضي بعلبك الذي تولى إدارته سنوات بضعة بيوت مجاورة للمستشفى وأضافها إليه ووسعه وزيّن قاعاته وجلب المياه إلى أقسامه . وقد زار هذا المستشفى الرحالة ابن جبير عام ١١٨٤ م وكتب عنه في كتابه (رحلة ابن جبير) ما يأتي : (في دمشق مستشفيان أحدهما قديم والآخر جديد وهو الأكبر والأهم . . . وكان مدير المستشفى يحفظ سجلاً خاصاً يدوّن فيه أسماء المرضى والمصروف على الطعام والدواء وبقية اللوازم) (رحلة ابن جبير وجه ٢٦٣) .

وجاء في كتاب (شمس العرب تسطع على الغرب)[2] تأليف الدكتورة زيغريد هونكه : (ويروى أن رجلاً نبيلاً من نبلاء الفرس جاء مرة لزيارة مستشفى (النوري في دمشق) وكانت له دوماً شهوة قوية متجددة للأكل ، ولدى زيارته هذه فاحت رائحة الشواء أمامه فملأت منخريه ، وسال لعابه ،

---

(١) ص ٨٤ .
(٢) ص ٢٢٩ ـ ٢٧٠ .

ووّد في ذات نفسه أن يصبح بأسرع ما يمكنه مريضاً عليلاً . فدخل المستشفى وأنينه يملأ الجو ، فعاينه الطبيب طويلاً دون أن يجد فيه علّة فطرح عليه بعض الأسئلة ، وأيقن أنه أمام جشع نهم ، علته في بطنه ، فلم يقل له أية كلمة ، وإنّما حوله إلى قسم الأمراض الداخلية ، ووصف له الطبيب هناك شيئاً من العسل مع كبد الطيور والكمأ المقلي وقليلاً من (المربيات) والليمون وكل أنواع الحلوى المسيلة للعاب وذلك مرتين يومياً . ولم تكد تمضي ثلاثة أيام حتى ضعفت مقاومة (المريض) وأصبحت معدته في خطر ، عندئذٍ قال له الطبيب : (لقد تمتعت يا صاحبي بالضيافة العربية أياماً ثلاثة فأذهب الآن في سلام الله . . .) .

ويقول الدكتور مصطفى السباعي في كتابه[1] (من روائع حضارتنا) عن المستشفى النوري الكبير بدمشق : (. . . كان حين بنائه من أحسن ما بني من المستشفيات في البلاد كلها ، شرط فيه أنه على الفقراء والمساكين ، وإذا أضطر الأغنياء إلى الأدوية التي فيه يسمح لهم بها ، وكان الشراب فيه والدواء مباحاً لكل مريض يقصده . وقد دخله ابن جبير الرحالة عام ٥٨٠ هـ ، فوصف عناية الأطباء بالمرضى ، وتفقدهم لشؤونهم ، وإعداد ما يصلحهم من الأدوية والأغذية وكان فيه قسم خاص للأمراض العقلية ، يوثق فيه المجانين بالسلاسل مع العناية بعلاجهم وغذائهم . . . وقد استمر هذا المستشفى يقوم بعمله العظيم حتى سنة ١٣١٧هـ ، حيث أنشىءمستشفى الغرباء ، وهو المستشفى الذي تشرف عليه الآن كلية الطب في الجامعة السورية ، فأقفل المستشفى النوري ، ثم استعمل مدرسة أهلية .

ويقول الدكتور سلمان قطاية في كتابه[2] : (ابن النفيس) عن

---

(١) الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧ ص ١٤٤ ـ ١٤٥ .
(٢) ص ٣٨ .

المستشفى النوري : (.... تهدم معظمه ، أما ما تبقى منه فقد حوّل إلى متحف لتاريخ الطب العربي ...) .

أما الدكتور أحمد عيسى بك فيقول في كتابه (تاريخ البيمارستانات[1] في الإسلام) عن البيمارستان الكبير النوري ما يلي : (... أنه لم تخمد منه النار منذ بُني ...

وقال ابن جبير ، وقد دخل دمشق سنة ٥٨٠ : وبها مارستانان قديم وحديث ، والحديث أحفلهما وأكبرهما وجرايته في اليوم نحو الخمسة عشر ديناراً ، وله قَوَمَة وبأيديهم الأزِمّة المحتوية على أسماء المرضى وعلى النفقات التي يحتاجون إليها في الأدوية والأغذية وغير ذلك حسبما يليق بكل إنسان منهم ، والأطباء يبكرون إليه في كل يوم ، ويتفقدون المرضى ويأمرون بإعداد ما يصلحهم من الأدوية والأغذية . والمارستان الآخر على هذا الرسم ، لكن الاحتفال في الجديد أكثر وهذا المارستان القديم هو غربي الجامع المكرم ... وكان نور الدين رحمه الله قد وقف على هذا البيمارستان جملة كتب من الكتب الطبية ، وكانت في الخرستانين اللذين في صدر الإيوان ... وقال خليل بن شاهين الظاهري بعد أن زار دمشق : وبها مارستان لم ير مثله في الدنيا قط .... ولما أتى بدر الدين ابن قاضي بعلبك إلى دمشق ولاه الملك الجواد مظفر الدين يونس بن شمس الدين مَوْدود بن الملك العادل بعد أن تملّك دمشق في سنة ٦٣٥ الرياسة على جميع الأطباء ، والكحالين والجرائحيين ، فلم يزل مجتهداً حتى اشترى دوراً كثيرة ملاصقة للبيمارستان الكبير النوري ... أضاف هذه الدور المشتراة إليه وجعلها من جملته ، وكبّر بها قاعات كانت صغيرة وبناها أحسن البناء وشيّدها وجعل الماء فيها جارياً ....

---

(١) ص ٢٠٦ ـ ٢١٤ .

وذكر ابن تغري بردي أن شيخ الإسلام شهاب الدين الغزي المتوفي سنة ٨٢٢ هـ تولى نظر البيمارستان النوري . . . إن البيمارستان الكبير النوري ظل عامراً يعالج فيه المرضى إلى سنة ١٣١٧ هـ (١٨٩١ م) وكان أطباؤه وصيادلته لا يقلون عن العشرين حتى قامت بلدية دمشق في عهد ولاية حسين ناظم باشا والي سورية سابقاً بإنشاء مستشفى للغرباء في الجانب الغربي من تكية السلطان سليمان ، المطلة على المرج الأخضر ، وجمعت له الإعانات بأساليب مختلفة ، من واردات البلدية ، وأوقاف البيمارستان النوري لتنفق عليه ، وسمي المستشفى الحميدي نسبة إلى السلطان العثماني عبد الحميد الذي بني المستشفى الجديد في عهده ، وهكذا خلف المستشفى الحميدي البيمارستان النوري نفسه فقد جعل مدرسة للبنات ولا تزال واجهته على حالها وبها بعض الحجرات والنوافذ من البناء القديم . . . ومن شرط وقفه الذي أشهد به على نفسه أنه وقف على البيمارستان المعروف باسمه وجعله مقراً لتداوي الفقراء والمنقطعين من ضعفة المسلمين الذين يرجى برؤهم وهو يستعدي إلى الله تعالى على من يساعد في تغيير مصارف وقفه وإخراجها عما شرط حاكمة وتخاصمه بين يديه . . . .)

لقد كان البيمارستان النوري الكبير معهداً طبياً عالياً يدرس فيه أطباء نطاسيون ، مثل أبي المجد بن أبي الحكم ، وكان يتقاضى جراية على ذلك مقابل معالجة المرضى ، وتفقد أحوالهم العلاجية والمرضية ويكتب لهم ما يحتاجونه من دواء ، وبعد ذلك يتفقد الأحوال المرضية لرجال الدولة من الأعيان وبعدها يذهب إلى البيمارستان حيث يجلس في إيوانه الكبير ويدرس الطلبة العلوم الطبية .

وفي أيام الملك الجواد مظفر الدين يونس بن شمس الدين مَوْدود إبن الملك العادل الذي أصبح ملكاً على دمشق سنة ٦٣٥ هـ عيّن الطبيب بدر الدين ابن قاضي بعلبك رئيساً على جميع الأطباء والكحالين وقد كبّر الحكيم

بـدر الدين قـاعات كـانت صغيـرة في المستشفى واشتـرى دوراً مـلاصقـة لـه وأضافها إليه .

ومن الأطبـاء الذين عملوا في البيمـارستـان الكبيـر النـوري ، مهـذب الـدين النقاش المتـوفي سنة ٥٧٤ هـ /١١٧٨م ، ومـوفق الـدين بن المـطران المولود بدمشق وقد كان نصرانيـاً ولكنه أسلم(١) في أيـام الملك الناصر صـلاح الدين بن يوسف . وتوفي ابن المطران ٥٨٧هـ /١١٩١م .

وكـان يعاصر مـوفق الدين بن المـطران الجرائحي ، ابن حمـدان وكـان يُمارس الطب في المستشفى النوري .

ومن الأطباء الذين عملوا في البيمـارستان النـوري أبو الفضـل بن عبد الكريم المهندس المتوفي ٥٩٩ هـ /١٢٠٣ م والطبيب موفق الدين عبد العزيز وكـان فقيهـاً وطبيبـاً ، وتـوفي ٦٠٤هـ /١٢٠٧م . والـطبيب كمـال الـدين الحمصي وكان يكرهُ التكسب من الطب ويعالج المرضى في المستشفى النـوري احتساباً لوجه الله تعالى ومحبة لعمل الخير .

وعمل الطبيب الأستاذ رشيد بن علي خليفة في المستشفى النـوري وكان له مجلساً لتدريس العلوم الطبية وتوفي سنة ٦١٦ هـ .

أما استاذ الطب الشهير هو مهذب الدين عبد الرحيم بن علي بن حامد وكـان يدعى بـالدخـوار ، وُلـد بـدمشق وعمـل في بـادىء حيـاتـه كحـالاً في البيمـارستان النـوري ثم مارس مهنـة الطب ، ورحـل إلى مصر وخدم الملك العـادل أبا بكـر بن أيوب وأصبـح الدخـوار رئيساً لـلأطبـاء في مصر وبـلاد الشام . وبعد ذلـك رجع لـدمشق ومارس مهنـة الطب في المستشفى النـوري وأصبـح أستاذاً عـظيماً في العلوم الـطبية ووقف بيتـه العـظيم وجعله مـدرسـة للطب وجعل لها أوقافاً ومواضع عديدة لينفق من ريعها على المدرسة .

ولقد توفي ابن الدخوار سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٨٠م .

---

(١) ص ٢١٦ كتاب تاريخ البيمارستانات في الاسلام ـ تأليف الدكتور أحمد عيسى بك

البيمارستان النوري بحلب
أو البيمارستان العتيق

بنى هذا البيمارستان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي في حلب بالقرب من سوق الهواء .

ونور الدين زنكي استولى على حلب بعد اغتيال والده سنة ١١٤٦ م على يد بعض المماليك ، وكان عماد الدين زنكي والد نور الدين من أبرز الأمراء في العهد السلجوقي ، وكان والياً على الموصل ونصيبين وسنجار وحرّان وفتح حلب ١١٢٨ م ، وحماه ١١٢٩ وحارب الصليبيين وانتزع الرها منهم سنة ١١٤٤ ولكنه لم يستطع فتح دمشق وحمص . وبعد وفاة عماد الدين أقتسم مملكته ولداه وهما : سيف الدين غازي الذي أصبح حاكماً على الموصل والجزيرة ، ونور الدين أبو القاسم محمود الذي صار حاكماً على الحلب ، واحتل الرها من الصليبين سنة ١١٤٦م التي كانت مقدسة بالنسبة للصليبيين فقامت الحملة الصليبية الثانية بقيادة ملك فرنسا لويس السابع وملك المانيا كونراد الثالث اللذين هزمهما نور الدين عندما حاصرا حلب . وسنة ١١٥٤م استولى نور الدين على دمشق وتوفي سنة ١١٧٤م بعد أن أحرز انتصارات عظيمة على الصليبيين .

وجاء في الموسوعة[١] العربية الميسرة : (. . . كان نور الدين مثالاً

---

(١) الطبعة الثانية ص ١٨٥٧

للحاكم الفاضل ، غيوراً على الاسلام معنياً بصالح رعيته . فلم ينفق أمواله إلا لنفع العامة . بنى دور العلم والبيمارستانات والمساجد . كما أنشأ في دمشق دار الحديث والبيمارستان المشهور .) .

وجاء في كتاب (تاريخ البيمارستانات[٢] في الإسلام) تأليف الدكتور أحمد عيسى بك : (. . . قال في الدر المنتخب إن البيمارستان النوري بناه الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بحلب داخل باب أنطاكية بالقرب من سوق الهواء في محلة الجلّوم الكبرى في الزقاق المعروف الآن بزقاق البهرمة ، ويُقال إن الملك العادل نور الدين تقدم إلى الأطباء أن يختاروا في حلب أصح بقعة صحيحة الهواء لبناء البيمارستان بها ، فذبحوا خروفاً وقطعوه أربعة أرباع ، وعلقوها بأرباع المدينة ليلاً ، فلما أصبحوا وجدوا أحسنها رائحة الربع الذي كان في هذا القطر ، فبنوا البيمارستان فيه ، ووقفت عليه قرية معراتا ونصف مزرعة وادي العسل من جبل سمعان وخمسة أفدنة من مزرعة كفرتابا وثلث مزرعة الخالدي ، وطاحوناً من المطخ وثُمْن طاحون ظاهر باب الجنان وثمانية أفدنة من مزرعة أبو مرايا من غُراز ، وخمسة أفدنة من مزرعة الحميرة من المطخ وأثني عشر فداناً من مزرعة الغرزل ، من المعرّة وثلث قرية بيت راعيل من العزبيات وعشرة دكاكين بسوق الهواء وهو الآن معروف بسوق الجمرك . . . وفي هذا المارستان قاعة للنساء مكتوب عليها عمّر هذا المكان في دولة صلاح الدين يوسف بن أيوب بتولي أبي المعالي محمود بن عبد الرحمن . . . في شهر رمضان سنة ٦٥٥ هـ (١٢٥٧ م) . . . . وقال القلقشندي عن حلب : وبها بيمارستان حسن لعلاج المرضى وقال : من الوظائف الديوانية نظر البيمارستان ، وقد تقدم الكلام على مدينة حلب بها بيمارستانين أحدهما يعرف بالعتيق والآخر بالجديد

---

(٢) ص ٢٢٤ ـ ٢٢٦ .

ولكل منهما ناظر يخصه وولاية كل منهما عن النائب بتوقيع كريم ، ولعلّ العتيق منهما هو الذي أنشأه نور الدين محمود بن زنكي وهو هذا والثاني منهما ، وهو الجديد هو الذي أنشأه الأمير أرغون الكاملي بحلب . . .) .

وجاء في كتاب (تاريخ البيمارستانات[1] في الإسلام) : (وروى صاحب كنوز الذهب في تاريخ حلب أن المختار بن الحسن بن عبدون المعروف بابن بطلان هو الذي وضع البيمارستان بحلب ، وجدّد نور الدين محمود زنكي عمارته) .

وجاء في نفس المصدر والصفحة : (ذكر ابن القفطي أن المختار بن الحسن بن عبدون المعروف بابن بُطلان خرج من بغداد في مستهل شهر رمضان سنة ٥٤٠ هـ مصعداً ، فوصل إلى حلب فوجد فيها جامعاً وست بيع وبيمارستاناً صغيراً .

أما الدكتورة زيغريد هونكه فتقول في كتابها[2] (شمس العرب تسطع على الغرب) : (ابن بطلان . . . طبيب نصراني من أهل بغداد . . . خرج عن بغداد إلى الجزيرة والموصل وديار بكر ، ودخل حلب وأقام بها مدة وما حمدها وخرج عنها إلى مصر . . . وورد أنطاكية راجعاً عن مصر وأقام بها وقد سئم كثرة الأسفار . . .) .

مما تقدّم نرى أن أبا الحسن المعروف بابن بطلان دخل حلب وما حمدها كما ذكرت ذلك الدكتورة زيغريد هونكه ، فمعنى ذلك ومن البديهي أن لا يكون ابن بطلان هو الذي بنى بيمارستاناً في حلب لأنه لم يحمدها ورحل عنها ولم يرجع إليها بل استقرّ في أنطاكية حيث بنى بيمارستاناً فيها .

---

(١) ص ٢٢٤ .

(٢) ص ٣٤٨ .

بيمارستان القدس
أو
البيمارستان الصلاحي

أقام هذه المستشفى صلاح الدين الأيوبي وذلك عام ٥٨٣ هـ الموافق ١١٨٧ م ، وذلك بعد أن حرّر القدس من الصليبيين وطردهم منها وبهذا الصدد فقد جاء في كتاب (بلادنا فلسطين) الجزء التاسع[١] : (ومن إنشاءات صلاح الدين الأيوبي رضي الله عنه في القدس : المستشفى أو البيمارستان حسب تسمية تلك الأيام وفي هذا يقول (الأنس الجليل)[٢] : (وجعل الكنيسة المجاورة لدار الاسبتار بقرب القيامة بيمارستاناً للمرضى ووقف عليه مواضع . وضع فيه ما يحتاج من الأدوية والعقاقير (وقد ذكر في هامش الصفحة[٣]) (٤ ـ وفي المفصل في تاريخ القدس[٤] : (أنشىء البيمارستان في الحي المعروف الآن بالدباغة . وكان فيما مضى يشمل المكان المعروف بسوق البازار . . .) وقد كان لهذا المستشفى مكانة في تعليم الطب ، إذ كان علم الطب يدرس فيه . . .

---

(١) ص ٢٠٧ .

(٢) ص ٢٥١ .

(٣) هامش ص ٢٠٧ .

(٤) ص ١٧٨ ـ ١٧٩

وتقول الموسوعة الفلسطينية[1] عن البيمارستان الصلاحي في القدس : (هو من مآثر السلطان صلاح الدين الأيوبي ، وقد جاء عنه في كتاب الأنس الجليل لمجير الدين العليمي الحنبلي ما يلي : (وجعل الكنيسة المجاورة لدار الاسبتار بقرب قمامة (كنيسة القيامة) بيمارستاناً للمرضى ووقف عليه مواضع ، ووضع فيه ما يحتاج من الأدوية والعقاقير ، وفوّض النظر والقضاء في هذا الموقف إلى القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع ابن تميم المشهور بإبن شدّاد لعلمه بكفاءته) .

وجاء في كتاب سيرة صلاح الدين لابن شدّاد ما يلي : (وأمرني السلطان بالمقام في القدس الشريف لعمارة بيمارستان أنشأه فيه ، وإدارة المدرسة التي أنشأها فيه إلى حين عودته، وسار من القدس الشريف ضحوة نهار الخميس في سادس شوال ٥٨٨ هـ (١٥ تشرين الأول ١١٩٢م) . وكان السلطان قد أنشأ هذا البيمارستان سنة ٥٨٣هـ /١١٨٧م عندما فتح القدس ، وكان واحداً من عدة مؤسسات علمية وخيرية أنشأها صلاح الدين في المدينة وفي الديار المقدسة ، وكان من أوائل القائمين عليه يعقوب بن صقلاب النصراني المقدسي المشرقي الملكي (توفي سنة ٦٢٥ هـ /١٢٢٨م) ورشيد الدين الصوري (توفي سنة ٦٣٩ هـ /١٢٤٢م) ويقول بعضهم : إن هذا البيمارستان لم يعمّر طويلاً ، وإنه اندثر نهائياً في العام ٨٦٣ هـ /١٤٥٨م ، لكن عارف العارف استناداً إلى سجلات المحكمة الشرعية بالقدس ، يجزم أنه استمر حتى القرن الثامن عشر .

ويقول الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه (تاريخ البيمارستانات[2] الإسلامية) : (بيمارستان القدس : رحل السلطان صلاح الدين إلى القدس

---

(١) المجلد الأول ص ٤٩٦ ـ طبعة أولى ١٩٨٤ .

(٢) ص ٢٣٠ ـ ٢٣٣ .

في اليوم الرابع عشر من شهر رمضان سنة ٥٨٣ هـ ، وأمر بتشييد أسواره وزاد في وقف المدرسة التي عملها بالقدس وهذه المدرسة كانت قبل الإسلام تعرف بصَنْدِحَنّة (Sainte anne)يذكرون بها أن قبر حنَّة أم مريم عليها السلام ، ثم صارت في الإسلام دار علم قبل أن يملك الأفرنج القدس . ثم لما ملك الأفرنج القدس سنة ٤٩٢ هـ أعادوها كنيسة كما كانت قبل الإسلام ، ولما فتح السلطان صلاح الدين القدس أعادها مدرسة وفوض تدريسها إلى القاضي بهاء الدين بن شدّاد ، وأمر بأن تجعل الكنيسة المجاورة لدار الأشبيتار بقرب حمّامه مارستاناً للمرضى ووقف عليها مواضع وشهر أدوية وعقاقير غزيرة وفوّض القضاء والنظر في هذه الوقوف إلى القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع أبي تميم . وقال النويري قد عزم السلطان صلاح الدين على الحج ثم عاد إلى القدس ورتب أحواله ، وعيّن الكنيسة التي في شارع قمامة البيمارستان ، ونقل إليه العقاقير والأدوية .

وأشار ابن القفطي إلى بيمارستان القدس بقوله : إن يعقوب ابن صقلاب النصراني أقام على حالته بالقدس في مباشرة البيمارستان إلى أن ملكه المعظم عيسى ابن الملك العادل أبي بكر ابن أيوب سنة ٦١٥هـ .

وقد كتب إليَّ الأستاذ العالم عادل جبر بك مدير المتحف الاسلامي ودار الكتب بالقدس الشريف عن هذا المارستان فقال : إن بالقدس حارة تسمى الدباغة والمشهور المتداول على ألسنة الناس أن البيمارستان الصلاحي كان في هذه الجهة ثم أدركه الخراب كما أدرك غيره . . . .) .

ويستطرد ويقول الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه السابق : (. . . الأطباء الذين خدموا بصناعة الطب في مارستان القدس : ١ ـ يعقوب بن صقلاب النصراني المقدس المشرقي الملكي ، مولده بالقدس الشريف قرأ الحكمة والطب ، وأقام بالقدس في مباشرة البيمارستان إلى أن ملكه الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل فنقله إلى دمشق فاختص به وارتفعت عنده

حاله . . . وتوفي يعقوب في حدود سنة ٦٢٦هـ .

٢ ـ رشيد الدين الصوري : هو أبو المنصور بن أبي الفضل بن علي الصوري ، كان أوحد زمانه في معرفة الأدوية المفردة وماهيتها ، وإختلاف أسمائها وصفاتها وتحقيق خواصها مولده في سنة ٥٧٣ هـ ، بمدينة صور ونشأ بها ثم انتقل عنها وأشتغل بصناعة الطب على الشيخ عبد اللطيف البغدادي ، وأقام بالقدس وكان يطبب في البيمارستان الذي كان فيه وخدم الملك العادل ثم الملك المعظم عيسى ثم ولده الملك الناصر داود ، وتوفي يوم الأحد أول شهر رجب سنة ٦٣٩ هـ (١٢٤٢م) .

وعن البيمارستان الصلاحي فقد جاء في كتاب كنوز القدس ص ٩٢ ـ ٩٥ تأليف معالي المهندس رائف نجم ، والدكتور عبد الجليل عبد المهدي ـ الجامعة الأردنية ـ كلية الآداب . ويوسف النتشة ـ دائرة أوقاف القدس ـ رئيس قسم الآثار والمهندس بسام الحلاق ـ دائرة أوقاف القدس ـ قسم الآثار ، وعبدالله كلبوتة ـ دائرة أوقاف القدس ـ قسم الآثار . جاء في ص ٩٢ ـ ٩٣ من ذلك المصدر : (البيمارستان الصلاحي : أقامه السلطان صلاح الدين الأيوبي في سنة ٥٨٣ هـ ـ ١١٨٧م عقب تحرير القدس من الاحتلال الصليبي ، وكان الفاطميون قد أنشأوا أول بيمارستان في القدس ثم وسّعه الصليبيون . وهو البيمارستان الذي وقفه صلاح الدين ، وعيّن له كبار الأطباء ، ووقّف عليه أوقافاً كثيرة . وأصبح ذلك البيمارستان من أشهر البيمارستانات في تلك الفترة . وكان علم الطب يدرّس فيه إلى جانب ممارسته عملياً .

ويتكون هذا البيمارستان من مجموعة دعامات حجرية تعلوها عقود . وقد قسمت مساحته إلى عدد من القاعات المغطاة بسقوف ذات أقبية متقاطعة أو سقوف برميلية . وكانت كل قاعة من تلك القاعات مخصصة لأمراض مختلفة . تعرّض هذا البيمارستان لزلزال وقع في سنة ١٤٥٨ م وأدّى إلى هدم

أجـزاء كبيرة منـه . ولم يبق من البناء الأصـلي إلا جـزءاً بسيـطاً وهـو البـازار اليوم .

الوضع العا م : متوسط .

الترميمات المطلوبة :

الواجهة الرئيسية ـ صيانة الحجارة المتآكلة ، وإعادة الأجزاء التالفة منها وتنظيفها ، وتكحيلها ـ صيانة الزفور المتآكلة ـ إزالة العناصر المضافة الـدخيلة مثل : الرفوف ـ إزالة الأعشاب ـ تنظيم خطوط المياه والكهـرباء ، ومـزاريب الميـاه . البناء الـداخلي ـ صيـانة الحجـارة ، وتنظيفهـا ، وتكحيلها ، قصـارة العقود ـ فتح الشبابيك والمنـاور المغلقة لإنـارة المكان وتهـويته ـ تـركيب أبواب تلائم طبيعة المكان ـ إزالة العناصر الدخيلة ـ فتح الغرفة المغلقة لإستعمـالها ـ تنظيف حجارة العقـود وصيانتهـا ـ تبليط الأرضية وتكحيلهـا ـ تنظيم خـطوط الكهـرباء ـ تنـظيم شبكة المجـاري ـ إعادة بنـاء الأجزاء المهـدومة وفق طـراز البيمارستان الأصلي .

السطح : تبليط السطح وتكحيله ـ إزالة الأعشاب والأنقـاض ـ تركيب مزاريب للمياه .) .



ممرضات من ألعهد ألعثماني

بيمارستان عكا
أو
البيمارستان الصلاحي في عكا

بنى هذه المستشفى السلطان صلاح الدين في عكا عند مروره فيها بطريقه إلى دمشق . وبهذا الصدد يقول الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه[١] (تاريخ البيمارستانات في الاسلام) : (في سنة ٥٨٣ هـ بعد أن فتح السلطان صلاح الدين بيت المقدس ، واستنقذه من أيدي الصليبيين ، إنصرف إلى دمشق وأجتاز في طريقه إلى عكا ولما وصل إليها نزل بقلعتها ووكل بعمارتها وتجديد محاسنها بهاء الدين قراقوش ، ووقف دار الاشبتار نصفين على الفقراء والفقهاء ، وجعل دار الأسقف مارستاناً ووقف على ذلك كله أوقافاً دارّة وولى نظر ذلك لقاضيها جمال الدين ابن الشيخ أبي النجيب وعاد إلى دمشق مؤيداً منصوراً) .

أما الموسوعة[٢] الفلسطينية فتقول : (البيمارستان الصلاحي في عكا : أنشأه السلطان صلاح الدين جاء في (الأنس الجليل) ما يلي : (ورتب أحوال عكا وأمورها ووقف نصف دار الأسبتار رباطاً للصوفية ونصفها مدرسة للفقهاء ، وجعل دار الأسقف بيمارستاناً للضعفاء) .

---

(١) ص ٢٣٣ .

(٢) المجلد الأول ـ الطبعة الأولى ص ٤٩٦ .

بيمارستان مراكش

في مراكش يوجد بيمارستان أمير المؤمنين المنصور أبي يوسف أو ما يسمى بيمارستان مراكش . وقد أسس هذا البيمارستان السلطان المنصور الموحدي الذي حكم من سنة ١١٨٤م حتى ١١٩٩ م . وهو أحد سلاطين الموحدين أي القائلون بالتوحيد ، وهي سلالة مغربية أسسها المهدي بن تومرت . وقد قضوا على دولة المرابطين بعد أن احتلوا عاصمتهم مراكش سنة ١١٤٦م . ثم امتدت بعدما استولت على الأندلس . وبعد وفاة المنصور الموحدي بدأ انحطاط وإنقسام الدولة .

وإليكم ما يقوله الدكتور مصطفى السباعي في كتابه (من روائع حضارتنا[١] عن مستشفى مراكش : (مستشفى مراكش وهو الذي أنشأه أمير المؤمنين المنصور أبو يوسف من ملوك الموحدين بالمغرب . تخيّر ساحة فسيحة في مراكش بأعدل موضع فيها ، وأمر البنائين بإتقانه على أحسن الوجوه وأمر أن يغرس فيه من جميع الأشجار والمشمومات والمأكولات ، وأجرى فيه مياهاً كثيرة تدور على جميع البيوت زيادة على أربع برك في وسط أحداها رخام أبيض ، ثم أمر له من الفرش النفيسة من أنواع الصوف والكتان والحرير والأديم وغيره ما لا يوصف وأقام فيه الصيادلة لعمل الأشربة والأدهان والأكحال ، وأعد فيه للمريض ثياب ليل ونهار للنوم من جهاز الصيف والشتاء . فإذا نقه المريض ، فإن كان فقيراً أمر له عند خروجه بمال يعيش به ريثما يشتغل ، وإن كان غنياً دفع إليه ماله ، ولم يقصره على الفقراء دون الأغنياء بل كل من مرض بمراكش من غريب حمل إليه وعولج حتى يشفى أو يموت . وكان في كل جمعة يزوره ويعود المرضى ويسأل عن أحوالهم وعن معاملة الأطباء والمرضين لهم) .

---

(١) ص ١٥٠ - ١٥١ .



بيمارستان مراكش ألذي عرف ببيمارستان
أمير ألمؤمنين ألمنصور إبن يوسف



ألمستشفى ألعثماني ألعسكري في غزه

الفصل الثالث عشر

مستشفيات القرن السابع الهجري (١٤م)

١ - البيمارستان المنصوري

٢ - بيمارستان الصالحية أو القيمري

٣ - بيمارستان مكة المكرمة

٤ - بيمارستان المدينة المنورة

٥ - بيمارستان قيسارية

٦ - المدرسة الشفائية بسيواس

٧ - بيمارستان قوتولوغ توركان

٨ - بيمارستان ديوركي

٩ - البيمارستان المنصوري في الخليل

١٠ - بيمارستان سيدي فرج في فاس

البيمارستان المنصوري أو بيمارستان قلاوون أو دار الشفاء

أنشأ هذه المستشفى الملك المنصور قلاوون في القاهرة سنة ٦٨٢ هـ الموافقة سنة ١٢٨٣م وذلك في ١٨ ربيع الأول وقيل في ١٢ منه .

والمنصور قلاوون هو سادس المماليك البحريين (١٢٧٩ ـ ١٢٩٠م) وقد اشتراه الملك الصالح أيوب ثم أعتقه ، انتصر على الأرمن والفرنجة والمغول احتل الكرك والمرقب وطرابلس والعديد من حصون الصليبيين . وهو تركي الأصل . وأصبح ملكاً على مصر سنة ٦٧٨ هـ / ١٢٧٩م . والمماليك كانوا عبيداً عند الأتراك والشراكسة . واستعان الأيوبيون (١١٦٩م ـ ١٢٥٠م) بهم وجندوهم في جيوشهم وفي سنة ١٢٥٠م استطاعوا أن يشيدوا دولة المماليك البحرية (١٢٥٠ ـ ١٣٩٠) ومنهم شجرة الدر (١٢٥٠) والمنصور سيف الدين قلاوون ثم أسسوا دولة المماليك البرجية أو الشراكسة (١٣٨٢م ـ ١٥١٧م) ومنهم الظاهر سيف الدين برقوق (١٣٨٢ ـ ١٣٨٨) وآخرهم طومان باي الثاني (١٥١٦ ـ ١٥١٧م) .

ويقع مارستان أو بيمارستان قلاوون في الشارع الذي يسمى اليوم بشارع المعز لدين الله وكان قديماً بين القصر الكبير الشرقي الذي بناه جوهر فاتح مصر وقائد المعز لدين الله الفاطمي والذي بُني سنة ٣٦٠ هـ ، والقصر

الغربي الصغير الذي بناه العزيز بالله أبو منصور نِزار ، وذلك سنة ٤٥٠ هـ .

وقد كان بيمارستان قلاوون (المنصوري) قاعة للسيدة ست الملك أخت الحاكم بأمر الله منصور وبعد مضي سنين عديدة صارت للملك المفضل قطب الدين أحمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، ثم لذريته من بعده حتى جاء الملك المنصور سيف الدين قلاوون فأخذها من الست عصمة الدين مؤنسة خاتون ابنة الملك العادل ووهبها عوضاً عنها قصر الزُمُرُّد ، ومالاً وأنشأ بعمارتها تلك مارستاناً وقبة ومدرسة .

وإليكم نبذة عن البيمارستان المنصوري كما جاء في كتاب (تاريخ البيمارستانات[1] في الاسلام) : (.... أبقى القاعة على حالها وعملها مارستاناً وهي ذات إيوانات أربعة بكل إيوان شاذوران ، وبدور قاعتها فسقية يصير إليها الماء من الشاذوران ، ولما انجزت العمارة وقف عليها الملك المنصور من الأملاك بديار مصر القياس والرباع والحوانيت والحمامات والفنادق والأحكار وغير ذلك ، والضياع بالشام ما يقارب ألف ألف درهم في كل سنة ورتب مصارف المارستان والقبة والمدرسة ومكتب الأيتام ...) وقد كان إتساع تلك الدار القطبية عشرة آلاف وستمائة ذراع . وسميت القطبية نسبة لقطب الدين .

وقد كان البيمارستان المنصوري يستقبل جميع المرضى سواء كانوا أغنياء أو فقراء ، صغاراً أو كباراً ، احراراً أو عبيداً ، ومن برىء من المرض وتعافى كان يمنح كسوة ومالاً ، والجميع كانوا يتعالجون مجاناً .

وكان في المستشفى طاقماً طبياً من أمهر الأطباء في مختلف التخصصات من رجال ونساء وجراحين وكحالين ومن الأطباء الذين عملوا بالبيمارستان

---

(١) تأليف الدكتور أحمد عيسى بك ص ٨٥ ـ ٨٦ .

المنصوري كما ذكر ذلك الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه[1] : (أحمد بن يوسف بن هلال بن أبي البركات شهاب الدين الصفدي ولد سنة ٦٦١ هـ . . . توفي ٧٣٧ هـ .

والشيخ ركن الدين بن القويع ولد بتونس ٦٦٤هـ ومحمد بن إبراهيم بن ساعد توفي سنة ٧٤٩ هـ ، وعمر بن منصور توفي سنة ٨٢٤هـ ، ومحمد بن إسماعيل أبو الوفاء القاهري ولد بعد سنة ٨٣٠ بالقاهرة ، وتقي الدين الكرماني البغدادي ولد سنة ٧٦٢ هـ ، والشيخ محمد شمس الدين القوصوني ، رئيس الأطباء في القاهرة توفي ٩١٧ هـ . وشهاب الدين ابن الصائغ وهو أحمد بن سراج الدين الملقب شهاب الدين ، مات عن مشيخة الطب بدار الشفاء المنصوري ورياسة الأطباء وكانت ولادته سنة ٩٤٥ هـ ، وتوفي سنة ١٠٣٦ هـ ولم يخلف إلا بنتاً تولت مكانه مشيخة الطب . . . وغيرهم كثير . . . .) .

وجاء في المصدر[2] السابق : (. . . المنصوري بالقاهرة لا يزال يؤدي عمله الإنساني إلى يوم الناس هذا سالخاً من عمره ثمانية قرون وبذلك يكون أقدم مستشفى في العالم قاطبة .) .

ويقول الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه[3] عن المستشفى المنصوري نقلاً عن مسالك الأبصار وابن بطوطة : (. . . قال في (مسالك الأبصار) : (وهو الجليل المقدار ، الجليل الآثار ، الجميل الإيثار ، لعظم بنائه وكثرة أوقافه ، وسعة إنفاقه ، وتنوع الأطباء والكحالين ، والجرائحية فيه . وقال ابن بطوطة : (وأما المارستان الذي بين القصرين عند تربة الملك

---

(١) تاريخ البيمارستانات في الاسلام ص ١٥٩ - ١٦٦ .
(٢) كتاب تاريخ البيمارستانات في الاسلام ص (ز) .
(٣) تاريخ البيمارستانات الاسلامية ص ٩١ - ٩٢ .

المنصور قلاوون فيعجز الواصف عن محاسنه ، وقد أعد فيه من المرافق والأدوية ما لا يحصى ويذكر أن مجباه ألف دينار كل يوم) . . . قال تقي الدين المقريزي ، وكان سبب بنائه أن الملك المنصور لما توجه وهو أمير إلى غزاة الروم في أيام الظاهر بيبرس سنة ٦٧٥ هـ - ١٢٧٦م أصابه بدمشق قولنج عظيم ، فعالجه الأطباء بأدوية أخذت له من مارستان نور الدين الشهيد ، فبرأ وركب حتى شاهد المارستان فأعجب به ونذر أن آتاه الله الملك أن يبني مارستاناً . فلما تسلطن أخذ في عمل ذلك فوقع الاختيار على الدار القطبية وعوض أهلها عنها قصر الزمرد ، وولى الأمير علم الدين سنجر الشجاعي أمر عمارته . . .) .

حقاً لقد كان المستشفى المنصوري الكبير روعة في البناء والإدارة والترتيب ، والنظام والمعالجة على يد أطباء نابغين أكفاء في مختلف الاختصاصات .

وكان للمستشفى أوقاف ، يقدر ريعها بحوالي ألف درهم سنوياً ، لتصرف على ما يحتاجه المستشفى من نفقات متنوعة كثيرة .

وكان بالمستشفى مدرسة ومكتبة ضخمة ومسجد ومكتب لرعاية الأيتام والإشراف على شؤونهم علاوة عن قيامة بواجبه العلاجي ، ومداواة المرضى مجاناً لكل مريض سواء كان فقيراً أو غنياً ، ذكراً أو أنثى ، عبداً أو حراً .

ولقد أعتنى المستشفى بمرضاه عناية فائقة بزّت المستشفيات في القرن العشرين من حيث النظام والترتيب والمعاملة وعلاج المرضى ورعايتهم .

ولقد كان المريض بعد أن يبرأ من مرضه يأخذ مالاً وكسوة من المستشفى لكي يستعيد قواه ولا تحلّ به نكسة المرض إن أرهق نفسه بالعمل بعد خروجه من المستشفى معافى .

أما معاملة المريض في المستشفى فكانت ممتازة جداً . ويُقال أنه كان لكل مريض خادمان ، يخدمانه ويقومان بكل احتياجاته ، ويلبيان طلباته التي تقوده للشفاء وتحافظ على صحته .

وكان الخدم يقومون بكل ما يحتاجه المستشفى والمرضى من نظافة ، وتنظيف الملابس وغسل ثياب المرضى وحتى كانوا يقومون بخدمة المرضى أثناء استحمامهم .

وقد كان لكل مريض فراشه وسريره ، ينام في القسم الذي يختص بمرضه ، لأنه كان في البيمارستان أقسام خاصة لكل نوع من الأمراض . وكانت هنالك أقسام خاصة للمرضى الذكور منفصلة عن أقسام المرضى الإناث .

وكان بالمستشفى المنصوري أماكن خاصة للأطباء وأخرى للإداريين والمشرفين والخدم والطباخين لإعداد الأكل الممتاز للموجودين في المستشفى على اختلاف رتبهم وحالاتهم .

علاوة على قيام المستشفى بواجبه العلاجي فقد كان البيمارستان المنصوري معهداً ممتازاً لتدريس العلوم الطبية التي كانت تلقى للطلبة في قاعات خاصة للمحاضرات نظرياً ، ثم يطبقون ما تلقوه عملياً على الأسرة البيضاء التي كانت تحمل بكل رعاية المرضى تحت مراقبة أطباء ، أساتذة مهرة يعينون بعد تدقيق وفحص لخبراتهم .

وعلاوة على المعالجة في المستشفى فقد كان المريض الموجود في داره يتلقى العلاج من المستشفى وبهذا الصدد يقول الدكتور مصطفى السباعي في كتابه[1] : (. . . . . كان لكل مريض شخصان يقومان بخدمته . . . ومن

---

(١) من روائع حضارتنا ـ الطبعة الثانية ١٣٩٧ ـ ١٩٧٧ ـ المكتب الاسلامي ص ١٤٥ ـ ١٥٠ .

أروع ما فيه ن الاستفادة منه ليست مقصورة على من يقيم فيه من المرضى ، بل رتب لمن يطلب وهو في منزله ما يحتاج إليه من الأشربة والأغذية والأدوية . . . وأدى هذا المستشفى عمله الجليل حتى أخبر بعض أطباء العيون الذين عملوا فيه أنه كان يعالج فيه كل يوم من المرضى الداخلين إليه والناقهين والخارجين أربعة آلاف نفس ، ولا يخرج منه كل من يبرأ من مرض حتى يعطى كسوة للباسه ودراهم لنفقاته حتى لا يضطر للالتجاء إلى العمل الشاق فور خروجه . . . . .

. . . ومن أروع ما فيه أيضاً ، النص في وقفيته على أن يقدم طعام كل مريض بزبدية خاصة به دون أن يستعملها مريض آخر ، ووجوب تغطيتها وإيصالها إلى المريض بهذا الشكل .

ومن أروع ما فيه أيضاً ، أن المؤرّقين فيه من المرضى كانوا يعزلون في قاعة منفردة يشنفون فيها آذانهم لسماع ألحان الموسيقى الشجية ، أو يتسلون بإستماع القصص يلقيها عليهم القصاص ، وكان الناقهون منهم تمثل أمامهم الروايات المضحكة . . . وكان المؤذنون في المسجد الملاصق له يؤذنون في السحر قبل ميعاد الفجر بساعتين وينشدون الأناشيد بأصوات ندية تخفيفاً لآلام المرضى الذين يضجرهم السهر وطول الوقت . . . . ونرى من الفائدة أن نذكر نص الوقفية لهذا المستشفى العظيم كما ذكرها مؤلف (تاريخ البيمارستانات في الاسلام) : (فإن أحق ما أنتهزت فرض أجرة العزائم ، وأحرزت مواهب الغنائم ، وأجدر ما تنبه لإغتنام ثوابه كل نائم ، وأولى ما توجه إليه كل متوجه وقام إليه كل قائم ما عادت بالخيرات عوائده ، وزادت في المسرات زوائده وأستمرت على الآباء فوائده ، واستقرت على التقوى بتطاول الآمال قواعده ، وهي الأوقاف العميم برها ، المقيم أجرها ، الجسيم وفرها ، الكريم ذخرها ، فهي الحسنات التي هي الجنان ، والقربات التي فيها رضوان الرحمن والصدقات التي هي مهور الحور الحسان ، والنفقات التي

هي بحور الأجور واللؤلؤ والمرجان . . . . . .

ولا يخفى ما فيها من إدخال السرور على المريض الفقير وإيصال الحبور إلى قلبه الكسير ، وإغنائه بإيوانه ومداواته الذي لا يعبر عن وفور أجرها بتعبير ، فطوبى لمن عامل مولاه العزيز الغفار ، وراقبه مراقبة العالم بسره ونجواه في الإيراد والإصدار ، وأقرضه أحسن القروض على حسب الإمكان والإقتدار . وانتهز الفرصة بالإستباق ، وأحرز بإغتنام أجرها قصب السباق ، فساعد الفقير المسلم على إزالة ألمه ومداواة سقمه مساعدة تنجيه غداً من عذاب ربه الخلاق ، ورجاء أن تكون له بها عند الله الرتبة العظمى ، والقربة التي لا يخاف بأجرها ظلماً ولا هضماً ، والحسنة التي لا تبقي لذنبه هماً . ولما علم بذلك مولانا السيد الأجل ، السلطان المنصور العالم العادل . . . فتقدم أمره الشريف بوقف البيمارستان المنصوري (وهنا تذكر الوقفية وصفة ومكانة وأوقافة) لمداواة مرضى المسلمين الرجال والنساء من الأغنياء المثرين والفقراء المحتاجين بالقاهرة ومصر وضواحيها من المقيمين بها والواردين إليها من البلاد والأعمال على إختلاف أجناسهم وأوصافهم ، وتباين أمراضهم وأوصابهم من أمراض الأجسام قلّت أو كثرت ، اتفقت أو اختلفت ، وأمراض الحواس خفيت أو ظهرت وإختلال العقول التي حفظها أعظم المقاصد والأغراض . وأول ما يجب الإقبال عليه دون الإنحراف عنه والإعراض . وغير ذلك مما تدعو حاجة الإنسان إلى صلاحه وإصلاحه ، بالأدوية والعقاقير المتعارفة عند أهل صناعة الطب والاشتغال فيه بعلم الطب والإشتغال به يدخلونه جموعاً ووحداناً وشيوخاً وشباناً ، وبلغاء وصبياناً ، وحرماً وولداناً ، يقيم به المرضى الفقراء من الرجال والنساء لمداواتهم إلى حين برئهم وشفائهم ، ويصرف ما هو معد فيه للمداواة ، ويفرق للبعيد والقريب ، والأهلي والغريب ، والقوي والضعيف ، والدني والشريف ، والعلي والحقير ، والغني والفقير ، والمأمور والأمير ، والأعمى والبصير ، والمفضول والفاضل ، والمشهور والخامل ،

والرفيع والوضيع ، والمترف والصعلوك ، والمليك والمملوك ، من غير إشتراط لعوض من الأعواض ، ولا تعريض بإنكار على ذلك ولا إعتراض ، بل لمحض فضل الله وطَوْله الجسيم ، وأجره الكريم ، وبره العميم ، وأمره بإجراء النفقات على من يقوم بمصالح المرضى به من الأطباء والكحالين ، والجرائحيين وطباخي الشراب والمزاور والطعوم ، وصانعي المعاجين والأكحال والأدوية والمسهلات المفردة والمركبة ، وعلى القومةَ والفراشين والخزان والأمناء والمباشرين وغيرهم ممن جرت عادة أمثالهم بذلك ، وعلى ما يقوم بمداواة المرضي من الأطعمة والأشربة والأكحال والشيافات[1] ، والمعاجين والمراهم والأدهان والشربات ، والأدوية المركبة والمفردة ، والفرش والقدور والآلات المعدة للانتفاع بها في مثله .

ويصرف الناظر من ريع هذا الوقف ما تدعو حاجة المرضى إليه من مشموم في كل يوم ، وزبادي فخار برسم أغذيتهم ، وأقداح زجاج وغرار برسم أشربتهم ، وكيزان وأباريق فخار ، وقصاري فخار ، وزيت للوقود عليهم ، وبماء من بحر النيل المبارك باسم شربهم وأغذيتهم ، و . . . لأجل تغطية أغذيتهم عند صرفها عليهم ، وفي ثمن مراوح خوص لأجل استعمالهم إياها في الحر . ويصرف الناظر ثمن ذلك من ريع هذا الوقف ، في غير إسراف ولا إجحاف ، ولا زيادة على ما يحتاج إليه ، كل ذلك بحسب ما تدعو الحاجة لزيادة الأجر والثواب .

ويصرف الناظر في هذا الوقف لرجلين مسلمين موصوفين بالديانة والأمانة ، يكون أحدهما خازناً لمخزن حاصل التفرقة ، يتولى تفرقة الأشربة والأكحال والأعشاب والمعاجين والأدهان والشيافات ، المأذون له في صرف ذلك من المباشرين ، ويكون الآخر أميناً يتسلم صبيحة كل يوم وعشيته أقداح

---

(١) الشيافة : الفتيلة .

الشـراب المختصـة بـالمرضى والمختلين من الـرجـال والنسـاء المقيمـين بهـذا المـارستان ، ويفـرّق ذلـك عليهم ويبـاشر شرب كـل منهم لما وصف لـه من ذلك ، ويباشر المطبخ بهذا المارستان وما يطبخ بـه للمرضى من مـزاور ودجاج وفـراريج ولحم وغـير ذلك ، ويجعـل لكل مـريض ما طبـخ له في كـل يوم في زبدية منفـردة له من غـير مشاركـة مع مـريض آخر ، ويغـطيها ويـوصلها إلى المريض إلى أن يتكامل إطعامهم ويستوفي كل منهم غذاءه وما وصف لـه بكرة وعشية .

ويصـرف الناظـر من ريع هـذا الوقف لمن ينصبـه بهـذا المـارستـان من الأطباء المسلمين الطبائعيين والكحالين والجرائحيين بحسب ما يقتضيه الزمـان وحاجة المـرضى ، وهو مخـيَّر في العدة وتقـرير الجـامكيات مـا لم يكن في ذلك حيف ولا شـطط ، يبـاشـرون المـرضى والمختلين الـرجـال والنسـاء بهـذا المـارستان ، مجتمعـين ومتناوبـين بإتفـاقهم على التنـاوب ، أو بإذن النـاظر في التناوب ، ويسألون عن أحوالهم وما يتجدد لكـل منهم ، من زيادة مـرض أو نقص ، ويكتبون بما يصلح لكـل مريض من شـراب وغذاء وغيـره في دستور ورق ليصرف على حكمة ، ويلتزمون المبيت في كل ليلة بالمارستـان ، مجتمعين أو متناوبين ، ويجلس الأطباء الكحالون لمداواة أعين الرمداء بهذا المـارستان ، ولمداواة من يرد إليهم به من المسلمين بحيث لا يرد أحد من المسلمين الرمداء من مداواة عينيه بكرة كل يوم ، ويباشرون المداواة ويتلطفون فيها ، ويرفقون بـالرمـداء في ملاطفتهم، وإن كـان بينهم من بـه قـروح أو أمـراض في عينـه تقتضي مراجعة الكحال للطبيب الطبـائعي ، راجعه وأحضـره معه ، وبـاشر معه من غير انفراد عنه ، ويراجعه في أحوال برئه وشفائه .

ويصرف الناظر في هذا الـوقف لمن ينصبه شيخـاً للإشتغـال عليه بعلم الطب على اختلافه ، يجلس بالمسطبة الكبرى المعينة له في كتاب الوقف المشار إليه ، للاشتغال بعلم الطب على إختلاف أوضـاعه ، في الأوقـات التي يعينها

له الناظر ما يرى صرفه إليه ، وليكن جملة أطباء البيمارستان المبارك من غير زيادة عن العدد .

ويصرف الناظر من ريع هذا الوقف للقَوَمَة والفرّاشين الرجال والنساء بهذا البيمارستان ، ما يرى صرفه إلى كلٍ بحسب عمله ، على أن كلاً منهم يقوم بخدمة المرضى والمختلين الرجال والنساء بهذا البيمارستان وبغسل ثيابهم وتنظيف أماكنهم ، وإصلاح شؤونهم ، والقيام بمصالحهم ، على ما يراه من العدة والتقدير ، بحيث لا يزيد في العدة ولا في المقادير على الحاجة إليه في ذلك بحسب الزمان والمكان .

ويصرف الناظر ما تدعو الحاجة إليه في تكفين من يموت بهذا البيمارستان من المرضى والمختلين الرجال والنساء ، فيصرف ما يحتاج إليه برسم غسله وثمن كفنه وحنوطه ، وأجرة غاسله وحافر قبره ومواراته في قبره على السنّة النبوية والحالة المرضية ، ومن كان مريضاً في بيته وهو فقير كان للناظر أن يصرف إليه ما يحتاج إليه من حاصل هذا المارستان ، من الأشربة والأدوية والمعاجين وغيرها ، مع عدم التضييق في الصرف على من هو مقيم به ، فإن مات بين أهله صرف إليه الناظر في موته بتجهيزه وتغسيله وتكفينه وحمله إلى مدفنه ومواراته في قبره ما يليق بين أهله ، ومن حصل له الشفاء والعافية ممن هو مقيم بهذا البيمارستان المبارك صرف الناظر إليه من ريع هذا الوقف المذكور كسوة مثله على العادة ، بحسب الحال من غير زيادة تقتضي التضييق على المرضى والقيام بمصالحهم ، كل ذلك على ما يراه الناظر ويؤدي إليه إجتهاده بحسب ما تدعو إليه الحاجة ، وعلى الناظر في هذا الوقف أن يراعي تقوى الله سبحانه وتعالى سراً وجهراً ، ولا يقدم صاحب جاه على ضعيف ، ولا قوياً على ما هو أضعف منه ، ولا متأهلاً على غريب ، بل يقدم في الصرف إليه زيادة الأجور والثواب والتقرب إلى رب الأرباب .

وإليكم بعض الشيء عن البيمارستان المنصوري نقلاًعن كتاب (الموجز

في تاريخ الطب والصيدلة[1] عند العرب) : (. . . بني على مساحة كبيرة تبلغ عدة أفدنة أقيم عليها إلى جانب المارستان مسجد وقبة ومدرسة وقد أوقف على كل ذلك الكثير من الأملاك ولقد وصل إلينا الكثير من أخبار هذا البيمارستان . كما أنه بلغ أرقى ما وصلت إليه أحوال البيمارستانات في الدولة العربية الإسلامية ، وتشهد آثاره الباقية على ما كان عليه من روعة الزخرفة والبناء ، وكانت به قاعات مخصصة لكافة أنواع الأمراض ، وقاعة للنساء ، وقد أجمع المؤرخون على أن البيمارستان المنصوري الكبير بالقاهرة كان نموذجاً لرعاية المرضى في الداخل والخارج ، وبلغت نظم إدارته مبلغاً عظيماً من الرقي فكان به الأطباء المتخصصون ، والقوامون على خدمة المرضى ، وأماكن مخصصة لإعداد الطعام ، وأماكن لإعداد الأدوية ، وأخرى لإلقاء الدروس على الطلبة كما كان له مباشرون للإدارة والمشتريات والعمارة ولحساب استحقاق أرباب الوظائف . . . . كان يعالج به الفقراء والأغنياء بدون تمييز . . . يُقال إن كل مريض كان ينفق عليه في كل يوم دينار ، وكان له شخصان يقومان بخدمته ، وكان المؤرقون من المرضى يعزلون في قاعة منفردة يشنفون فيها آذانهم بألحان الموسيقى أو يتسلون باستماع القصص . وكان لكل مريض عند خروجه من المارستان خمس قطع من الذهب حتى لا يضطر إلى الالتجاء إلى العمل الشاق قبل أن يستعيد صحته . . . إن قاعات المرضى كانت تدفأ بإحراق البخور أو تبرد بالمراوح الكبيرة ، وكانت أرض القاعات تغطى بأغصان شجر الحناء أو شجر الرمان أو الشجيرات العطرية . . . أُعيد إستخدامه في العصر الحديث على ما كان عليه من معالجة سائر الأمراض ، ثم تحوّل إلى علاج أمراض العيون حيث لا يزال يستخدم على هذا النحو حتى الآن) .

---

(١) تأليف مجموعة من الاطباء بإشراف الدكتور محمد كامل حسين ص ٢٣١ ـ ٢٣٢ .

بيمارستان الصالحية
أو
بيمارستان القيمري

أنشأ هذا البيمارستان الأمير سيف الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن أبي الفوارس ابن مُوسَك القيمري الكندي المتوفي سنة ٦٥٣ هـ وقد دُفن في قبة جسفح قاسيون بالصالحية تجاه البيمارستان .

لقد بني هذا البيمارستان على سفح قاسيون بالصالحية .

وجبل قاسيون يشرف على غوطة دمشق ويرتفع أكثر من ١٢٠٠ متراً : (ويذكر[١] مؤرخو دمشق عدداً وافراً من الأنبياء والشهداء المدفونين بين منحدراته وبين باب قاسيون) .

والقيامرة أكراد سكنوا قلعة قيمر الواقعة في الجبال بقرب الموصل . والأمير سيف الدين أبو الحسن هو من أشهر أبطال وأمراء القيامرة ، وهو ابن أخت صاحب قيمر . وكان أميراً تقياً ، صالحاً .

ويقول الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه (تاريخ البيمارستانات[٢] في الاسلام) ما يلي : (وجاء في خطط الشام ج ٦ ص ١٦٣ ما يأتي: (قرأت في

---

(١) المنجد في الاعلام - الطبعة الثانية ص ٤٠٧ .

(٢) ص ٢٤٤ .

كتاب الجوامع والمدارس صورة وقف البيمارستان القيمري فإذا فيه : (هذا وقف أبي الحسن بن أبي الفوارس القيمري على بيمارستانه في الصالحية على معالجة المرضى والمعاجين والأشربة وأجرة الطبيب يصرف إلى الطبيب في كل شهر : لواحد سبعون درهماً ونصف غرارة من قمح ، والأدنى ستون درهماً ونصف غرارة قمح ، وللمشارف في كل شهر أربعون درهماً ونصف غرارة قمح ، وللكحال في كل شهر خمسة وأربعون درهماً ونصف غرارة قمح ، وللحوائج في كل شهر ثلاثة عشر درهماً وربع غرارة قمح ، وإلى ثلاثة رجال يقدم لكل من الرجال في كل شهر ثلاثة عشر درهماً وسدس غرارة قمح . ولمن يقوم بمريضات النساء والمجنونات في كل شهر لكل واحدة عشرة دراهم وسدس غرارة قمح ، وإلى الشراب وبائعه لعمل الأشربة والمعاجين في كل شهر ستة وعشرون درهماً وثلث غرارة قمح ولأمين المشارفين والمتولين في الوقف إلى كل واحد في كل شهر ستون درهماً وغرارة قمح ، وغرارة شعير ، وللإمام في كل شهر أربعون درهماً وثلث غرارة قمح وللمعمار المرتب لعمارته في كل شهر ثلاثة عشر درهماً وسدس غرارة قمح . ويكون بواباً وللحوائج في كل شهر ثمانية دراهم وسدس غرارة ، وللناظر العشر عن المغل وريع الوقف ، ويصرف إلى رجلين اثنين بخدمة البيمارستان عن ثمن قدور ونحاس وفرش ولحف ومخدة . وفي كل شهر إلى قيمة والمؤذن بالمسجد بقرب البيمارستان خمسة وعشرون درهماً ، فإن فضل يصرف إلى فكاك الأسارى من الكفار ، وبعد ذلك عاد وقفاً على الفقراء وتاريخ الوقفية سنة ٦٥٢ . . . ثم ذكر القرى والبساتين والحوانيت والطواحين التي وقفها على بيمارستانه) . . .

بيمارستان مكة المكرمة

في مكة المكرمة كان يوجد البيمارستان المستنصري العباسي ويقع شمال المسجد الحرام وبهذا الصدد يقول الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه[1] ما يلي : (قال تقي الدين أبو الطيب محمد بن أحمد بن علي : وبمكة أوقاف كثيرة على جهات من القربات غالبها الآن غير معروف لتوالي الأيدي عليها . ومن المعروف منها البيمارستان المستنصري العباسي ، بالجانب الشمالي من المسجد الحرام وتاريخ وقفه سنة ٦٢٨ هـ ، وعمّرها في عصرنا الشريف حسن عجلان صاحب مكة عمارته التي هو عليها الآن ، وزاد فيه على ما كان عليه أولاً إيوانين أحدهما في جهته الشمالية والآخر في جهته الغربية ، وأحدث فيها صهريجاً ورواقاً فوق الإيوانين اللذين أحدثهما . وفوق الإيوان الشرقي الذي كان فيه من قبل وجدد هو عمارته ، وفوق الموضع الذي فيه الشباكان المشرفان على المسجد الحرام ، وأدخل فيه البئر التي كان يستقي منها للميضأة الصرغتمشية ، ووقف جميع ما بناه وما يستحق منافعه في الموضع المذكور المدة التي يستحقها على الضعفاء والمجانين ، ووقف عليه منافع الدار المعروفة بدار الإمارة عند باب شيبة بعد عمارته لها حين تخربت بالحريق الذي وقع في آخر ذي القعدة من سنة ٨١٤ هـ . وذلك بعد إستيجاره . واستيجاره للبيمارستان

---

(١) تاريخ البيمارستانات في الاسلام ص ٢٦١ ـ ٢٦٥

المذكور لتحزبها من القاضي الشافعي بمكة مدة مائة سنة ، وأذن له في صرف أجرة الموضعين في عمارتهما وكان استيجاره لذلك في شهر ربيع الأول سنة ٨١٥ ، وفيها شرع في عمارتها وكان وقفه لذلك في صفر سنة ٧١٨ ، ووقف المنافع يتمشى على رأي بعض متأخري المالكية وحكم به بعض طلبة المالكية ليثبت أمره وإن كان بعض المعتبرين من المالكية لا يرى جوازه .

وقال الشيخ قطب الدين النهروالي المكي : وفي سنة ٨١٦ هـ عمّر شريف مكة يومئذٍ وهو الشريف حسن بن عجلان بن رُمَيْثة جد سيدنا ومولانا شريف مكة الآن سنة (٩٧٩ هـ) السيد الشريف حسن بن أبي نُمَيّ بن بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان أدام الله تعالى دولته وسعادته بالجانب الشمالي من المسجد الحرام البيمارستان الذي كان وقفاً للمستنصر العباسي . . . وقال الشيخ قطب الدين : إن المدرسة الحنفية التي أنشأها سلطان الهند السلطان أحمد شاه الكُشُّراني بجانب البيمارستان ، كانت بيده هي والبيمارستان المستنصري ، وكذلك أوقاف السلطان المؤيد شيخ المحمودي . قال الشيخ قطب الدين : وأقرأت فيها درساً في الطب ودرساً في الحديث . وفي أوائل القرن التاسع الهجري أوقف الجمال محمد بن الشهاب أحمد البوني من أهل بونه من أعمال تونس بالمغرب الذي سافر إلى مكة وقطن الحجاز على البيمارستان المكي بعض الأماكن . وكان ابراهيم بن محمد برهان الدين الكردي نزيل الحرمين متولياً مشيخة البيمارستان بمكة بعد موت الشمس البلوي وجدد في أوقافه المكان المجاور اشتراه من ريعه في سنة ٨٤٦ هـ . وأوقف محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن الجمال محمد بن الشهاب أحمد بن أحمد في مرض موته على البيمارستان المكي بعض الأماكن وكان قد قدم جدّه من المغرب . . . . .) .

بيمارستان المدينة المنورة

كان بالمدينة المنورة بيمارستان جدّده الملك الظاهر بيبرس عندما تم عمارة حرم الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وبعث للبيمارستان طبيباً من مصر وبهذا الصدد يقول الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه (تاريخ البيمارستانات[1] في الاسلام) ما يلي : (قال النويري في سنة ٦٦٣ هـ جهز الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي ، الأخشاب والحديد والرصاص والآلات والصناع فكانوا ثلاثة وخمسين رجلاً لإتمام عمارة الحرم الشريف النبوي وأنفق فيه الأموال وجهز معهم المؤنة ، وندب لذلك .... محيي الدين أحمد بن أبي الحسين ابن تمام طبيباً إلى البيمارستان الذي بالمدينة ومعه أدوية وأشربة ومعاجين ومراهم وسكر لأجل من يعتريه من الجماعة مرض .

وكان خروجهم من القاهرة في سابع عشر شهر رجب ووصل إلى المدينة في ثاني شوال وقال ابن شاكر الكتبي تم الملك الظاهر بيبرس عمارة حرم رسول الله ﷺ وعمل منبره وأحاط بالضريح درابزين وذهَّب سقفه وبيضه وجدد البيمارستان بالمدينة ونقل إليه سائر المعاجين والأكحال والأشربة وبعث إليه طبيباً من الديار المصرية وتوفي الملك الظاهر يوم الخميس ١٨ محرم سنة ٦٧٦ هـ) .

---

(١) ص ٢٦٥ .

بيمارستان قيسارية
أو دار الشفاء

بنت هـذا البيمارستـان ابنة قِليـج أرسلان السلجـوقي السيـدة كـوهي خاتون سنة ٦٠٢ هـ . في مدينة قيسارية في الأناضول .

وقيسارية مدينة تقع في وسط تركيا ، ولها ماضٍ تاريخي مجيد . ويشهد بذلك لما فيها من آثار عديدة وخصوصاً المساجد والأبنية والأضرحة السلجوقية وبهذا الصدد فقد جاء في الموسوعـة العربيـة الميسرة[1] مـا يلي : (قيسـارية : ولايـة بوسط تـركيا ، عـاصمتهـا قيسـاريـة ، وهي من أهم المـدن التـاريخيـة بتركيا ، تزخر بالعمائر والمساجد السلجوقية والأضرحـة وتشهد مسـاجدهـا بما وصلت إليه الفنون الزخرفية من الجودة والكمال ، وبها قلعة يرجـع تأسيسهـا إلى أيام يوستنيان (٥٢٧ ـ ٥٦٥) وتنسب مبانيها الحالية إلى السلجوقيين منها متحف يضم آثاراً من عصر الحيثيين . . .) .

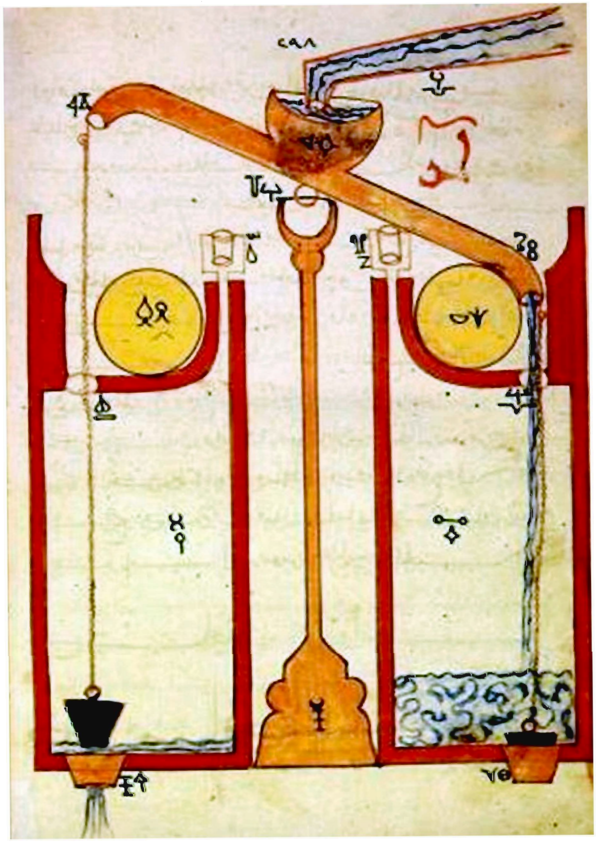
وتُسمى قـديماً قيـزاريا Caesaria وكـانت عاصمـة السلجوقيـين وبهـذا الصدد يقول الـدكتور أحمـد عيسى بك في كتـابه (تـاريخ البيمـارستـانـات في الاسلام) : (قيسارية مدينـة عظيمـة من بلاد الـروم كانت تـابعة لصـاحب العـراق وأسمها القـديم Caesaria وكانت عـاصمة بني سلجـوق ملوك الروم

---

(١) ص ١١٤١ .

أولاد قليج أرسلان . أفتتحها ألب أرسلان سنة ١٠٦٦ م) .

ويستطرد ويقول المصدر السابق في الصفحة[١] نفسها : (وقال الاستاد الدكتور أحمد سهيل التركي في المؤتمر التاسع لتاريخ الطب المنعقد في بوخارست في (١١) سبتمبر / أيلول سنة ١٩٣٢ : إن مارستان قيسارية لا يزال موجوداً يؤدي خدمته بعد أن أُصَلح على النظم الحديثة . . .) .



إستخدم ألمسلمون أنظمه متقدمه لتزويد ألبيمارستانات بألمياه. قام خبيرآلآلآت ألجزري بتصميم بعضها

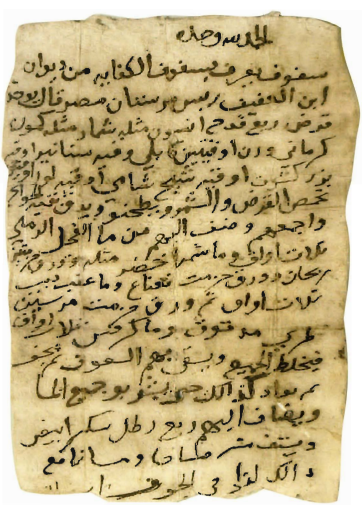
(١) ص ٢٧١ .

المدرسة الشفائية بسيواس

بنى هذه البناية السلطان الغالب بأمر الله عز الدنيا والدين أبو الفتح كيكاوس بن كيخسروا برهان في مدينة سيواس التي تقع في أواسط تركيا الآسيوية وتدعى هذه المدينة أيضاً سَبطيّة . وهي قريبة من مدينة أنقرة عاصمة تركيا .

وسيواس تقع على الضفة اليمنى لنهر كزل أرمك الأعلى ولقد استولى عليها السلجوقيون سنة ١٠٧١م .

ولقد بنيت المدرسة الشفائية بسيواس سنة ٦١٤ هـ أي ما يوافق سنة ١٢١٧ م ، وقد أوقف عليها بانيها العديد من الضياع والحوانيت والبساتين والغدران والمروج . ويُقال أن هذا البيمارستان لا يزال موجوداً كما أعلن ذلك الدكتور أحمد سهيل في مؤتمر تاريخ الطب المنعقد في بوخارست بتاريخ ١١ سبتمبر سنة ١٩٣٢ م .



وصفه طبيه

مارستان قوتولوغ توركان
بإيران

بنت هذا البيمارستان الملكة قوتلوغ توركان التي تولت السلطنة بعد السلطان قطب الدين بايران سنة ٦٧٠ هـ . وبهذا الصدد يقول الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه[1] (تاريخ البيمارستانات في الاسلام) ما يلي :

(مآثر قوتلوغ خاتون بن ملكان قرة خطائية الحاكمة بإيران جديرة بأن تذكر في ساحة الفتوة والكرم وهذه الملكة جلست على كرسي السلطنة بعد السلطان قطب الدين بإيران سنة ٦٧٠ هـ ، وسيرتها مضبوطة في تاريخ آل سلجوق بمكتبة أياصوفيا (رقم ٣٠١٩ ورقة ٨٨ و٨٩) يذكر فيها أنها وقفت تلك الآثار مدرسة وسائر بقاع خيراز رباطات ومساجد ودار شفاء وقناطر وخانقاهات وسائر أبواب الخير) .

بيمارستان ديوركي

أنشأت السيدة توران خاتون في مدينة ديوركي سنة ٦١٤ هـ / ١٢٢٨ م بيمارستاناً ولا يزال موجوداً .

وتوران خاتون هي زوجة أحمد شاه الرانشمندي .

أما مدينة ديوركي فتقع في تركيا .

---

(١) ص ٢٧٥ .

البيمارستان المنصوري في الخليل

لقد أنشأ هذه المستشفى السلطان منصور قلاوون في الخليل وذلك سنة ٦٨٠ هـ /١٢٨١م .

وبهذا الصدد فقد جاء في الموسوعة[١] الفلسطينية ما يلي : (البيمارستان المنصوري في الخليل : من أوقاف السلطان المنصور قلاوون بن عبدالله وقد عمَره في سنة ٦٨٠ هـ /١٢٨١م . على حد قول العليمي .) .

بيمارستان سيدي فرج في فاس

بنى هذا البيمارستان أحد سلاطين بني مرين وهو السلطان أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق وذلك سنة ٦٨٥ هـ أي ما يوافق سنة ١٢٨٦ م . وذلك عندما تولى السلطنة .

وقد أوقف السلطان أبو يعقوب على هذا البيمارستان أوقافاً عديدة لينفق من ريعها عليه وعلى المرضى ويسد حاجات ما يتطلبه البيمارستان من أدوية وأثاث وخدم . . . الخ .

وفيما بعد وذلك سنة ٧٦٦ هـ عمل السلطان أبو عنان تحسينات وتوسيعات على هذا البيمارستان .

ومن الأطباء الذين تولوا رياسة البيمارستان الطبيب فرج الخزرجي من بني الأحمر ، فسمي البيمارستان باسمه (بيمارستان فرج) .

ويقول الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه (تاريخ البيمارستانات[٢] في الاسلام) : (الدكتور دومازيل Dr. Dumazel وصف هذا البيمارستان فقال : بناؤه قديم يرجع تأسيسه إلى عهد سلاطين بني مرين وهم في أوج

---

(١) المجلد الأول ـ الطبعة الأولى ١٩٨٤ ص ٤٩٦ .

(٢) ص ٢٨٦ .

عزهم وعظمتهم يعاونون على نشر العلوم وتجميل المدن وبني أحدهم ، وهو أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق هذا المارستان لما تولى الملك سنة ٦٨٥ هـ (١٢٨٦م) وعهد مؤسسة إدارته إلى أشهر الأطباء . . .)

ويستطرد ويقول المصدر[١] السابق : (. . . . البيمارستان في سوق الحنا ويحيط به جدار أبيض وعليه باب عالٍ مغطى بالحديد) .

وتقع فاس بالمملكة المغربية وكانت عاصمة المغرب لعدة أسرات حكمت بلاد المغرب وجاء : (فاس سكنها في أول عهدها البربر وأهل الأندلس اللاجئون من قرطبة أصبحت مركزاً ثقافياً خطيراً في القرن العاشر ، وبلغت أوج عظمتها في عهد بني مرين (القرنين ١٣ و١٤) الذين شيدوا بها الجوامع والمدارس السبع ظلت على ازدهارها حتى بعد أن أختار مولاي اسماعيل مكناس عاصمة له (القرن ١٧ بها جامعة إسلامية قديمة (القرويين)[٢] .

أما كتاب المنجد في الأعلام فيقول : (فاس . . . مدينة في المملكة المغربية . . . قاعدة الإقليم تقع في سهل سائيس على مفترق الطرق المؤدية إلى الرباط ـ الجزائر ـ وطنجة تقسم إلى فاس البالي وفاس الجديد . أسس المدينة القائمة على الضفة اليمنى من وادي فاس إدريس بن عبدالله ٧٨٩ بينما شيّد ابنه إدريس ابن ادريس المدينة القائمة على الضفة اليسرى ٨٠٨ ، خضعت لأمويي الأندلس ٩٨٠ ـ ١٠١٢ ، وأحتلها بربر زنانة حتى مجيء المرابطين واستيلاء يوسف بن تاشفين عليها نحو ١٠٦٩ فأزدهرت في أيامهم وقعت بيد الموحدين ١١٤٥ . انتقلت إلى المرينيّين فجعلوها عاصمة لهم (القرن ١٣ً ـ ١٤ً) . . أهم آثارها مدرسة أبو عنان ومدرسة العطّارين وجامع القرويين . . . .) .

(١) ص ٢٨٧ .

(٢) الموسوعة العربية الميسرة ـ الطبعة الثانية ص ١٢٦٥

(٣) الطبعة الثانية ص ٣٨٦ .

الفصل الرابع عشر

مستشفيات القرن الثامن الهجري (١٤ م)

١ ـ بيمارستان تنكز في صفد

٢ ـ بيمارستان الكرك

٣ ـ بيمارستان حصن الأكراد

٤ ـ البيمارستان الجديد في حلب .

٥ ـ بيمارستان الرملة

٦ ـ بيمارستان نابلس

٧ ـ بيمارستان غزة

٨ ـ بيمارستان غرناطة

٩ ـ بيمارستان تبريز

بيمارستان تنكز في صفد

عمّر هذا البيمارستان الأمير المملوكي سيف الدين تنكز وبهذا الصدد فقد جاء في الموسوعة[1] الفلسطينية : (بيمارستان تنكز في صفد : أنشأ هذا البيمارستان الأمير المملوكي الكبير سيف الدين تنكز نائب السلطنة بالشام أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون . وكانت وفاة الأمير تنكز في سنة ٧٤١هـ / ١٣٤٠م) .

أما الدكتور أحمد عيسى بك فيقول في كتابه[2] : (بيمارستان صفد : ذكر ابن حجر - (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة) أن في صفد بيمارستاناً عمّره الأمير تنكز نائب الشام في زمن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون . وقال محمد بن شاكر الكتبي : إن الأمير الكبير سيف الدين تنكز نائب السلطنة بالشام عمر بصفد البيمارستان المعروف باسمه .)

---

(١) المجلد الأول - الطبعة الأولى ص ٤٩٦ .

(٢) تاريخ البيمارستانات في الاسلام ص ٢٣٤ .

بيمارستان الكرك

لقد كانت مدينة الكرك إحدى المراكز الثقافية الهامة في العصر المملوكي يتوجه إليها الطلبة طلباً للعلم ويؤمها العلماء للتدريس والتفقه من أئمتها .

وقد ازدهرت الكرك وأصبحت مناراً للعلم والأدباء والأطباء وخصوصاً لوجود المعاهد والمدارس العلمية ، أهمها : بيمارستان الكرك الذي كان أحد مراكز تدريس الطب في بلاد الشام . وتعلّم فيه وتخرّج منه الجرّاح الطبيب الشهير ابن القف الكركي ، وبهذا الصدد يقول الدكتور يوسف درويش غوانمه في كتابه[1] ما يلي :

(وكانت الكرك في عهد الملك الناصر داود إحدى مراكز تدريس الطب في بلاد الشام درس فيها العالم الكبير شمس الدين عبد الحميد الخسروشاهي العلوم الطبية وتخرج على يديه عدد كبير من الأطباء نذكر منهم على سبيل المثال الحكيم الأجل سديد الدين أبو منصور بن موفق الدين بن يعقوب بن القف . . . . وكان البيمارستان في العصر المملوكي الأول ينقسم عادة إلى أربعة أقسام كبيرة ، قسم الجراحة وقسم الحميات ، وقسم للرمد وقسم للنساء ، وكان يخصص لكل مريض تخت مستقل لنومه . . . ويشرف على علاج المرضى في كل بيمارستان عدد كبير من الأطباء بلغ في أحداها (في

(١) التاريخ الحضاري لشرقي الأردن في العصر المملوكي ـ الطبعة الثانية ١٩٨٢ ص ١٦٦

العصر الأيوبي) ستين طبيباً) . . . كذلك خصص لكل بيمارستان عدد من الصيادلة لاعداد الأدوية المركبة وتوزيعها على المرضى . . . .) .

ويستطرد ويقول المصدر[1] السابق : (. . . . . . بالاضافة إلى علاج المرضى كان البيمارستان يؤدي رسالة علمية لها أهميتها إذ كان في نفس الوقت مركزاً لتعليم الطب وتدريسه وكان طلبة الطب يقسمون إلى فرق يتخصص كل منهم في فن معين . . . . ومن المعروف أنه إقيمت في منطقة شرقي الأردن في العصر المملوكي عدة بيمارستانات منها بيمارستان أمر بإنشائه السلطان الناصر محمد بن قلاوون في الكرك . . . .) .

ويستطرد ويقول المصدر[2] السابق : (. . . . وعرف بالبيمارستان الناصري ، وعهد ببنائه إلى الأمير سنجر بن عبدالله الجاولي ، ولا شك أن هذا البيمارستان أدى خدمات جليلة إلى الأهالي بالإضافة إلى مهمته الأساسية ، وهو علاج المرضى ، كان مدرسة لتدريس العلوم الطبية كما هو متبع في غيره من البيمارستانات الإسلامية في عصر دولة المماليك. . .) .

وجاء في كتاب المنجد[3] في الاعلام ما يلي : (الكرك مدينة في الأردن على بعد ١٤٨ كم من القدس (٩٤٩م) . عُرفت قديماً باسم كير مؤاب كانت حصناً مسوّراً للمؤابيين احتلها الصليبيون وأستولى صلاح الدين على حصنها (١١٨٨) . . . قاعدة لدولة المماليك (١٣٠٩) حصنها يشرف على طريق الحج والتجارة . . .) .

أما عن مستشفى الكرك فيقول الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه[4] ما

---

(١) ص ١٦٧ .

(٢) ص ١٦٨ ـ التاريخ الحضاري لشرقي الأردن في العصر المملوكي ـ الطبعة الثانية .

(٣) الطبعة الثانية ص ٤٣٢ .

(٤) تاريخ البيمارستانات في الاسلام ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨ .

يلي : (بيمارستان الكرك هذا البيمارستان أنشأه الأمير علم الدين سنجر الجاولي أبو سعيد . . . والذي أنشأ أيضاً مارستان غزة ، وُلد الأمير سنجر سنة ٦٥٣ بآمد ثم صار لأمير يُقال له جاول في سلطنة الظاهر بيبرس فنسب إليه ، ثم إنتقل بعده إلى بيت السلطان وأخرج في أيام الأشرف خليل إلى الكرك ثم عمل إستادار صحبة الناصر محمد نيابة عن بيبرس الجاشنكير واستنابه الناصر محمد بعد مجيئه من الكرك سنة ٧١١ فعمّر بها قصراً للنيابة وهو أول من مدّنها ، فبنى فيها القصر والجامع والحمّام والمدرسة للشافعية وخان السبيل والمارستان والميدان ثم قدم إلى مصر ليكون نائباً للحوائج خاناه ثم وُلي نيابة غزة وصار من أكبر أمراء مصر وتوفي في تاسع شهر رمضان سنة ٧٤٥ .) .









مدرسه كاراتاي، أنشأها ألسلاجقه عام 1251م في إقليم كونيا في تركيا وكان يدرس فيها ألطب

مارستان حصن الأكراد

أنشأ هذا البيمارستان بَكْتَمِر بن عبدالله الأشرفي وهو أحد المماليك الذي كان نائباً للسلطنة بحصن الأكراد ، وذلك سنة ٧١٩ هـ الموافقة لسنة ١٣١٩ م . ولم يبق من آثار هذا البيمارستان إلا بعض الأحجار وكتابة على عتبة بابه ، في ذلك الحصن وبهذا الصدد يقول الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه (تاريخ البيمارستانات في الاسلام)[1] : (مارستان حصن الأكراد أنشأ هذا المارستان أحد المماليك بهذا الحصن ووجد مكتوباً على عتبة باب هذا المكان ما يأتي : (بسم الله الرحمن الرحيم أنشأ هذا البيمارستان المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى بَكْتَمِر بن عبدالله الأشرفي نائب السلطنة المعظمة بحصن الأكراد أثابه الله تعالى وأوقفه على مرضى المسلمين المقيمين والواردين وذلك في شهور سنة ٧١٩ هـ (١٣١٩م) . وهذا المارستان لم يبق من آثاره إلا هذه الكتابة وبعض الأحجار المستعملة الآن في بعض المنازل الصغيرة المجاورة للبيمارستان وقد أرصد بكتمر بعض الأوقاف للصرف على هذا المارستان . . . . . . وحصن الأكراد في السهل المسمى البقاعية يحده من الجنوب جبل عكار وجبل لبنان ومن الشمال جبال النُصَيْرِيّة وسبب تسميته بحصن الأكراد أن أحد أمراء حمص المرداسيين وهو شبل الدولة نصر بن مرداس صاحب حمص أسكن فيه جماعة من الأكراد أقاموا به هم وأولادهم لحماية الطريق . . . .) .

---

(١) ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩ .

البيمارستان الجديد في حلب
أو
بيمارستان أرغون الكاملي

أنشأ هذا البيمارستان في سنة ٧٥٥ هـ الأمير سيف الدين أرغون الكاملي داخل باب قنّسْرين في مدينة حلب وقد جهزّه بكل ما يلزم للمستشفيات من أطباء وآلات وأثاث وخدم . . . .

وقد أمر الأمير أرغون بأن يكون العلاج والمداواة في هذا البيمارستان لجميع الناس من مرضى سواء للفقير أو الغني ، للضعيف أو السقيم . وأوقف عليه أوقافاً لينفق على مصاريفه من ريعها .

وقد تولى الأمير أرغون نيابة دمشق ثم من بعد ذلك نيابة حلب ثم خانه الحظ ، ونال غضب الحكّام فسجن بالاسكندرية مدة من الزمان ، وبعدها أعتكف وسكن القدس الشريف وظل فيها يتعبد حتى وافته المنية ومات فيها سنة ٧٥٨ هـ ودُفن فيها في تربته التي كان قد شيّدها .

وكان الأمير أرغون الكاملي ورعاً يحب الصدقات وأعمال الخير وقد أنشأ مدرسة في القدس الشريف ، وبهذا الصدد يقول الدكتور كامل جميل العسلي في كتابه[١] ما يلي : (. . . . ونسير من باب الناظر جنوباً في رواق الحرم حتى

(١) أجدادنا في ثرى بيت المقدس ـ مؤسسة آل البيت ـ المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية ص ٤١ .

نصل إلى الباب التالي من أبواب الحرم ، وهو باب الحديد ، وفي باب الحديد مبنى يعرف في الوقت الحاضر باسم دار العفيفي ، وكان يعرف في التاريخ باسم المدرسة الأرغونية ، وهي مدرسة وقفها الأمير أرغون الكاملي نائب السلطنة بالشام سنة ٧٥٨ . ويضم إيوان المدرسة الشرقي ضريح المغفور له الملك حسين بن علي . . . .) .

أما كتاب (بلادنا[١] فلسطين) فيقول : (باب الحديد باب لطيف محكم البناء ، استجده أرغون الكاملي نائب الشام ـ الأنس الجليل ٢٧٨ ـ ذكره المقدسي (باسم باب أم خالد) ويعرف أيضاً بباب القطانين أو باب المتوضأ) .

ويستطرد ويقول المصدر[٢] السابق : (المدرسة الأرغونية أقامها الأمير أرغون الكاملي نائب الشام عام ٧٥٨ هـ بباب الحديد ، وهو الباب الذي حمل ، في وقت ما ، اسم باب أرغون ، توفي هذا النائب بالقدس ودُفن بمدرسته سنة ٧٥٨ . و(أرغون) فارسية بمعنى (الحديد) يقيم في بنائها اليوم جماعة من آل العفيفي وبجانب البناء دُفن المغفور له الملك (الحسين بن علي) موقد نار الثورة ضد العثمانيين سنة ١٩١٥) .

أما عن بيمارستان أرغون الكاملي في حلب أو البيمارستان الجديد بحلب يقول الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه[٣] ما يلي : (. . . . وهذا البيمارستان هو من البيمارستانات الاسلامية الموجودة إلى اليوم في سوريا . . . فجميع نظامه بتفاصيله لا يزال سليماً وله بوابة عظيمة ذات

---

(١) تأليف مصطفى مراد الدباغ ـ بلادنا فلسطين ـ الجزء التاسع ـ القسم الثاني في بيت المقدس .
(٢) ص ٢٦٤ ـ طبعة أولى .
(٣) تاريخ البيمارستانات في الاسلام ص ٢٥٣ ـ ٢٥٨ .

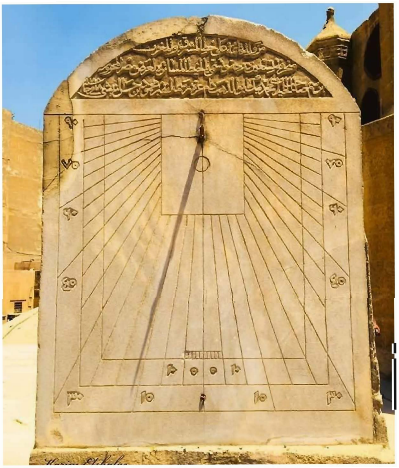
نخاريب ، ودهليز ذو أعمدة وإيوانات وبهو يشتمل على خلوات المرضى ، وبوجهته شقوق وحالة القبة من الداخل رديئة . . . ومكتوب على باب البيمارستان عند باب قنسرين : بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا البيمارستان الملك الناصر مولانا السلطان الملك الصالح ابن السلطان الناصر محمد بن قلاوون خلد ملكه الله والفقير إلى ربه أرغون الكاملي نائب السلطنة المعظمة بحلب المحروسة غفر الله له وأثابه الجنة في شهور سنة ٧٥٥ هـ (١٣٥٤ م) . . . . وهذا المارستان له أوقاف مبرورة منها قرية بنش من عمل سَرْمين وغيرها . وكتاب وقفه موجود ، وقد رتب فيه القراء يقرأون القرآن طرفي النهار ، وخبزاً يتصدق به ، ورتب جميع ما يحتاج إليه من أشربة وكحل ومراهم ودجاج . . . وشرط واقفه أن يكون النظر فيه لمن يكون كافل حلب ، ولما تولى جانم الأشرفي كفالة حلب جعل إمامه متكلماً على هذا البيمارستان ، فصنع له سحابة على إيوانه القبلي . . . إذ في هذه السحابة منفعة للضعفاء تقيهم الحر والبرد . . . . . .

وتأتي هنا على وصف مسهب لهذا البيمارستان كما ذكره صاحب أعلام النبلاء فقال : تدخل إلى البيمارستان فتجد عن يمينك حجرة هي الآن خربة ثم تدخل الباب الثاني فتجد عن يمينك حجرة أخرى ، كانت هاتان الحجرتان لقعود الأطباء ، ووضع ما يحتاجون إليه من الأدوية والأشربة ، ثم تجد صحناً واسعاً يحيط بطرفيه الجنوبي والشمالي رواقان ضيقان مرفوعان على أعمدة عظيمة ووراءهما حجرة صغيرة هي محل حبس المجانين فيها . ثم تدخل من الجهة الشمالية في دهليز وبعد خطوات تجد دهليزين : الذي على اليمين يأخذ إلى باب آخر للمارستان ، تخرج منه إلى بوابة صغيرة ، وهو مغلقٌ الآن . والدهليز الذي على اليسار يأخذك إلى صحنين حولهما حجرة صغيرة وهي معدة أيضاً لحبس المجانين . . . . في أطراف الصحن الخارجي وعلى أطراف الحوض الذي في وسطه أنواع الرياحين لينظرها المجانين ، وكانوا يأتون

بآلات الطرب وبالمغنين فيداوون المجانين بها أيضاً . . . وكان بلاط الصحن متوهناً جداً فأهتم جميل باشا سنة ١٣٠٢ هـ بتبليطه وتجديد حوضه وترميمه . . . وقد كان لبابه حلقتان كبيرتان جميلتا الشكل من النحاس الأصفر ، قلعتا منه . . . وأخذتا إلى متحف الآستانة . . .

بيمارستان الرملة

أنشأ هذه المستشفى فخر الدين محمد ابن فضل الله وكان ناظراً للجيش ، وبهذا الصدد فقد جاء في الموسوعة[١] الفلسطينية : (بيمارستان الرملة : من أوقاف ناظر الجيش فخر الدين محمد ابن فضل الله القبطي ، وقد بنى هذا الناظر المملوكي الشهير عدة مساجد وأتصل بخدمة الناصر محمد ابن قلاوون ، وتوفي في رجب سنة ٧٣٢هـ /١٣٣٢م) . ولقد أسلم[٢] محمد القبطي وحج عشر مرات وزار القدس .



اشتملت البيمارستانات الأسلامية بتخطيطها على ساعة حجرية تنصب عادة على احد ابراج السور القريبة من المدخل الرئيس

(١) المجلد الأول ـ الطبعة الأولى ١٩٨٤ ص ٤٩٦

(٢) تاريخ البيمارستانات في الاسلام ص ٢٦٠ .

بيمارستان نابلس

أنشأ هذا البيمـارستان محمـد بن فضل الله القبـطي الذي أسلم وحـج عشر مـرات وزار القـدس ، وبهـذا الصـدد فقـد جـاء في كتــاب (تـاريــخ البيمارستانات[1] في الإسلام) ما يلي : (بيمارستان نابلس : ذكر ابن حجـر العسقـلاني ـ الدرر الكـامنة في أعيـان المائـة الثامنـة ـ أن محمد بن فضـل الله القبـطي فخر الـدين ناظـر الجيش كان قـد أسلم وتسمى محمـداً وحـج عشر مرات وزار القدس ، وأحرم مرة من القدس إلى مكة وكـانت صدقتـه في كل يوم ألف درهم وبنى عدة مساجد وعدة أحواض لسقي الماء في الطرقات . وله مارستان بالرملة وآخر بنابلس من أعمال فلسطين أتصل بخدمة الناصر محمـد ومات في رجب سنة ٧٣٢ .) .

---

(١) تأليف الدكتور أحمد عيسى بك ص ٢٠٦ .

بيمارستان غزة

أنشأه الأمير سنجر بن عبدالله الجاولي الذي تـولى نيابـة غـزة ، وأسس فيها علاوة عن البيمارستان ، حماماً ومدرسة وجامعاً ، وبهذا الصدد فقـد جاء في كتاب (تاريخ البيمارستانات في الإسـلام[1]) : (لما تـوفي السلطان الملك الناصر محمد بن قـلاوون وتولى الملك الصـالح اسمـاعيل ، رسم للأمير علم الدين سنجر الجاولي الفقيه الشـافعي بنيابـة غـزة فحضر إليهـا وأقام بهـا مدة شرع في أثنائها في عمارة الجامع بغزة ، وعمّر حماماً هـائلاً ومـدرسة للشـافعية وعمّر خاناً للسبيل وبنى بغـزة مارستـاناً ووقف عليـه عن الملك الناصر أوقـافاً جليلة ، وجعـل النظر فيهـا لنوّاب غـزة وتوفي في ٩ رمضـان سنة ٧٤٥ ودُفن الأمير سنجر في تربته التي على جبل الكبش ظاهر القاهرة .) .

أما الموسوعة[2] الفلسطينية فتقول : (بيمارستان غزة من أوقـاف الأمير سنجر بن عبدالله الجـاولي ، وقد استنـابه السلطان النـاصر محمد بن قـلاوون بغـزة سنة ٧١١ هـ / ١٣١١م . وكـان هذا البيمـارستان جـزءاً من نشـاطـه العمراني في تلك المدينة) .

---

(١) ص ٢٤٧ ـ تأليف الدكتور أحمد عيسى بك

(٢) المجلد الأول ـ الطبعة الأولى ص ٤٩٦ .

بيمارستان غرناطة

وفي الأنـدلس كان بيمـارستان غـرناطـة حسن الترتيب ، واسـع البناء ويقـول عنه الـدكتور أحمـد عيسى بك في كتـابه (تـاريخ البيمـارستـانـات في الاسـلام)[1] : قال الـوزيـر لسـان الـدين بن الخطيب في كـلامـه عن أمـير المسلمين بالأندلس محمد بن يوسف بن اسماعيل . . . الذي تـولى الملك بعد وفاة أبيه في عام ٧٥٥ هـ : ومن مواقف الصدقة والإحسـان من خارق جهـاد النفس بناء البيمارستان الأعظم . . . فخامة بيت وتعدد مساكن ورحب ساحة ودرور مياه وصحة هواء ، ونقد خزائن ومتوضآت . . . أبرّ عـلى مـارسـتـان مصر بالساحة العريضة والأهوية الطيبة وتدفق المياه من فورات الـرمل وسـود الصخـر ، وتمرج البحـر وإنسـدال الأشجـار . . . . وقـال سـلادين إن هـذا الأثر . . . كان مرتباً في بساطته أنيقاً في تفاصيله وكانت قاعاته البسيطة تـدور حول باحة داخلية في وسطها حوض عميق لقبول الماء من عينين كل عين منها عبارة عن أسد جاثٍ . . .

وذكر مارسيه كذلك . . . في وجهته بعض النوافذ وفيها أقواس مزدوجة وفي الوسط باب وأسكفة يعلوهما كتابة تشبه أشرعة الفلك ويدخـل من الباب إلى ردهة مربعة الزوايا مستطيلة وفي وسطها حوض فيه أسدان جاثيان يشبهان

---

(١) ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩ .

مثليهما في قصر الحمراء وينبع منهما الماء وحول الردهة أربعة أروقة ينفخ فيها أبواب طويلة ذات إنحناء على شكل نعل الفرس وفي الزوايا سلاليم يدخل منها إلى الطابق الأول) .

بيمارستان تبريز

لقد بنى في أوائل القرن الثامن الهجري الوزير فضل الله بيمارستاناً في مدينة تبريز وذلك سنة ٧١٠ هـ .

وقد كان فضل الله وزيراً للسلطان أولجايتو .

وتبريز مدينة ذات مركز تجاري هام تقع في شمال غربي إيران في مقاطعة أذربيجان وتعتبر ثاني مدن إيران الكبرى ، وقد فتحها الخليفة عمر بن الخطاب بقيادة نعيم بن مقرن المزني . وإلى هذه المدينة يُنسب الكثير من العلماء ومنهم : إمام اللغة والأدب أبو بكر زكريا التبريزي .

ويوجد في تبريز آثاراً اسلامية عظيمة أهمها : المسجد الذي بني في القرن الخامس عشر ويسمى المسجد الأزرق .



الفصل الخامس عشر

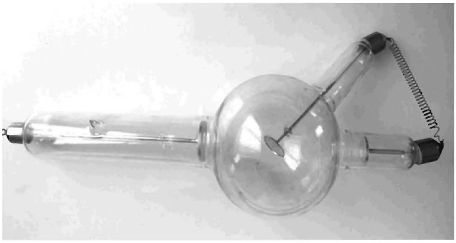
مستشفيات القرن التاسع الهجري (١٥ م)

١ ـ بيمارستان محمد الفاتح

٢ ـ بيمارستان بايزيد الثاني

٣ ـ البيمارستان المؤيدي



ثروت فنون

SERVET-I-FUNUN



إستخدم ألعثمانيون أحدث
ألأجهزه ألطبيه في
مستشفياتهم

بيمارستان محمد الفاتح

أنشأ السلطان العثماني محمد الفاتح بيمارستاناً في القسنطينية وذلك سنة ١٤٧٠ م .

وُلد محمد الفاتح أو محمد الثاني سنة ١٤٢٩م وتولى الحكم سنة ١٤٥١ حتى سنة ١٤٨١ وهو ابن مراد الثاني .

لقد فتح محمد الثاني القسطنطينية سنة ١٤٥٣ م بعد أن ضربها بأعظم مدافع عرفها العالم حتى ذلك الحين ، وحصار دام خمسين يوماً . وقد شيّد العديد من المساجد والقلعة ذات الأبراج السبعة عند طرف القسطنطينية الجنوبي الغربي . كذلك أنشأ البيمارستان المعروف باسمه وعنه يقول الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه (تاريخ البيمارستانات في الاسلام)[1] : (في سنة ١٤٧٠ م أنشأ السلطان محمد الفاتح مارستاناً بقسطنطينية ومن الأطباء الذين عملوا فيه المولى محمود بن الكمال الملقب بأخي جان المشتهر بأخي جلبي . . . تعينّ رئيساً للأطباء في المارستان الذي بناه السلطان محمد . . . .)

(١) ص ٢٧٦ .

بيمارستان بايزيد الثاني
في أدرنة

أنشأ هذا البيمارستان السلطان بايزيد الثاني سنة ١٤٨٥ م . وقد وُلد بايزيد سنة ١٤٤٧ م وهو ابن محمد الفاتح (الثاني) الذي استولى على القسطنطينية سنة ١٤٥٣ م بعد حصار دام خمسين يوماً فسقط الأمبراطور قسطنطين الحادي عشر بعد أن دافع عن أمبراطوريته دفاعاً مريراً ، وأختار محمد الثاني كنيسة أياصوفيا لتكون الجامع الرئيسي في المدينة ، وأقام منشآت عديدة منها جامع السلطان محمد الفاتح . . .

لقد أصبح بايزيد الثاني سلطان الدولة العثمانية سنة ١٤٨١ حتى سنة ١٥١٢ ، احتل كرواتيا وفشل في إخضاع المماليك في مصر ، وقد خلعه ابنه سليم الأول عن العرش سنة ١٥١٢م وهو تاسع السلاطين العثمانيين (١٥١٢ - ١٥٢٠م) وفتح سورية ومصر وهزم سلطان المماليك قانصوه الغوري سنة ١٥١٦ في معركة مرج دابق قرب حلب .

لقد توفي بايزيد الثاني مسموماً سنة ١٥١٣ وكان قد أنشأ بيمارستاناً في مدينة أدرنة في تركيا وعلى الجزء الأوروبي منها . وكان قد أسسها الأمبراطور هادريان سنة ١٢٥ م . وأستولى عليها الأتراك سنة ١٣٦١ م وكانت مقر سلاطينهم حتى فتحت القسطنطينية سنة ١٤٥٣م ومن أهم معالمها أطلال قصر السلاطين ومسجد سليم الأول .

ويقـول الدكتـور أحمـد عيسى بـك عن بيمـارستـان بـايـزيـد الثـاني في كتابه[1] : (بيمارستان بايزيد الثاني بأدرنة أنشيء سنة ١٤٨٥ م) .

ويقول نفس[2] المصدر : (بيمارستان أدرنة : أنشأ هذا المارستان أحد سلاطين آل عثمـان ولم أتحقق من هو . . . ولعـل السلطان بايـزيد الثـاني هو الذي أنشأه . . . .) .

ولقد أنشيء في أدرنة أيضاً بيمارستان للجذام وذلك سنة ١٤٣١م .



مسجد و بيمارستان بايزيد ألثاني

(١) تاريخ البيمارستانات في الاسلام ص ٢٧٨ .
(٢) ص ٢٧٦ - ٢٧٧ .

البيمارستان المؤيدي

أنشأ هذا البيمارستان السلطان الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودي الظاهري الجركسي وذلك حوالي ٨٢١ هـ . في مكان مدرسة الأشرف شعبان بن حسين التي هدمها الناصر فرج بن برقوق قرب القلعة في القاهرة .

والسلطان المؤيد أبو النصر شيخ من المماليك البرجيين (الشراكسة) وقد حكم من سنة (١٤١٢ ـ ١٤٢١م[١]) .

والمماليك هم العبيد الشراكسة والأتراك الذين استعان بهم الأيوبيون (١١٦٩ ـ ١٢٥٠م) واستخدموهم في الجيش فقويت شوكتهم وأصبح لهم نفوذ فوصلوا إلى الحكم فأسسوا دولة المماليك البحرية (١٢٥٠ ـ ١٣٩٠م) ومن بعدها أسسوا دولة المماليك البرجية (١٣٨٢ ـ ١٥١٧م) .

وبعد وفاة السلطان المؤيد في سنة ٨٢٤ هـ ، تحوّل البيمارستان إلى سكن عاش فيه جماعة من العجم . وأصبح فيما بعد مسجداً له مؤذنه وخطيبه وإمامه وقوَمة وبواب وأقيمت فيه أول صلاة للجمعة في ربيع الآخر سنة ٩٢٥ هـ . وذلك لأنه بعد موت الملك المؤيد شيخ لم يكن لبيمارستانه ريع ينفق عليه لذلك أصبح منزلاً ثم مسجداً .

---

(١) ص ٥٠٣ ـ المنجد في الاعلام ـ الطبعة الثانية .

وعن البيمارستان المؤيدي يقول الدكتور أحمد عيسى بك في كتابه (تاريخ البيمارستانات في الاسلام)[1] : (قال تقي الدين المقريزي : (هذا المارستان فوق الصوّة تجاه طبلخاناه قلعة الجبل ، حيث كانت مدرسة الأشرف شعبان ابن حسين التي هدمها الناصر فرج بن برقوق وبابه هو حيث كان باب المدرسة . . . أنشأه الملك المؤيد شيخ في مدة أولاها جمادي الآخرة سنة ٨٢١ وآخرها رجب سنة ٨٢٣ ونزل فيه المرضى في نصف شعبان ، وعملت مصارفه من جملة أوقاف الجامع المؤيدي المجاور لباب زويلة ، فلما مات المؤيد في ثامن المحرم سنة ٨٢٤ تعطل ثم سكنه طائفة من العجم المستجدين في ربيع الأول منها ، وصار منزلاً للرسل الواردين من البلاد إلى السلطان ثم عمل فيه منبر ورتب له خطيب وإمام ومؤذن وبواب . . . .

وقد ذكر تقي الدين المقريزي هذا المارستان في كتاب آخر من كتبه (السلوك في معرفة دول الملوك) ج٤ ص ٤١٦ مخطوط) بالنص الآتي : (في شهر ربيع الآخر سنة ٨٢٥ هـ في سلطنة السلطان الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر برسباي الدقماقي الظاهري الجركسي عمل المارستان المؤيدي الذي بالصوَّة تحت القلعة جامعاً تقام فيه الجمعة والجماعة ، وكان المؤيد قد جعل هذا الموضع مارستاناً ونزل به المرضى . فلما مات لم يوجد في كتاب الوقف المؤيدي له جهة مصرف فأخرجت المرضى منه وأغلق وصار منزلاً للرسل الواردين من ملوك الشرق . . . ولقد تخرب هذا المارستان وامتدت إليه الأيدي بالهدم والبناء حتى ضاعت معالمه وظلّ مجهولاً ومطموساً بين العمارات والمساكن قروناً عديدة لا يعرف مكانه ولا يعرف عنه شيء حتى قيض الله له لجنة حفظ الآثار العربية فزارت مكانه وكتبت عنه تقريراً في سنة ١٨٩٤م باعتباره أثراً يستحق العناية والحفظ كغيره من الآثار ، ولم يكن يرى فيه سوى

---

(١) ص ١٧٢ ـ ١٧٧ .

أنه بناء أثري بجانب مسجد الحاج أحمد أبي غالية من الجهة القبلية في حارة السكري بشارع المحجر .

وكان الجدار الجنوبي أو القبلي لمسجد أبي غالية هو الوجهة البحرية من هذا البناء الأثري . وكان في هذا الجدار بعض النقوش وفيه باب صغير تحت بوابة فخمة البناء لا تزال موجودة كاملة ويبعد عن ذلك ببضع خطوات بعض جدران هذا الأثر القديمة وفيها بعض النوافذ . . . وعنيت اللجنة بإرجاع البيمارستان إلى حالته الأصلية بقدر ما تسمح به حال الموجود من آثاره . . . .) .

ويستطرد ويقول المصدر[1] السابق : (وقف البيمارستان المؤيدي : لما أنشأ الملك المؤيد شيخ المحمودي الجامع العامر بباب زويلة وأنشأ خانقاه للصوفية والبيمارستان للمرضى والصهاريج للسقاية ، أوقف على ذلك كله أوقافاً جمة من عقار وطين . . . ومن هذه الأوقاف الكبيرة العظيمة يرتب طبيباً طبائعياً وكحالاً وجرائحياً و . . . إلخ ، ولكل منهم ثلاثون نصفاً في الشهر وجعل النظر عليه لنفسه ثم للأرشد من ذريته الذكور خاصة لكن بالاشتراك مع من يكون داوداراً كبيراً ومع كاتب السر مجتمعين غير منفردين ، فإن تعذر لذريته كان النظر للداودار ، وكاتب السر معاً ويصرف لكل منهما خمسمائة نصق شهرياً وإن تعذر فلحاكم المسلمين بالديار المصرية .

وتاريخ الحجة رابع جمادي الآخرة سنة ٨٢٣ هـ (١٤٢٠م) .) .

(١) ص ١٧٥ .

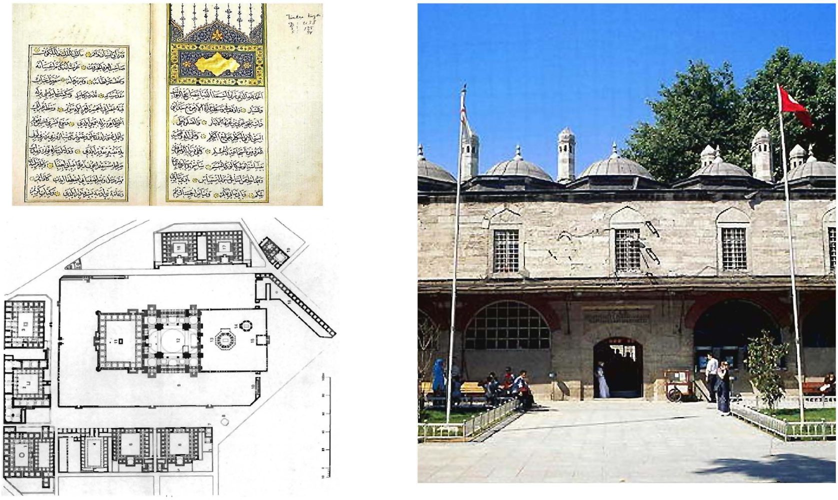
الفصل السادس عشر

بيمارستانات القرن العاشر الهجري (١٦ م)

١ ـ بيمارستان السلطان سليمان

٢ ـ بيمارستان خاصكي سلطان

٣ ـ بيمارستان مغنيزية



ألمدرسه ألطبيه ألتي أنشأها سليمان ألقانوني



مستشفى الغرباء (خستخانة الغرباء) بني عام 1872م وفي زمن السلطان عبد العزيز الأول على شاطئ دجلة. طلب والي بغداد في ذلك الوقت مدحت باشا من اسطنبول طبيبا وصيدلانيا وعددا من الموظفين الصحيين لإدارته وتشغيله

بيمارستان السلطان سليمان

لقد بنى السلطان العثماني سليمان القانوني بيمارستاناً في القسطنطينية لمعالجة المرضى . المتوفي في ٢٢ صفر سنة ٩٧٤ هـ .

ويعتبر سليمان الأول عاشر السلاطين العثمانيين ومن أعظم سلاطين الدولة العثمانية ، وُلد سنة ١٤٩٤ م ووالده سليم الأول .

لقد تولى سليمان القانوني الحكم عام ١٥٢٠ م حتى ١٥٦٦ وبلغت في عهده الأمبراطورية العثمانية أوج عظمتها فأستولى على معظم هنغاريا ، وبلغراد ورودس . . . وحاصر فيينا ١٥٢٩ م ولكن البرد القارص وزمهرير الشتاء جعله يرتد عنها . وقد (قتل[1] سليمان ابنه مصطفى ١٥٥٣ بتحريض من زوجته ذات الحظوة (ركسيلانا) التي ظفرت بهذه الجريمة بالعرش لابنها سليم الثاني . . . .) وقد قاد (ثلاث عشرة[2] حملة في أوروبا وآسيا ودوّن القوانين والشرائع . وبلغت الأمبراطورية العثمانية في عهده أوجها فأزدهرت الآداب والفنون . . . .) .

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة ص ١٠٠١ .

(٢) المنجد في الاعلام ـ الطبعة الثانية ص ٢٧٢ .

بيمارستان خاصكي سلطان في استانبول

أسست السيدة خاصكي سلطان زوجة أعظم سلاطين الدولة العثمانية وهو السلطان سليمان القانوني بيمارستاناً في استانبول وذلك سنة ١٥٣٩م . وجاء في كتاب (بلادنا فلسطين) : (.... وبعد وفاة سليم الأول تولى أمر السلطنة العثمانية ولده السلطان سليمان الملقب بالقانوني (١٥٢٠ - ١٥٦٦م) الذي أتم فتح البلاد العربية ، وأكتملت في عهده قوانين الدولة حتى أن المؤرخين أصطلحوا على تلقيبه بالقانوني ... زوجته الروسية روكسيلانه ....) .

وخاصكي سلطان تسمى أيضاً روكسيلانه أو روسلانه وكانت روسية الأصل جارية من جواري السلطان سليمان القانوني . ثم تزوجها واستولت على مشاعره وأصبحت ذات حظ عظيم عنده وبنت التكايا والجوامع .

بيمارستان مغنيزية

أنشأت هذا البيمارستان والدة سلطان ، وذلك سنة ١٥٥٤ م في مدينة مغنيزية .

ومانيسا أو مغنيسيا مدينة في غربي تركيا الآسيوية ، اشتهرت في قديم الزمان في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين بالمساجد الفخمة التي شيدت فيها . ويُقال أن عندها انتصر سقيبيون على أنطوخيوس الثالث السلوقي .

---

(١) ص ٧ - ٨ ، بلادنا فلسطين ، الجزء العاشر ، القسم الثاني في بيت المقدس .

مراجع الكتاب

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ الأحاديث النبوية الشريفة .

٣ ـ الموسوعة العربية الميسرة ـ الطبعة الثانية .

٣ ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء : تأليف أبن أبي أصيبعة ، شـرح وتحقيق الدكتور نزار رضا ـ مكتبة الحياة ١٩٦٥ .

٥ ـ الأمراض النسوية في التاريخ القديم وأخبارها في العراق الحديث ، تأليف الأستاذ الدكتور كمال السامرائي ، رئيس قسم الأمراض النسائية في كلية طب بغداد .

٦ ـ العلوم عند العرب ، تأليف الأستاذ قدري طوقان .

٧ ـ شمس العرب تسطع على الغرب ، تأليف الدكتورة زيغريد هونكه ترجمة فاروق بيضون وكمال الدسوقي .

٨ ـ تاريخ البيمارستانات في الاسلام تأليف الدكتور أحمد عيسى بـك ـ دمشق ١٣٥٧هـ / ١٩٣٩م .

٩ ـ روّاد الطب ـ تأليف كاترين ب . شيبن ، ترجمة الدكتور محمد عيسى .

١٠ ـ القرآن الكريم والتوراة والإنجيل . تأليف الدكتور موريس بوكاي .

١١ ـ تاريخ الاسلام تأليف الدكتور حسن ابراهيم حسن .

١٢ ـ المنجد في الأعلام ـ الطبعة الثانية .

١٣ ـ من روائع حضارتنا ، تأليف الدكتور مصطفى السباعي ـ الطبعة الثانية ـ المكتب الاسلامي ـ بيروت .

١٤ ـ معجزات في الطب للنبي العربي ـ الطبعة الأولى ، تأليف الدكتور محمد سعيد السيوطي .

١٥ ـ تاريخ الحضارة العربية الاسلامية تأليف الدكتور أحمد هادي الشبول والدكتور عوض محمد خليفات الطبعة الخامسة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

١٦ ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، تأليف تقي الدين المقريزي .

١٧ ـ مجلة دار الفكر ـ مجلة دورية تصدر كل ثلاثة شهور عن وزارة الاعلام الكويتية .

١٨ ـ ابن النفيس تأليف الدكتور سلمان قطاية ـ الطبعة الأولى .

١٩ ـ منافع الأغذية ودفع مضارها تأليف أبو بكر محمد الرازي .

٢٠ ـ الحاوي في الطب ، تأليف أبو بكر محمد الرازي ـ الطبعة الأولى ـ مطبعة مجلس دائرة المعارف بحيدر آباد ـ الهند ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م .

٢١ ـ معجم البلدان تأليف العلاّمة ياقوت الحموي .

٢٢ ـ بلادنا فلسطين تأليف الأستاذ مصطفى مراد الدّباغ .

٢٣ ـ كنوز القدس تأليف المهندس رائف نجم والدكتور عبدالجليل عبد المهدي ويوسف النتشة وعبدالله كلبوتة والمهندس بسام الحلاق .

٢٤ ـ الموسوعة الفلسطينية ـ الطبعة الأولى .

٢٥ ـ تاريخ الرسل والملوك ، تأليف محمد بن جرير الطبري .

٢٦ ـ الطب النفسي النبوي ـ دار المطبوعات الجديدة ـ الاسكندرية ، طبعة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م . تأليف الدكتور حسني الشرقاوي .

٢٧ ـ حضارة العرب ـ تأليف غوستاف لوبون ترجمة عادل زعيتر ـ الطبعة الثانية .

٢٨ ـ النباتات الطبية عند العرب تأليف الدكتور ناصر حسين صفر .

٢٩ ـ العلوم في الإسلام تأليف سيد حسين نصر .

٣٠ ـ نشرة الطب الاسلامي ـ العدد الأول لأبحاث وأعمال المؤتمر العالمي الأول ـ الكويت ـ الطبعة الثانية .

٣١ ـ العمارة الاسلامية في مصر ـ تأليف الدكتور كمال الدين سامح .

٣٢ ـ التاريخ الحضاري لشرقي الأردن في العصر المملوكي ـ الطبعة الثانية تأليف الدكتور يوسف درويش غوانمه .

٣٣ ـ أجدادنا في ثرى بيت المقدس ، تأليف الدكتور كامل جميل العسلي .

٣٤ ـ مجلة العلم والإيمان .

٣٥ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان ـ طبعة بولاق .

٣٦ ـ تاريخ الحكماء ـ طبعة ليدن لابن القفطي .

٣٧ ـ الاسلام في حضارته ونظمه تأليف أنور الرفاعي طبعة ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣م . دار الفكر .

٣٨ ـ الخطط التوفيقية لعلي مبارك باشا .

٣٩ ـ العرب في حضارتهم وثقافتهم ـ الطبعة الثانية تأليف الاستاذ الدكتور عمر فروخ .

٤٠ ـ في تراثنا العربي الاسلامي للدكتور توفيق الطويل .

٤١ ـ الطب العربي تأليف الأستاذ الدكتور أمين أسعد خيرالله وضعه بالانكليزية ونقله للعربية الدكتور مصطفى أبو عز الدين .

٤٢ ـ الموجز في تاريخ الطب والصيدلة ، تأليف مجموعة من الأطباء والصيادلة باشراف الأستاذ الدكتور محمد كامل حسين .

٤٣ ـ Haggard: Devils, Drug and Doctors .

٤٤ ـ تاريخ الطب وآدابه وأعلامه ، تأليف الدكتور أحمد شوكت الشطي .

٤٥ ـ ابن النفيس تأليف الدكتور بول غليونجي .

٤٦ ـ أعلام العرب والمسلمين في الطب ، تأليف الدكتور علي عبدالله الدّفاع ـ الطبعة الأولى .

٤٧ ـ القانون في الطب : تأليف الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن علي بن سينا ، دار صادر .

٤٨ ـ الانتصار لواسطة عقد الأمصار ـ تأليف ابراهيم بن محمد بن أيدم المشهور بابن الدقماق .

٤٩ ـ الإصابة في تمييز الصحابة ، تأليف بن حَجَر العسقلاني ـ الطبعة الأولى ـ دار صادر .

٥٠ ـ نور اليقين في سيرة خير المرسلين ، تأليف الأستاذ محمد الخضري بك ـ الطبعة الثانية .

٥١ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد للإمام ابن قيّم الجوزية ـ المطبعة المصرية .

٥٢ ـ السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق مصطفى السقا ، وإبراهيم الأبياري ، وعبد الحفيظ الشلبي .

٥٣ ـ منتقى النقول في سيرة أعظم رسول ، تأليف حامد محمود بن محمد ليمور ـ الطبعة الأولى .

٥٤ ـ مُهَذَّب السيرة النبوية ، تأليف الاستاذ ابراهيم الأبياري .

٥٥ ـ مختصر السيرة النبوية ـ اللجنة المركزية لرعاية شؤون المساجد ـ الطبعة الثانية .

٥٦ ـ فتح القريب المجيب على تهذيب الترغيب والترهيب ، تأليف الشيخ علوي السيد عباس المدرس بالحرم المكي .

٥٧ ـ الترغيب والترهيب انتقاء بن حَجَر العسقلاني صححه وضبطه محمد المجدوب .

٥٨ ـ مختار الحسن والصحيح من الحديث الشريف ، اختيار وتعليق عبد البديع صقر .

٥٩ ـ موطأ الإمام مالك ـ الطبعة الثانية ـ دار الكتب العلمية .

٦٠ ـ صحيح مسلم .

٦١ ـ صحيح البخاري مطابع الشعب طبعة ١٣٧٨ هـ .

٦٢ ـ مسند الإمام الشافعي ـ الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠ م دار الكتب العلمية ـ بيروت .

كتب للمؤلف

صدر للمؤلف :

١ ـ السواك والعناية بالأسنان ـ الدار السعودية للنشر والتوزيع ـ جدة .
٢ ـ صحة الفم والأسنان ـ مكتبة المنار ـ الزرقاء .
٣ ـ ديوان مناجاة « شعر » ـ مكتبة المنار ـ الزرقاء .
٤ ـ ديوان تأملات « شعر » ـ دار الفرقان للنشر والتوزيع ـ عمان .
٥ ـ الاعجاز الطبي في القرآن الكريم « العسل » ـ دار الضياء للنشر والتوزيع ـ عمان .
٦ ـ الإعجاز الطبي في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة « الرطب والنخلة ـ الدار السعودية للنشر والتوزيع ـ جدة .
٧ ـ نشأة الطب ـ دار الفكر للنشر والتوزيع ـ عمان .
٨ ـ ديوان حبيبتي القدس « شعر » الوكالة العربية للتوزيع والنشر ـ الزرقاء .
٩ ـ ديوان حبيبتي فلسطين « شعر » ـ الوكالة العربية للتوزيع والنشر ـ الزرقاء .
١٠ ـ الطب ورائداته المسلمات ـ مكتبة المنار ـ الزرقاء .
١١ ـ أسرار وخلود « شعر » ـ دار عمار للنشر والتوزيع ـ عمان .
١٢ ـ ديوان السيرة النبوية الشريفة « شعر » الجزء الأول / العصر المكي ـ دار عمار للنشر والتوزيع ـ عمان .
١٣ ـ المستشفيات الإسلامية .
١٤ ـ ديوان قصص الأنبياء / شعر .

تحت الطبع :

١ ـ فضائل القدس ومعالمها ـ الوكالة العربية للتوزيع والنشر ـ الزرقاء .

٢ ـ رواد الطب عند المسلمين والعرب ـ مكتبة الأقصى ـ عمان .

تحت الإعداد :

١ ـ الإعجاز الطبي في القرآن الكريم « نشأة والإنسان » .

٢ ـ الإعجاز الطبي في السنة النبوية الشريفة .

٣ ـ نظافة الفم والأسنان .

٤ ـ التمريض ورائداته المسلمات .

٥ ـ الاعجاز العلمي في القرآن الكريم .

٦ ـ الاسلام ومؤسساته التعليمية .

٧ ـ ديوان السيرة النبوية الشريفة « شعر » الجزء الثاني / الهجرة النبوية .

٨ ـ الاعجاز الطبي في القرآن الكريم « الرضاعة الطبيعية » .

الفهـرس

الموضوع — الصفحة

المقدمة ٧

الفصل الأول : لمحة تاريخية عن الأحوال الطبية

- حالة الطب قبل الإسلام ٢١
- حالة الطب عند المسلمين ٢٨

الفصل الثاني : نشأة المستشفيات الإسلامية

نشأة المستشفيات الإسلامية (البيمارستانات الإسلامية) ٤٣

الفصل الثالث : أنواع البيمارستانات الاسلامية

أنواع البيمارستانات الإسلامية ٦٧

البيمارستانات الاسلامية ٧٩

بيمارستانات المساجد ٧٢

بيمارستانات السجون ٧٤

مستشفيات الأمراض العقلية أو دور المجانين ٧٧

المجاذم أو دور المجذومين أو دور الزمنى ٨٠

البيمارستانات الخاصة ٨٢

البيمارستانات الثابتة ٨٤
المستشفيات الميدانية والعسكرية
أو البيمارستانات الحربية أو العسكرية ٨٦
البيمارستانات التخصصية ٨٩
البيمارستانات المحمولة أو المتنقلة ٩٠
المستشفيات المتنقلة بين القرى ٩٣
محطات الاسعاف للأماكن العامة والمزدحمة ٩٥
المستشفيات التي تصاحب الحكام في تنقلاتهم ٧٦
البيمارستانات التعليمية ٩٧

الفصل الرابع : الوصف المعماري للبيمارستانات

١ ـ الموقع الجغرافي .
٢ ـ الوصف الشكلي
٣ ـ توابع المستشفى ومنشآته

١ ـ الموقع الجغرافي ١٠٣
٢ ـ الوصف الشكلي ١٠٧
٣ ـ توابع المستشفى ومنشآته ١٣٠

الفصل الخامس : أقسام البيمارستانات

١ ـ الأقسام السريرية
٢ ـ الأقسام الصيدلانية

أقسام البيمارستانات الفنية الطبية)
١ ـ الأقسام السريرية ١٣٩
٢ ـ الأقسام الصيدلانية ١٤٨

الفصل السادس : المستشفيات ونظامها الاداري والمالي

١ ـ النظام الاداري والمالي ٢ ـ ناظر بيمارستان ٣ ـ ناظر الوقف
٤ ـ المحتسب ونظام الحسبة ٥ ـ الساعور ٦ ـ أوقاف البيمارستانات

النظام الاداري والمالي ١٥٧
بيمارستان عكا أو البيمارستان الصلاحي في عكا ٢٥٥
بيمارستان مراكش ٢٥٦

الفصل الثالث عشر : مستشفيات العصر النبوي والأموي

١ ـ المستشفى النبوي
٢ ـ بيمارستان الوليد بن عبد الملك
٣ ـ بيمارستان زقاق القناديل

المستشفى النبوي الحربي المتنقل ١٨٥
بيمارستان الوليد بن عبد الملك ١٨٨
بيمارستان زقاق القناديل ١٨٩

الفصل الثامن : مستشفيات القرن الثاني الهجري (٨ م)

١ ـ بيمارستان الرشيد ٢ ـ بيمارستان البرامكة

بيمارستان الرشيد ١٩٣
بيمارستان البرامكة ١٩٥

الفصل التاسع : مستشفيات القرن الثالث الهجري (٩ م)

١ ـ بيمارستان المعافر ٢ ـ البيمارستان العتيق ـ الأعلى ـ ٣ ـ بيمارستان الرّي

بيمارستان المعافر ١٩٩
البيمارستان العتيق أو البيمارستان الأعلى ٢٠٠
بيمارستان الرّي ٢٠٢

الفصل العاشر : مستشفيات القرن الرابع الهجري (١٠ م)

١ ـ البيمارستان الأسفل ـ بيمارستان كافور الاخشيدي

٢ ـ بيمارستان السيدة ٣ ـ البيمارستان المقتدري
٤ ـ بيمارستان معز الدولة بن بويه ٥ ـ البيمارستان العضدي
٦ ـ بيمارستان أبي الحسن علي بن عيسى
البيمارستان الأسفل بالفسطاط أو بيمارستان كافور الاخشيدي ٢٠٩
بيمارستان السيدة ٢١١
البيمارستان المقتدري ٢١٢
بيمارستان معز الدولة بن بويه في بغداد ٢١٤
البيمارستان العضدي ٢١٦
بيمارستان أبي الحسن علي بن عيسى في بغداد ٢٢١
الفصل الحادي عشر : مستشفيات القرن الخامس الهجري (١١ م)
١ ـ بيمارستان واسط ٢ ـ بيمارستان أنطاكية
٣ ـ بيمارستان نيسابور ٤ ـ البيمارستان الدّقاني
بيمارستان واسط ٢٢٥
بيمارستان أنطاكية ٢٢٦
بيمارستان نيسابور أو دار المرضى بنيسابور ٢٢٨
البيمارستان الدَّقاني ٢٣٠
الفصل الثاني عشر : مستشفيات القرن السادس الهجري (١٢ م)
١ ـ البيمارستان الصلاحي في القاهرة ٢ ـ بيمارستان الاسكندرية
٣ ـ بيمارستان الموصل ٤ ـ البيمارستان النوري في دمشق
٥ ـ البيمارستان النوري في حلب ٦ ـ البيمارستان الصلاحي في القدس الشريف
٧ ـ بيمارستان عكا ٨ ـ بيمارستان مراكش
البيمارستان الناصري أو الصلاحي ٢٣٥
بيمارستان الإسكندرية ٢٣٩
بيمارستان الموصل ٢٤٠
البيمارستان النوري ٢٤١

البيمارستان النوري بحلب أو البيمارستان العتيق ٢٤٧
بيمارستان القدس أو البيمارستان الصلاحي ٢٥٠
بيمارستان عكا أو البيمارستان الصلاحي في عكا ٢٥٥
بيمارستان مراكش ٢٥٦

الفصل الثالث عشر : مستشفيات القرن السابع الهجري (١٤ م)

١ ـ البيمارستان المنصوري ٢ ـ بيمارستان الصالحية أو القيمري
٣ ـ بيمارستان مكة المكرمة ٤ ـ بيمارستان المدينة المنورة
٥ ـ بيمارستان قيسارية ٦ ـ المدرسة الشفائية بسيواس
٧ ـ بيمارستان قوتولوغ توركان ٨ ـ بيمارستان ديوركي
٩ ـ البيمارستان المنصوري في الخليل ١٠ ـ بيمارستان سيدي فرج في فاس

البيمارستان المنصوري أو بيمارستان قلاوون أو دار الشفاء ٢٥٩
بيمارستان الصالحية أو بيمارستان القيمري ٢٧٠
بيمارستان مكة المكرمة ٢٧٢
بيمارستان المدينة المنورة ٢٧٤
بيمارستان قيسارية أو دار الشفاء ٢٧٥
المدرسة الشفائية بسيواس ٢٧٧
مارستان قوتولوغ توركان بإيران ٢٧٨
بيمارستان ديوركي ٢٧٨
البيمارستان المنصوري في الخليل ٢٧٩
بيمارستان سيدي فرج في فاس ٢٧٩

الفصل الرابع عشر : مستشفيات القرن الثامن الهجري (١٤ م)

١ ـ بيمارستان تنكز في صفد ٢ ـ بيمارستان الكرك ٣ ـ بيمارستان حصن الأكراد
٤ ـ البيمارستان الجديد في حلب ٥ ـ بيمارستان الرملة ٦ ـ بيمارستان نابلس
٧ ـ بيمارستان غزة ٨ ـ بيمارستان غرناطة ٩ ـ بيمارستان تبريز

بيمارستان تنكز في صفد ٢٨٢

25 DEC 2016

بيمارستا ... ٢٨٣
مارستان ... ٢٨٦
البيمارس ... ٢٨٧
بيمارستا ... ٢٩٩
بيمارست ... ٢٩٦
بيمارست ... ٢٩٢
بيمارست ... ٢٩٣
بيمارست ... ٢٩٤
ال ... ١ م)
بيمارس ... ٢٩٧
بيمارس ... ٢٩٨
البيمار ... ٣٠٠

الفصل السادس عشر : بيمارستان القرن العاشر الهجري (١٦ م)

١ ـ بيمارستان السلطان سليمان

٢ ـ بيمارستان خاصكي سلطان

٣ ـ بيمارستان مغنيزية

بيمارستان السلطان سليمان ٣٠٥
بيمارستان خاصكي سلطان في استانبول ٣٠٦
بيمارستان مغنيزية ... ٣٠٦
مراجع الكتاب ٣٠٧
كتب للمؤلف ٣١٣

001647708
001647708
RA 964.S35 1987
KFUPM LIBRARY
2003 12 16

1020082

السعيد، عبد الله
عبد الرزاق

المستشفيات الإسلامية
من العصر النبوي
الى العصر العثماني
LBS 1647708

RA
964
.S35
1987

دار
الضياء



المؤلف في سطور

ولد سنة ١٩٣٠ م في ذنّابة على بعد كيلومتر شرقي مدينة طولكرم .

تلقى علومه في قريته ذنّابة ثم نال درجة البكالوريوس في طب وجراحة الأسنان سنة ١٩٥٤ م من جامعة القاهرة بدرجة جيد جدا، عمل في عيادته الخاصة في أريحا ثم في الدمام في المملكة العربية السعودية فالزرقاء ثم في عمان .

آلف حتى الآن خمسة وستين كتابا منها ثمانية عشر ديوانا من الشعر العمودي ومسرحية (صامدون) شعر.

له نشاطات عديدة في مجال البحث ونشر المقالات في الصحف والمجلات المحلية والأجنبية ومقابلات تلفزيرنية وصحفية وإذاعية، ومحاضرات في العديد من المؤسسات العلمية.

الناشر

دار الضياء للنشر والتوزيع

مركز العبدلي التجاري

الأردن - عمّان

ص . ب : ٩٢٥٧٩٨

☎ ٦٧٨٥٠٢